وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابو القاسم سعد الله -2-
كلية العلوم الانسانية
قسم الفلسفة

حضور فكر فريدريك نيتشه في فكر ميشال فوكو

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الطور الثالث (LMD)
تخصص فلسفة حديثة ومعاصرة

إعداد الطالبة:
حسينة إيجا

تحت إشراف د – أ:
نوال بورحلة

السنة الدراسية: 2021 - 2022

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابو القاسم سعد الله -2-
كلية العلوم الانسانية
قسم الفلسفة

حضور فكر فريدريك نيتشه في فكر ميشال فوكو
The presence of Friedrich Nietzsche's thought in the thought of Michel Foucault

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الطور الثالث (LMD)
تخصص فلسفة حديثة ومعاصرة

إعداد الطالبة:
حسينة إيجا

تحت إشراف د – أ:
نوال بورحلة

لجنة المناقشة		
1	أ . د / هرباجي حميدة	رئيسا
2	أ . د/ بورحلة نوال	مقررا
3	أ. د/ عماري خيرة	عضوا
4	- أ . د / بوحفصة فهيمة	عضوا
5	أ . د/ بن يوسف عبد العزيز	عضوا
6	أ . د / بن أزواو السعدي	عضوا

السنة الدراسية: 2021 - 2022

Ministry of Higher Education and Scientific Research
Abu al-Qasim Saadallah University -2-
Faculty of Humanities
Department of Philosophy

The presence of Friedrich Nietzsche's thought in the thought of Michel Foucault

Dissertation submitted for obtaining a doctoral degree, third phase (LMD)
Majoring in Modern and Contemporary Philosophy

Under the supervision of Dr.T:
Nawal Bourahla

Done by:
Hassina Idja

Discussion Committee		
1	-T. D/ **Harbaji Hamida**	president
2	-T. Dr/ **Bourahla Nawal**	scheduled
3	-T. D/ **Ammari Khaira**	member
4	-T. Dr/ **Bouhafsa Fahima**	member
5	-T. Dr/ **Bin Youssef Abdel Aziz**	member
6	-T. Dr/ **Ben Azwaw Al Saadi**	member

كلمة الشكر

إن الحمد والشكر لله العلي القدير الّذي جعلنا نصل إلى هذا المستوى
من التعليم ووفقنا لانجاز هذا العمل المتواضع.
ونتقدّم بالشكر الجزيل إلى الدكتورا " نوال بورحلة" الّتي أشرفت على هذا العمل وتحملها
عناء مراجعته وتصحيحه، وكما أشكرها على النصائح القيمة الّتي قدّمتها لي.
وكما أتقدّم بشكري الخالص إلى اللجنة المناقشة والتي تحملت عناء تقويم هذا العمل.

الإهداء

إلى القلب المنعم بالحنان أمي، إلى من تحمل عبء الحياة وشقائها أبي.
إلى بركة بيتي وسرّ سعادتي زوجي مبروك وألاء، وإلى روح ابنتي أنية.
إلى عائلة بكيري، وإلى من تقاسمت معهم حلاوة الحياة ومرارتها إخواني عيسى وعائلته وحسين،وأخواتي وعائلتهم.
إلى عائلة أمغار وعليلي يمينة الّذين ساندون في هذا العمل وإلى كل من قدّم لي يد المساعدة.

الفهرس

مـــــــــــــقدمـــــــــــــة..... 7

الفصل الأول: قراءة ميشال فوكو لفكر فريدريك نيتشه 18

المبحث الأول: القراءة الألمانية مارتن هيدجر نموذجا

المبحث الثاني: القراءة الفرنسية ميشال فوكو نموذجا

الفصـــــل الثـــــاني: حضـــــور فكـــــر فريـــــدريك نيتشـــــه فـــــي فكـــــر ميشـــــال فوكو.....61.....

المبحث الأول: من موت الاله عند فريدريك نيتشه إلى موت الإنسان عند ميشال فوكو.

المبحث الثاني: من إرادة القوة عند فريدريك نيتشه إلى إرادة السلطة عند ميشال فوكو.

المبحث الثالث: من الحقيقة كوهم عند فريدريك نيتشه إلى الحقيقة كإنتاج عند ميشال فوكو.

الفصـــــل الثالـــــث: ابـــــداعات ميشـــــال فوكـــــو المـــــنهج الأركيولـــــوجي نموذجا.....98.....

المبحث الأول: جذور المنهج الاركيولوجي ومجالات استعماله.

المبحث الثاني: المنهج الأركيولوجي وتطبيقاته في محوره الأول الفلسفة الواقعية الإجتماعية.

المبحث الثالث: نتائج حفريات المنهج الأركيولوجى.

الفصـــــل الرابـــــع: تصـــــنيفات ميشـــــال فوكـــــو وأهـــــم الانتقـــــادات وردود أفعـــــال الفلاسفة.....138.....

المبحث الأول: أهم تصنيفات ميشال فوكو

المبحث الثاني: الانتقادات الموجهة لميشال فوكو

المبحث الثالث: ردود أفعال الفلاسفة حول فكر ميشال فوكو

خـــــــــاتمـــــــــة.....168.....

المـــــــــلاحـــــــــــق 175

قائـــــــمة المـــصادر والمـــراجـــــــع.....183

مقدمة

ولد نيتشه(1844_1900) في أوّج تمزق الفلسفة الهيجلية وأوّج ابتعاد الفكر عن الواقع، وكذلك في أوّج تغلغل الفلسفة التشاؤمية إلى أعماق الروح التي لا تجد سندال لها في الواقع،ويعدّ من أهم فلاسفة الألمان نظرا للنمط الفكري الذي انفرد به، والنظرية التي تميزّت به معظم أعماله، وكذلك صلته القوية بروح عصره وكفاحه ضدّ الانحطاط الثقافي الّذي شهدته أوربا، ولهذا يعّد نيتشه أحد فلاسفة الّذين أثّروا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرون والّذي يأتي بعد ماركس و قبله فرويد وكما تميّز بصراحته المفرطة وعدم تقديسه للأفكار والقوالب المتوارثة، ولقد اعتبروه البعض بأنّه الأب الروحي في الفكر الحر، وأما البعض الآخر فيرونه مجنونا أو مختلا عقليا، ورغم وجهات النظر سواء كانت ايجابية أو سلبية سوف تظل أفكار نيتشه تغذي تيارات مختلفة سواءا كانت سياسية أو اقتصادية أو فكرية أو أخلاقية وغيرها، كل هذا سمح لنيتشه بترك أثر كبيرا على عدة فلاسفة سواء في القرن التاسع عشر أو القرن العشرون وخاصة فترة ما بعد الحداثة والّذي كان تأثيره قويا جدا، وكما كان حضور نيتشه في فرنسا أكثر مما هو حاضرا في ألمانيا فقد تبناه الفرنسيون و تحمسوا له.

نجد انتقال فكر نيتشه إلى الساحة الثقافية الفرنسية من خلال أربعة مراحل وهي:

المرحلة الأولى: من خلال تأثير كل من **"أندريه جيدا وبول فاليري"** في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين بنيتشه.

المرحلة الثانية: على يد جورج باتاي بين الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرون.

المرحلة الثالثة: ويطلق عليها مرحلة ازدهار الدراسات النتشوية على يد فلاسفة الاختلاف أمثال ميشال فوكو وجيل دولوز وديريدا وذلك في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرون.

المرحلة الرابعة: وهي مرحلة مضادة لفكر نيتشه، والتي تشمل عدة فلاسفة أمثال: **لوك فيري، آلان ريتو، أندريه كونت** وغيرهم.

يتضح من خلال تلك المراحل تعرض فلسفة نيتشه لعدة تقلبات إذ تأثيره يزداد أحيانا ويتراجع أحيانا أخري وكل ذلك بحسب نوعية الفترة التاريخية و طبقا لحاجياتها الفكرية

والمشكلات الفلسفية ، وبعد وفاة نيتشه سنة(1900م) تمّ نقل و ترجمة كتبه إلى اللغة العربية مرات عديدة و شرحت ألف مرة من قبل كتاب الفرنسيين، حتى أصبح مرجعا للساحة الأدبية والساحة الفكرية الجامعية في آن واحد.

نيتشه صاحب رسالة حضارة ولم يكن مفكرا عميقا جدا فحسب وإنما هو أيضا كاتب كبير من أعلى الطراز، لقد أصبح نيتشه مألوفا لدى الفرنسيين إذ تهافتوا لقراءته أكثر من غيره مثل **جون هبوليت** ولا نستطيع أن نستعرض كل المراحل التي أثر فيها نيتشه على الفرنسيين و لكن سوف نقف أمام المعجبين به إلى حد الهوس ألا وهو ميشال فوكو(1984_ 1926) وذلك من خلال رؤية نيتشه للفلسفة بعمق كبير وتحديده للعصر بأكمله و تنبؤه لإنسانية، و كما اعتبر فوكو نيتشه بأنّه رمزا قويا من رموز حداثتنا، كذلك يراه من أهم فلاسفة الحداثة الذي ترك بصمات لا تمحى في تاريخ الفكر الغربي.

بفضل فكر نيتشه استطاع فوكو أن يركز على مواضع ميدانية اجتماعية و تمثل هذه النماذج في الجنون، المرض، السجن وغيرها، والإشكالية المطروحة في بحثنا تتمثل في: **ما هو الأثر الّذي تركه فكر فريدريك نيتشه في فكر ميشال فوكو؟** ومنها تفرعت عدة تساؤلات ما هي أبعاد فكر فريدريك نيتشه في فكر ميشال فوكو؟ وما هي أسباب تأثر فوكو بفكر نيتشه؟.

وإن **الأهمية** هذا الموضوع سوف يقودنا إلى البحث عن المسائل الّتي نلتمس فيها حضور فكر نيتشه في فكر ميشال فوكو .

إنّ **الهدف** من اختياري لهذا البحث هو التعرف على كيفية نقد نيتشه للحداثة الغربية وكذلك التعرف على الفكر الفلسفي كل من فريدريك نيتشه وميشال فوكو وتقديم أهم الملامح ومحطات حضور فكر نيتشه في فكر ميشال فوكو.

منهج الدراسة: اعتمدنا في هيكلة هذا البحث على المنهج التحليلي من خلال تحليل الأفكار وذكر اهم نقاط تقاطع نيتشه وفوكو.

للإجابة عن تلك الإشكالية قسمنا البحث إلى أربعة فصول، بحيث تناولنا في الفصل الأول المرسوم بعنوان: **"قراءة ميشال فوكو لفكر فريدريك نيتشه"** وبدوره قسمناه إلى مبحثين ولقد أشرنا في المبحث الأول إلى بعض القراءات المقترحة لفكر فريدريك نيتشه

وعرضنا فيها نموذج القراءة الألمانية: من خلال **مارتن هيدجر** والذي ركز على فكرة الوجود، ولقد خاض في أعماق الكلمات الأساسية لنيتشه خاصة إرادة القوة، العدمية الإنسان الأرقى، لقد سخر هيدجر نفسه لقراءة نيتشه منذ سنة 1936 إلى 1955، فنيتشه هو الفيلسوف الوحيد الذي أفرد له هيدجر بكم هائلا من الدروس والمحاضرات ويصرّح هيدجر ضمن **" تجاوز الميتافيزيقا "** بإعجابه بعبقرية نيتشه، ويعتبر فكره فكرا محدثا محضا وهدف قراءة هيدجر لنيتشه كان من خلال التفكير في الميتافيزيقا نيتشه بمعني أنه تناولها بالجدية وعمل على تحديد مكانة الإنسان المعاصر كما سعى هيدجر إلى تجاوز الميتافيزيقا الغربية.

أما في المبحث الثاني الذي جاء تحت عنوان:" **القراءة الفرنسية**" و أعطينا نموذج ميشال فوكو، فيه عرضنا في الجزء الأول:" **خلفيات قراءة ميشال فوكو لنيتشه**" والتي تتمثل في الخلفية السياسية وذلك من خلال الأحداث التي شهدها العالم خاصة من خلال الحركات الطلابية والثورة الإسلامية في إيران و غيرها كما أشرنا إلى خلفية فلسفته من خلال تصاعد التيارات الفلسفية خلال الخمسينيات في فرنسا خاصة التيار الهيجلية الماركسي والوجودية وأخيرا عرضنا خلفية الفكرية من خلال تؤثر فوكو بنيتشه من خلال فكرة وقوف نيتشه ضد العقلانية الديكارتية و ضد الحداثة و نقده للذاتية الأوروبية.

أما في الجزء الثاني لقد عرضنا فيه:" **كيفية قراءة ميشال فوكو لفكر نيتشه**" ووضحناها بأنّها قراءة علمية استنادا إلى معطيات علمية جديدة ساعدت على فهم بنية الحضارة الغربية و تفكيكها وأن قراءته اعتمدت على أسس علمية و ذلك من خلال القراءة البنيوية وقد عمد فوكو على مدونة نيتشه عن تاريخ الفكر و كيف أنه يمثل تصاعدا في الحضارة الغربية ثم تليها قراءة فيلولوجية بحيث يؤكّد نيتشه على قيمة التساؤل الفيلولوجي لكيفية تكون بها الألفاظ وتناقلها وتداولها ويرى أفضل قراءة لتفسير النصوص وتبسيطها وهذا ما جعل فوكو متأثرا بشخصية نيتشه ويعتبره نموذجا للتوجيه الفلسفي الذي بدوره جمع بين اللغة والكينونة وتفكيره كذلك بالإنسان.

وأخيرا عرضنا القراءة الإبستمولوجية من خلال إظهار فوكو القطيعة التي أحدثها نيتشه في تاريخ الفكر الغربي خاصة في مواضيع عديدة منها الحقيقة والتاريخ، والمعرفة

وبفضل نيتشه توصل فوكو إلى أن هناك قطائع إبستمولوجية في كل فترة من فترات الفكر التاريخي و نظرا لأهمية فلسفة نيتشه و ما أحدثته من تغيير على مستوى المفاهيم نجد عدة فلاسفة تأثروا به و خاصة من خلال الجانب المعرفي و الفلسفي لهذا راحوا يقرونه كل واحد حسب اجتهاده فمثلا قبل قراءة هيدجر لنيتشه نجد قراءة **"كارل ياسبير"** خاصة من زاوية المقدسين وكذلك القراءة الفرنسية قبل فوكو نجد **"جورج باتاي"** من خلال زاوية اللاهوت، كما توسعت القراءة لتشمل مجال الفكر العربي من خلال" **فرح أنطوان"** الذي ألف كتابين عن نيتشه، كذلك" **سلامة موسى"** من خلال كتابه **" المقدمة السوبرمان"** كما نجد كذلك **"عبد الرحمان البدوي"** و القراءة الجزائرية من طرف **"جمال مفرج"** و غيرها من القراءات.

ثم انتقلنا إلى الفصل الثاني فعرضنا فيه:" **حضور فكر فريدريك نيتشه في فكر ميشال فوكو"**، لقد أعطينا أمثلة في ذلك من خلال عدة أفكار و بدأنا الفصل من مسالة "موت الإلاه لدي نيتشه إلى اختفاء الإنسان لدي ميشال فوكو"، فصيحة نيتشه بأن الاه مات أدى إلى تنبؤه بأنّ العصر القادم هو عصر العدمية، لقد مات الإلاه والذي سوف يقضي على الإنسان بينما نلمس حضور فكر نيتشه في فكر فوكو من خلال اعتقاده بئماته الإنسان من أجل إيجاد الإنسان الأعلى و لهذا يرى فوكو بأنّ الإنسان ليس سوى عبارة عن شيء داخل نظام الأشياء، وكذلك نجد رتابة فوكو من خلال: " **إرادة القوة" لدى نيتشه إلى إرادة السلطة لدى فوكو"**، يشير نيتشه إلى أن الوجود يقوم على أساسيين يمثل الأساس الأول في إرادة القوة وهي سرّ الوجود بينما ويمثل الأساس الثاني في الحياة وهي الوجود الحقيقي كله. أما عن فوكو فتظهر إرادة القوة من خلال ممارسات السلطة وأسلوبها القهري سواء على نظام الحكم أو تسييرها للمجتمع، ولقد توصل فوكو إلى أنّ تقنيات السلطة متعددة وموزعة في أماكن مختلفة لهذا يعطي فوكو تعريفا للسلطة بأنها علاقة قوى غير معروفة أما المثال الذي يشترك فيه حضور نيتشه في فكر فوكو من خلال **"مفهوم الحقيقة"**، إذ يشير نيتشه بأن الحقيقة هو الوهم من جهة وكذلك ارتباطها بالمصلحة الاجتماعية من جهة أخرى فالحقيقة عند نيتشه نسبية هي نوع من الأخطاء

والأوهام أما عن حضور تلك فكرة في فكر فوكو من خلال أخذ هذا الأخير الحقيقة على محمل الجد بحيث أشار إلى أنّ الحقيقة ما هو إلا نتاج لصراع القوى.

وبعد ذلك عرضنا إلى الفصل الثالث و فيه بيّنا:**"ابداعات ميشال فوكو المنهج الاركيولوجي نموذجا "**، ويظهر ذلك من خلال المنهج الأركيولوجي الّذي استقاه من المنهج الجينالوجي الذي يقوم على إزالة الأقنعة الأوهام.

لقد تطرق فوكو إلى عدة مسائل خاصة من خلال" **مسألة الجنون"** مبرزا فيه آليات الإكراه التي مارستها السلطة على الشخص المجنون ثم اهتم **"بمسألة المرض"** من خلال قراءته لأرشيف الطبي وأين ناقشا فيه مسألة النظرة مفهوم المكان أو الحيز وكذلك مسألة الموت وأخيرا اللغة، وبعد ذلك اهتم **"بمسألة المساجين"** من خلال كتابه **"المراقبة والمعاقبة"** الذي صدر عام 1975م، وفيه سعى إلى إظهار مختلف الممارسات التي استعملتها السلطة على المساجين ومختلف أشكال التعذيب ولقد ذكرنا على سبيل المثال: التعذيب، العقاب، الانضباط، وبعد ذلك تطرقنا في المبحث الثالث إلى عرض نتائج حفريات المنهج الأركيولوجي ووجدناه بأنه ينقسم إلى الجانب الإيجابي والذي يمثل في الكشف عن البنية الخفية للحضارة الغربية أما جانبه السلبي يتمثل في أن فوكو يتحدث دائما عن الغرب فقط دون الاهتمام بالإنسانية جميعا، بحيث تحدث عن تاريخ العقل الغربي، ثم أركيولوجيا غربية وابستمولوجيا غربية وأنّ تصريحاته لم تمتد خارج أوروبا.

كذلك لقد رصدنا في الفصل الرابع:" **أهم تصنيفات ميشال فوكو وأهم الانتقادات التي تعرض إليها وردود أفعال الفلاسفة"** بمعنى هل ميشال فوكو حقا نيتشوي؟ وقد توصلنا إلى عدة اقتراحات وردود أفعال منها: من يعتبر ميشال فوكو نيتشوي خاصة من طرف يورغن هابرماس، ومنهم من يرى بأنه ماركس بتأثر بفكره وكذلك بأنّه كانط جديد والبعض الآخر يرونه مؤرخ وليس بفيلسوف والبعض الآخر يرونه بأنه متعدد الأقنعة.

وفي خاتمة المذكرة اختتمناها بنتائج التي توصلنا إليها أثناء بحثنا و تتمثل بعضها فيما يلي:

بأنّ ميشال فوكو هو من أتباع نيتشه، ولقد عمل على مشروعه الفلسفي وأن كلما اطلعنا على مسار فوكو وجدنا فيه آثار نيتشه، ويعترف فوكو بأنه نيتشوي وأنه مدين له أكثر مما

هو مدين للبنيوية، و بفضل أفكار نيتشه استطاع فوكو أن يحلّل البنية الغربية واهتمامه بالمجتمع خاصة الفئات المهمشة منها المجانين، المرضى، المساجين وغيرها من المواضيع الاجتماعية.

وأما اختياري لموضوع بحثي هذا" حضور فكر نيتشه في فكر ميشال فوكو" فقد أملته علينا أسباب عديدة منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي.

ومن **أهم الأسباب الذاتية** التي وجهتنا إلى هذه الوجهة يتعلق الأمر بشخصية نيتشه بوصفه فيلسوفا الحضارة و من حيث المواضيع التي تطرق إليها، أما عن فوكو كونه فيلسوف عمل على تعرية الحضارة الغربية و كشف الغطاء عنها وأنه ذو أحكام وآراء مخالفة الفلاسفة سابقين عنه.

أما عن **الأسباب الموضوعية** لاختيار موضوع بحثنا فيتعلق أساسا بكون فلسفة نيتشه مثلت نقطة تحول كبير في تاريخ الفلسفة، و أردنا أن نتبع بعض معالم هذا التحول خاصة فيما يتعلق بتأثيره على عدة فلاسفة من بينهم ميشال فوكو، الذي استقى منه عدة مواضيع منها موضوع السلطة مستعينا بمنهج أخذه_ فوكو_ من نيتشه ألا وهو المنهج الأركيولوجي، لقد وجد ميشال فوكو في نيتشه، بأنه فيلسوف همه الوحيد هو أن يجعل من الحياة مجالا قابلا للعيش على الدوام، وإنه الفيلسوف الذي رفض كل الأفكار والفلسفات الذاتية، فيلسوف تنبأ للبشرية بالعدمية، فيلسوف دعا إلى خلق قيم في كل لحظة وأن تحيا كل لحظة وكما توصل فوكو إلى أنّ نيتشه لديه أسلوب الصرامة وجدية مواقفه.

ومع ذلك لقد وجدنا عدّة صعوبات التي اعترضنا بحثنا هذا و المتعلقة أساسا بالمصادر المعتمدة فإن الصعوبات تتعلق بالترجمات العربية لمؤلفات نيتشه التي لم تكن بالدرجة والوفاء الذي سير لنا بحثنا، ونقص المصادر خاصة في الفصل الأول والرابع ، لقد اعتمد في بعض الأحيان على مقالات لتسهيل البحث.

أما في **الخاتمة**: لقد بيّنا أهم نتائج التي توصلنا إليها من خلال تأثير نيتشه على ميشال فوكو و التي تمثل في أنّ ميشال فوكو من أتباع نيتشه و يعدّ المرجعية له في جمع أفكاره وأنه يعترف بنيتشه في مؤلفاته.

إنّ عمل الّذي قام به ميشال فوكو يعدّ منعطفا جديدا في فلسفته وذلك من خلال تعرفه على كيفية تشكل الذّات الغربية، وكذلك نقده للحضارة الغربية، وكما ركزّ على اهتمامه بدراسة وظيفة السلطة وكيفية ممارستها في جميع الميادين.

مما لا شك فيه أنّ أي باحث يعتمد في عمله على اقتباس من أعمال وبحوث تتشابه بموضوعه، نذكر من أهم الدراسات السابقة:**نور الدين الشابي** من خلال كتابه،**" فوكو قارئا لنيتشه"** وبعض مقالات من طرف:. **دانيال زامورا** من خلال مقاله،*"مسؤولية فوكو"*، كذلك نجد **رضوان جودت زيادة،" ما بين فوكو ونيتشه، والأصول البعيدة للفكر ما بعد الحداثة"**،إضافة إلى **هاشم صالح،" فوكو فيلسوف القاعة الثامنة.**

الفصل الأول: قراءة ميشال فوكو لفكر فريدريك نيتشه

1. القراءة الألمانية لفكر فريدريك نيتشه مارتن هيدجر نموذجا
2. القراءة الفرنسية لفكر فريدريك نيتشه ميشال فوكو نموذجا

1 الفصل الأول: قراءة ميشال فوكو لفكر فريدريك نيتشه

1.1 المبحث الأول: القراءة الألمانية لفكر فريدريك نيتشه مارتن هيدجر نموذجا

يمثل فريدريك نيتشه (F Nietzsche) 1844-1900 محطة بارزة في تاريخ الفلسفة لأنّه أعاد تحديد طرح سؤال فيما يتعلق بمصدر القيم الأخلاقية وإعادة تقويم القيم.[1] لقد كانت فلسفة نيتشه مصدر إلهام للعديد من الفلاسفة ويكمن السبب في ذلك أنّ فلسفة – نيتشه- ما هي إلاّ تعبير عن الوجود والحياة وعن الإنسان بكل حيويته ومعاناته وآلامه وعفويته وهي فلسفة تحاول أن تستنطق ما كان مقدس وثابت من قيم وعادات وما كان مسكوت عنه، وبهذا المعنى فإنّ فلسفة نيتشه هي فلسفة تعي الوجود و تعطي له معنى لا كما عرفه سابقوه عن طريق العقل، وإنّما كما عرفه هو عن طريق الغريزة أو الفطرة الأولى كما يسميها. ونظرا لأهمية فلسفة نيتشه وما أحدثته من تغيير على مستوي المفاهيم نجد بعض الفلاسفة تأثروا به وخاصة الجانب الفلسفي والمعرفي، لهذا راحوا يقرؤونه كل واحد حسب اجتهاده ونسوق لتأكيد صحة ما قلناه فنجد قراءة ألمانية من بينهم **كال ياسبرز** خاصة من زاوية المقدس **وكما نجد مارتن هيدجر**(1889_1976) قارئا لفكر فريدريك نيتشه مركزا على فكرة الوجود، فالسؤال المطروح: **ما هي خلفيات قراءة هؤولاء الفلاسفة لفكر فريدريك نيتشه؟ وما هو الأثر الّذي تركه نيتشه لدى كل من فلاسفة الألمان وفلاسفة الفرنسيين خاصة ميشال فوكو ما هو بعد فريدريك نيتشه على فكر ميشال فوكو؟**

يعود قراءة مارتن هيدجر لفكر نيتشه من خلال القراءات السابقة عنه من طرف الفلاسفة أمثال قراءة **كارل ياسبرز** خاصة من زاوية المقدس، ولقد ألّف كتابين أساسيين له الأول بعنوان" **نيتشه**" عام 1936م، أما الثاني بعنوان " **نيتشه والمسيحية**" سنة 1946م ويعتبر ياسبرز نيتشه أحد ينابيع التفكير المعاصر.

[1] د صفاء عبد السلام على جعفر، **محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه**، بدون طبعة، (دار المعارف للنشر بيروت،2001)، ص20 .

تناول مارتن هيدجر بالبحث والدراسة لفكر نيتشه في الفترة الممتدة من 1936 إلى 1955م وفي هذه السنة استطاع مارتن هيدجر الحصول على وظيفة التدريس في الجامعة الألمانية وذلك ضمن رسالة بعثها إلى رئاسة جامعة فويورغ سنة 1945م، وفيها عمد إلى إلقاء الدروس والمحاضرات حول نيتشه لقد اهتم هيدجر بفكر نيتشه وبمهامه وموضوعاته _نيتشه_ بدءا من سنة1951 إلى سنة 1952م[1].

لقد جاء تأويل هيدجر لفكر فريدريك نيتشه لتجاوز الغموض الّذي وقعت فيه أغلب القراءات واتهامه بأنّه خادم للنازية، ولقد عبّر هيدجر بإعجابه بنيتشه وعبقريته إذ اعتبر هيدجر فكر نيتشه فكرا جديدا محضا وخاصة من خلال مصطلحاته الأساسية الّتي تتمثل في العدمية، قلب القيم، إرادة القوة، العود الأبدي، الإنسان الأعلى، بحيث قام هيدجر بقراءة فكر نيتشه قراءة تأويلية نقدية لاسيما من خلال جانبين أساسيان ويتمثلان في الجانب الميتافيزيقي ومسألة الوجود.

1.1.1 الميتافيزيقا ومسألة المجاوزة

يرى هيدجر بأنّ فلسفة نيتشه يعدّ تتويجا لمسيرة الميتافيزيقا وخاتما لها، إنّها تمثل اكتمال الميتافيزيقا وأوجها ونهايتها في الوقت ذاته*. لقد قرأ هيدجر نيتشه انطلاقا من مشكلة الوجود الّذي كان هاجسا له فقد كان مشكل الوجود هو مصدر اهتمام للميتافيزيقا لكون هذه الأخيرة تتجاوز الوجود بالفكر أي ما يجعل الوجود موجودا. ومن خلال هذه الفكرة يريد هيدجر أن يعلو فوق الميتافيزيقا أو أن يقهرها أي لا يمكن أن نعود نفكر تفكيرا ميتافيزيقيا[2]، وما يرغب هيدجر بلوغه هو أن يصنع موجود أسمى مكان آخر ويستنتج هيدجر بأنّ تاريخ الفكر الغربي من أفلاطون إلى نيتشه محكوم بمقولة واحدة وهي نسيان الوجود و بالرغم من أنّ نيتشه من منظور هيدجر يعتبر آخر الميتافزقيين فإنّ

[1] د فوزية ضيف الله، **كلمات نيتشه الأساسية ضمن قراءة الهيدجرية**، ط1،(منشورات ضفاف، لبنان، 2015)، ص 27.

* يؤكّد هيدجر أنّ الميتافيزيقا اكتملت مع فلسفة نيتشه أي أنّه استوفت النّظر في الإمكانيات المسخرة لها، و ما بذلته من مجهود من أجل إخراج مسألة الفكر عن أسس الّتي أقامت لها الميتافيزيقا.

[2] مارتن هيدجر، **نداء الحقيقة**، تر عبد الغفار المكاوي، بدون طبعة، (دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،1977)، ص 14.

له ما يميّزه -نيتشه- عنهم جميعا لكونه أدرك العدمية وعمد على تحرير الفكر من العدمية في مختلف صورها أو أشكالها بوصفها أساس لكل الميتافيزيقا وتمثّل هذه الأخيرة تفكير في الوجود بما هو موجود عن طريق التصور والمؤسس لها إنّها تبحث عن أساس الوجود ويسمى هذا الأساس " اسم الوجود"، والّذي يأخذه هيدجر محمل الجد وكذلك التفكير فيه من أجل تجاوز الميتافيزيقا فلا بدّ من الرجوع إلى أساسها الّذي نسيته ولم تفكر فيه،أي يؤكد مارتن هيدجر أنّ الميتافيزيقا اكتملت مع فلسفة فريدريك نيتشه وأنّه استوفى النظر في الإمكانيات المسخرة لها وما بذله من مجهود من أجل إخراج مسألة الفكر عن أسس الّتي أقامت لها الميتافيزيقا، وهذا هو السؤال الّذي شغل هيدجر و لم يفكر فيه سابقوه[1]. لهذا يظهر تفسير هيدجر للميتافيزيقا من خلال ثلاثة لحظات، تتمثّل اللحظة الأولى من خلال **أفلاطون** الّذي تعتبر فلسفته أول ترسيخ للميتافيزيقا في تاريخ الحضارة الغربية.

يرى هيدجر بأنّ أفلاطون هو الّذي حدد رؤية الفكر الغربي بصدد مسألة الاختلاف بين الوجود والموجود* ويستنتج هيدجر بأنّ الميتافيزيقا الغربية طيلة تاريخها تأملا في الوجود من حيث هو كذلك يحدد الموجود بشكل مسبق أو قبلي كأنّه شيء قابل للحصر، وحدد أفلاطون بناء الوجود من وجهة هيدجر على رؤى العقل و الفكر لذلك يقول هيدجر **:" إنّ تفكير أفلاطون يخضع للتحول الّذي تمّ في ماهية الحقيقة، هذا التحول الّذي أصبح فيما بعد تاريخ الميتافيزيقا الّذي بدأت تحقق اكتمالها المطلق في تفكير نيتشه"[2].**

وتتمثل اللحظة الثانية في لحظة تدشين أزمة الحداثة أو نهاية الميتافيزيقا الّتي شكل ديكارت نموذجها الأول، ويشير هيدجر بأنّ مع **ديكارت** (1596-1650) تمّ تدشين بداية اكتمال الميتافيزيقا الغربية، فإنّ الميتافيزيقا في شكلها الحديث منذ ديكارت وبعده عملت على إعادة النّظر في الوضع الاعتباري الّذي تحتله بعض القضايا الفلسفية مثال على ذلك البحث في فكرة " وجود الله" كما فعل ديكارت، وكذلك مونـاده **لايبنيز**، إلى ترونسندتالية

---

[1] المرجع السابق، ص 222.

* فإذا كان الوجود يتحيّز في الأعلى فإنّ الموجود يتحيّز في الأسفل، وإنّ الأعلى والأسفل بوصفهما حيزين يفسران ثنائية تحدد الاختلاف والتباين بين الوجود والموجود، وأنّه للكيفية نفسها يتم النظر إلى ثنائية الوجود والموجود عند مستوى التعالى بوصفه انتقال من الوجود العيني إلى الوجود المنظور أو المتنوع بالتجريد.

[2] مارتن هيدجر، **نداء الحقيقة**، ص 357.

كانط والّذي يمثل شرطا لإمكانية التجربة، وتارة أخرى يكون هو الحركة الجدلية الّتي يغض بها الروح المطلق كما نراه عند **هيجل**، أو يكون تفسيرا لعملية الإنتاج كما نجده عند **كارل ماركس** (1818-1883) أو إرادة القوة وهي في صميمها إرادة المزيد من الحياة الّتي تصنع نفسها أو تبدعها حين تبدع القيم كما نراه عند **فريدريك نيتشه** وهذا الأخير يمثل في نظر هيدجر اللحظة الثالثة للميتافيزيقا، بحيث ظهرت مع نيتشه نهاية الميتافيزيقا بعد أن سارت في طريق الذّاتية فيذكر هيدجر أنّه لا يتبع المجال الآن للمناقشة قضية الميتافيزيقا وتاريخها لهذا رأى في ضرورة قهرها، ويرى هيدجر بأن الفلاسفة السابقين عنه غفلوا في معرفة وتساؤلهم عن حقيقة الموجود ولم ينتبهوا إليه [1] لذلك عمد هيدجر على المجاوزة وتتمثل هذه الأخيرة على حوار متباحث يسعى إلى تملك الميتافيزيقا من خلال عصورها، وما أشار إليه أبطالها بوصفها وجودا للموجود من هذه الفكرة عمل هيدجر على تقويض الأسس الّتي قامت عليها الميتافيزيقا بوصفها فكرا منسي للوجود في تاريخ الفكر الغربي، والمجاوزة عند هيدجر لا تنظر إلى الميتافيزيقا في تاريخها على أنّها مجموعة من الأخطاء ارتكبها المفكرون إذ أنّها لا يعتبر هيدجر الأعمال الفكرية لهؤلاء الأبطال وغيرهم على أنّها مجرد تصورات فلسفة أخطأت الطريق نحو الوجود وأن على المجاوزة أن تقوم بتوجه النقد وتصويب الخطأ، وذلك أنّ الميتافيزيقا لا يمكن الوقوف عند حقيقتها أي مجاوزتها إلا بالحوار والتباحث مع تاريخها بوصفها تاريخ الوجود[2].

نجد بناء على ما سبق ذكره تأويل هيدجر لفكر فريدريك نيتشه سيظل داخل أسوار الميتافيزيقا باعتماده على الثنائية والتي تمثل في الحقيقة والخطأ، الخير والشّر،والمعقول والمحسوس، الباطن والظاهر، قام هيدجر بنقد نيتشه ويشير صحيح أنّ نيتشه انتقد أساس الميتافيزيقا والّذي هو الذّات، ودعا إلى إقامة أساس مغاير يرد إليه المعنى والحقيقة غير أنّ نيتشه حسب هيدجر لم يخرج عن الأساس الميتافيزيقي الّذي هو مفهوم الإنسان أو الدازاين الّذي كان وراء خلق عالم من الأفكار المفارقة الّتي فقدت كل صلتها بالواقع الحسي، فلم يستطع تجاوز المفارقة الّتي تحكمت في نظرية الميتافيزيقا إلى جانب الإنسان

---

[1] المرجع السابق، ص197.

[2] محمد طواع، **هيدجر والميتافيزيقا**، بدون طبعة،(إفريقيا الشرق للنشر، المغرب، 2002)، ص 13.

الّذي كرست له ثنائية كحيوان وكائن عاقل. وإنّ هاجس قراءة هيدجر لنيتشه يرجع إلى كون فلسفة هذا الأخير تحققت تنبآته وضح هيدجر بأنّ ميتافيزيقا نيتشه لا يمكن أن تصيرمفهومة لدينا إلا إذا تفكرنا في أمر كلماته الأساسية في ترابطها الضروري والأصلي[1].

1.1.2 هيدجر ضدّ نيتشه في مسألة الوجود

يرى هيدجر بأنّه على الرغم مما قام به نيتشه من محاولة لتجاوزه للميتافيزيقا لم يتمكن من تجاوز الأسس الّذي قامت عليه الميتافيزيقا في نظرتها للإنسان بوصفه حيوانا ناطقا، إذ أنّه –نيتشه- كما لاحظنا لقد ظلّ يتحدث عن الإنسان من خلال قواه الجسدية تلك الّتي تقوم على إرادة القوة، ومن خلال هذه الفكرة يشير هيدجر بأنّ نيتشه لم يخرج عن الأساس العام الّذي اتخذته الميتافيزيقا عموما أساسا لقول الحقيقة أي الذّات بوصفها ظاهرة معقدة تتحدد قيمتها بالاستناد إلى صراع القوى وتراتبها.

حاول نيتشه نقد الذّات في نزوعها إلى المعقولية وكان هدفه هو جعلها أكثر ارتباطا بواقعها الفعلي وهذا ما جعل هيدجر يري بأنّ نيتشه لم يتخلص من آثار النزعة الإنسانية الميتافيزيقية وقد ظل ينظر إلى الحقيقة على أنّها خاطئة وليست مطلقة.أما بالنسبة لموقفه من نيتشه بصدد مسألة الوجود فيرى هيدجر بأنّ نيتشه على الرغم من نزعته التهديمية العنيفة لم ينتبه إلى قلب الأساس ليتسنى له التفكير في حقيقة الوجود، وإنّما حاول فقط فلح أرض الميتافيزيقا من دون أن يتمكن من مجاوزة الأساس الّذي قامت عليه عبر مختلف عصورها، أو نقول لم يفكر نيتشه في ماهية الإنسان من خلال النظر في حقيقة الوجود كانكشاف، لهذا يمثل تأويل هيدجر لنيتشه إحدى أهم منعطفات الأنطلوجيا المعاصرة الّتي يلتقي فيها تحليل الدّازين بخط التقويض، وعودة هيدجر إلى فكر نيتشه كانت غايته البحث عن الأساس التي انبنى عليه العقل الغربي وكذلك تهدف قراءة هيدجر نيتشه إلى دمج العود الأبدي لإرادة القوة في مسار تحليله **للدّازين*** لتزمن الكينونة. وإنّ ما يقصد نيتشه

---

[1] د فوزي العلوي، **حفر في أركيولوجيا العدمية لدى ميشال فوكو**، ط1،(دار المعارف الحكيمة للنشر، بيروت،2014) ص 35.

* **الدازين:** معناه الوجود أو الموجود، ولكن هيدجر يقصد به معنى مزدوجا: الوجود العيني الفرد الّذي يكون دائما على علاقة بالوجود،و كينونة الوجود الإنساني الّتي ينظر إليها من خلال ذلك الوجود العيني.

بإرادة القوة هو ضبط الحياة في مفهومها الزمانية كما يحتملها الدّازين، ولأنّ إرادة القوة لا موضوع لها إلا نفسها فهي إرادة منكسرة على ذاتها وتنتج ذاتها مع العدم.

إنّ هذه الإرادة ليس لها معنى آخر إلاّ من خلال التزمن إذ يقول نيتشه:"**إنّ كل صيرورة هي طريقة للتحرر من الوجود الأبدي، وهي ظلم يجب التفكير عنه بالموت**" [1]، من خلال هذه المقولة نلخص فكر هيدجر بعدة مصطلحات أشار إليها نيتشه وتتمثل في الصيرورة الوجود الظلم ، الموت، ولقد عبّر عنها هيدجر في كتابه " **الكينونة والزّمان**" الّذي نشره عام 1927م ويعدّ من أهم الكتب الّتي ألّفها، وحاول أن يعالج بطريقة معينة معنى الوجود والمشكلة الأساسية الّتي طرحها هيدجر في هذا الكتاب هي طبيعة العلاقة بين الكائن والكينونة والزمان، أراد بذلك أن يؤسس أنطلوجيا جديدة تختلف عن نظرية الوجود عن اليونان لأنهم الأوائل الّذين بحثوا في نظرية الوجود الّذين أرجعوها إلى الماء والهواء والتراب والنار ولم يبحثوا في حقيقة الكائن الموجود، وقام هيدجر ببلورة نظرية الوجود دون أن يهمل الكائن الموجود[1]. فالأساس عند هيدجر يكمن في البحث عن حقيقة الموجود والكينونة وعلاقتها بالكائن الزّمان و من ثم نجد أنّ نظرية الوجود عند هيدجر لا تنعزل عن الفكرة والحياة وكما نجدها تتعامل مع البشر باعتبارهم كائنات وجودية والصفات الأساسية لهذه الكائنات هي صفات لغوية لهذا يعطي هيدجر عدة صفات للدازين وتتمثل في:

الكائن هنا: L'être Dieu

ينطلق هيدجر من أنّ الكينونة تعبّر عن كائن موجود هنا، هذا الكائن يتميّز بوجود حقيقي إنّه هنا أمامنا، والشّيء الّذي نميّزه عن الله هو بالضرورة ليس هنا.

الكائن في العالم: L'être _qui au monde

يحمل هذا الكائن فضاء معينا في هذا العالم فهو وجود منفتح وديناميك ومرن وغير منغلق وجود متبادل العلاقات مع العالم، ووجود الإنسان في هذا العالم من أجل تحقيق غاية و أن يكتشف هذا العالم و كذلك وجوده.

---

[1] فريدريك نيتشه، **الفلسفة في العصر المأسوي الإغريقي**، تقديم ميشال فوكو، تعريب سهيل القش، ط2،(المؤسسة الجامعة للدراسات للنشر والتوزيع، بيروت، 1983)، ص 51.

الكائن مع الأخر-التعامل مع الآخر:L'être avec

الإنسان ليس وحيدا في هذا العالم لأنّه مع الآخرين ومن خصائص الإنسان الوجودي أنّه يضمن وجوده من حيث المبدأ، والإنسان حرا يعيش كما أراد، ولكن على الكائن أن يعيش حياة أصيلة وهي شعور الذات بحرية ومسؤولية للغير، لهذا لا بدّ أن يكون مسؤول عن حياته وذاته، أما عن الحياة الغير أصلية فتتمثل في انغماس الكائن في الحياة الاجتماعية للآخرين ويعيش حياة القطيع والّتي عبّر عنها نيتشه[2].

كائن قلق: L'être anscieux

يعبّر الكائن القلق عند هيدجر عن الحقيقة المتوارية في الإنسان والمصدر الأول للقلق للكائن البشري هو الحرية الّتي يتمتع بها ومن ثم علاقته بالعالم ومع الآخرين وليس هناك ضمانات إلهية تزيل هذا القلق، فالقلق ليس مسألة عقلية تأمليه وإنّه مسألة وجودية يعيشها الإنسان ويصنعه.

كائن مائت: L'être mortel

الإنسان هو الكائن الوحيد الّذي ينطلق عليه مفهوم الموت فمسألة الموت خاصية ليس عام بل إنّه مسألة فردية شخصية، وجود أصيل لا يأتي من الخارج، بل من الداخل ويأتي من البداية وليس من النهاية، فالموت عند هيدجر يمثل صرخة الولادة وهي صرخة العدم[1].

كائن بلا مسكن: L'être créature sans abri

مادام هذا الكائن مقذوف في هذا العالم فهو يبحث عن الاستقرار والكائن في طور التشكل مهمته الأساسية في هذه الحياة البحث عن الاستقرار، ولهذا لا بدّ بالبحث عن مستقر له.

من هنا يمكن أن نقول إنّ مشروع نيتشه غاية محددة هي الدعوة إلى هدم ميتافيزيقا قائمة من أجل إقامة ميتافيزيقا مغايرة تقوم على مفهوم الحياة، والميتافيزيقا من شأنها أن تشفي العصر من العدمية، وهذا ما جعل هيدجر يعيد نظرة نيتشه إلى الإنسان اليوم على أنه

---

[1] مارتن هيجدر، **نداء الحقيقة**، ص 42.

[2] مارتن هيدجر، **نداء الحقيقة**، ص60، 70.

خاضع لسلطة إرادة القيم عالما موضوعيا يتميز بالقبلية ويمثل مقياس تقويم سلوك الإنسان ومساره يقوم على أساس أفلاطوني يزعم أنّه من داخل عالم القيم نحن نقرر المصير ونجدد شروط إمكانية الحياة وحسب هيدجر هذا المسار الّذي يعلو من شأن الإنسان الأعلى هو المعنى للقيم العليا و الّتي لم تكن موجودة من قبل[2].

وهذا ما سوف يدفع بهيدجر بوضع شروط أساسية للدازين من أجل تحقيق استقرار واستمتاع بالحياة وتتمثل هذه الشروط في البناء: يعمل الكائن على تأسيس لنفسه مسكنا أو ملجأ يحميه ويستقر فيه ومن ثم هذا الكائن سوف يبحث عن الإسكان أي يعقب فعل البناء من ذلك الجهد المبذول بنوع من الراحة، ثم يبدأ الكائن بالتفكير في ظل الراحة والاستقرار والهدوء، ويستطيع الدازين في التفكير من أهم هذه المسائل الّتي يفكر بها الدازين هي فكرة الله ، الأرض اللّغة وهذه المسائل سينهي هيدجر حقيقة الدازين إلى أن المستقر النّهائي له يتمثل في اللّغة والّتي تمثل حقيقة الدازين ومسكنه الأخير[3].

يشير هيدجر إلى أنّ صرخة نيتشه في وجه العدمية جعلت منه فيلسوفا راهنا، فيلسوف يمثل لحظة متميّزة داخل عصور الميتافيزيقا، وما آلت إليه ماهية الفعل الوجود فيه لذلك صرّح هيدجر في وجه أهل هذا العصر بما معناه أن يكون قادرا على الانتظار، فهيدجر يثمّن جهود نيتشه الّذي حاول تقويض أساس الميتافيزيقا الأخلاق من أجل مشروع الإنسان والحضارة. وبهذا يكون هيدجر مفكرا حاور عصرا نذر فيه الفلاسفة من طينة أفلاطون أو ديكارت مثلا، فجاء حواره غير منفك عن تاريخ الفلسفة الّذي يقوم على شيء شكّل لغزا بالنسبة إلى الفلاسفة إنّه نسيان في الفرق الأنطلوجي بين الوجود والموجود، من هنا يطرح هيدجر سؤال الوجود ومشكلة مجاوزة الميتافيزيقا[1].

نلاحظ إذن في النهاية إنّ اهتمام هيدجر لمسألة الميتافيزيقا ومجاوزتها كان ذلك من أجل الوجود، ومن ثمّ تساؤله كيف تم التفكير فيه فلسفيا، وما نستخلصه أنّ هيدجر مهّد

---

[1] مارتن هيدجر، **نداء الحقيقة**، ص94.

[2] محمد طواع، **هيدجر والميتافيزيقا**، ص 198.

[3] هانز جورج غادمير، **طرق إلى هيدجر**، تر ناظم علي حرب، ط1، (دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،2002) ص 88،90.

الأساس الّذي سينبت عليها فكر الوجود، ورغم أنّه كان ضدّ نيتشه في بعض المسائل إلا أنّه قدّم قراءة مكثّفة لعمل نيتشه وحسب ألان دي بينوا* إن الطريقة الّتي يحلل بها هيدجر فلسفة نيتشه تمثل مرحلة أساسية من فكره الخاص.

1.2 المبحث الثاني: قراءة ميشال الفرنسية لفكر فريدريك نيتشه ميشال فوكو نموذجا

1.2.1 خلفية قراءة ميشال فوكو لفكر فريدريك نيتشه

لقد لعبت فلسفة نيتشه دورا حاسما في الساحة الفرنسية بحيث أثّرت إلى حد كبير في الوعي الفكري لدى عدة فلاسفة أمثال ميشال فوكو وذلك من خلال العمل على فهم الأوضاع الاجتماعية والسياسية والفكرية التي سادت فرنسا خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين محللا بذلك الثقافة الغربية، و لقد تنبأ نيتشه بوجود أزمات وحروب وأن الحضارة في طريق العدمية، وهذا ما جعل فوكو يتفطن بالبحث في بنية الحضارة لفهم الوعي الغربي في مساراته المتعددة، عمد فوكو بدراسة وتحليل الوضع الراهن في فرنسا وقد أضفى هذا التحليل إلى عوامل نفسها الّتي تنبأ بها نيتشه سابقا كيف ذلك؟

يرى فوكو بأنّ هناك الأحداث الكبرى شهدتها الحضارة الغربية والمتمثل في الحروب العالمية، وكذلك تعرض الفلسفة الفرنسية لأزمة بسبب تيارين ويتمثلان في:

أولا: التيار السياسي:

يظهر ذلك من خلال الضجة الّتي شهدها العالم والّتي أحدثتها حركات الطلبة عام 1968م إلى الثورة الإسلامية في إيران عام 1978م، وكذلك بروز القطاعات المثقفة وكانت غاية هذه الفئات البحث عن أنظمة سياسية جديدة مغايرة للأنظمة التقليدية المحافظة الّتي وصلت إلى السلطة عن طريق الاقتراع بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وكذلك محاولة إسقاط ديغول واستبداله بنظام آخر و الّذي يتمثل في الأنظمة اليمينية.

ثانيا: التيار الفلسفي:

---

[1] محمد طواع، **هيدجر ضد الميتافيزيقا**، ص 214،216.

* **ألان دي بينو:** مفكر فرنسي مهتم بالفلسفة.

ساد في فرنسا خلال الخمسينيات مشهد فلسفي يتمثل في ظهور عدة تيارات تتمثل في التيار الهيجلي، والتيار الماركسي، والتيار الوجودي الّتي تعلو من شأن الإنسان.

- **التيار الهيجلي:**

لقد تمكنت الهيجلية من توحيد الثنائيات الّتي كرستها فلسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر أين أعطى لها هيجل معنى آخر والمتمثل في الذات والموضوع الوجود والماهية، الفكر والواقع، العقل والحس، والصورة والمادة، القبلي والبعدي، إذ بواسطة الجدل تمكن هيجل من تجاوز الازدواجية وإدخال علاقات جديدة بين هذه الثنائيات، ولكن في ما بعد جاءت جينالوجيا نيتشه كرد على الدياليكتيك الهيجلي واعتبره نيتشه تفكيرا مقلوبا حول الاختلاف[1].

إنّ الفلسفة الهيجلية بما هي فلسفة **الفكرة الشاملة*** تهتم بتعيينات الفكرة سواء في المنطق أو في فلسفة الطبيعة أو في فلسفة الروح، وفي هذا المجال سعى هيجل إلى تبيان كيفية تمظهر وتجلي الذّات والّتي تفضي في نهايتها إلى الروح المطلق.

ولعلّ من بين التجليات الواضحة للنّزعة الإنسانية عند نجدها في فلسفة التاريخ، بحيث جعل هيجل العقل والجدل محركا للتاريخ[1]، وما التاريخ العالم سوى ذلك المسار العقلي الّذي يتجلى الروح في تدرجها نحو الوعي بذاتها، والّذي يشير هيجل في قوله:**"إن التاريخ هو مسار عقلي من أجل تحقيق الحرية"**[2]، ولقد استعان هيجل بمنهج الجدلي من أجل الوصول إلى المطلق.

انطلق هيجل من مبدأ الحرية فقام بتصور لنا رحلة الروح وذكر مراحل تحررها ولقد سلط الضوء على تاريخ العالم بدءا من الحضارة الشرقية مرورا بالحضارة اليونانية وصولا في نهاية المطاف إلى الحضارة الجرمانية، ولكن هذا التصور سوف ينتقده نيتشه من عدة أوجه فيوضح لنا على الرغم من أصالة فكرة الصيرورة والتطور عند هيجل إلا

---

[1] هيجل، **دروس في فلسفة التاريخ**، تر امام عبد الفتاح امام،ج1، (دار التنوير، بيروت،1983)، ص 78.

* **الفكرة الشاملة** : هي معرفة مطلقة،أساس المعرفة العقلية وتعتبر من القوانين الجدل الهيجلي، وهي مرادف للعقل الخالص و نسقا لمنطق كله.

[1] هيجل، **دروس في فلسفة التاريخ** ، ص79.

[2] المرجع السابق، ص129 .

أنّ مجالها لم يكن شاسعا بحيث جعل الصيرورة نهاية أي اكتمال التاريخ للروح وللإنسان، في حين يرى نيتشه بأنّ الإنسانية الحديثة ليست اكتمالا بل تتميّز بالانحطاط وأنّ العصور الحديثة هي أكثر عصور الضعف والانهيار الّذي أصاب الحضارة الغربية، وذلك من خلال تراجع القيم ويرى نيتشه بأنّه عصر المرض والانحطاط.

من خلال هذه الأفكار نجد اطلاع فوكو على فلسفة هيجل وذلك بفضل أستاذه" **جون هبوليت" Jeant Hyppolite**" ولكن فوكو انتهى إلى نقد سمة الإفلات الّتي يغلب على هذه الفلسفة بحيث رفض فوكو لكيفية تطور التاريخ عند هيجل وما يفضي إليه من انغلاق وشمولية، لهذا لجأ فوكو إلى نيتشه باحثا على فكرة تساعده في فهمه للتاريخ وهذا ما نتطرق إليه في فصلنا الثاني، لقد تفردت الفلسفة الهيجلية وفق فوكو ويشير إلى السبب الّذي يجعل التاريخ موضوعا مركزيا للفيلسوف، فالفلسفة تفلسف في التاريخ ليس مجرد تأويل له بل أنّ الوعي بالتاريخ كمرجع للفيلسوف فالهيجلية في البدء حسب فوكو فحص نيتشوي وذلك من خلال مشروع فلسفة التاريخ [1] .

- **التيار الماركسي:**

إنّ صعود الفكر الماركسي كنموذج كان قد تمثل في تحرك كل الاتجاهات الفلسفية الكبرى السائدة في فرنسا داخل أرضية إيديولوجية سياسية تمثلها الماركسية بمختلف تياراتها من اليسار إلى اليسار المتطرف، ووفق هذه الأرضية السياسية الجديدة بدأت الفلسفة الفرنسية تهتم بالذات وكأنّها مقبلة بشكل حتمي على الركوب تيّار الفكر الماركسي أو على الأقل الاتفاق معه[2].

من خلال هذه الفكرة اعتبرت الماركسية في عصر فوكو إحدى وسائل الإفلات من هيمنة هيجل، غير أنّ نزعتها الإنسانية تجعلها موضوع نقد من طرف فوكو فالماركسية حتى وإن نهضت على نقد مثالية هيجل إلاّ أنّها تمنح للممارسة الإنسانية منزلة مخصوصة طالما أنّ الإنسان هو من يطوّرها وقادر بواسطة الفعل على تحقيق الوعي ولكنّهم يستطيعون إذ ما حصلوا على الوعي الطبقي أن يغيّروا واقعهم الاجتماعي والاقتصادي

[1] محسن سخري، **فوكو قارئا لديكارت**، ط1،(مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1997)، ص 34.
[2] د علاء طاهر، **نهايات الفضاء الفلسفي**، ط1، (مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة 2005)، ص 38.

وحتى السياسي، ومن ثم فإنّ الفلسفة الماركسية فلسفة إنسانية في جوهرها لأنّها تبشر بولادة مجتمع إنساني على أنقاض المجتمع البرجوازي كما تبشر بمجاوزة الاغتراب[1].

- **التيار الوجودي:**

احتلت الفلسفة الوجودية مكانة هامة في الساحة الفكرية الفرنسية ثم العالمية منذ الخمسينيات والّتي كانت مجسدة بفكر جون بول سارتر كانت فلسفته فردانية تتموضع داخل العالم الذاتي للفرد ووعيه ومن خلال هذه الفكرة يثمّن فوكو جهود الفلسفة الوجودية فيبيّن أنّها ذات أساس إنسي لكونها تعبّر عن مفهوم الذّات وتؤكّد على أولوية الذّات وقيمته الأساسية إذ لا معنى للعالم دون فعالية الذّات.

ضمن هذا السياق السياسي والفلسفي استطاع فلاسفة فرنسا المعجبين بنيتشه إلى حدّ الهوس -فوكو، دولوز، دريد- أن يعبّروا عن إعجاب بفكر نيتشه، ووقفوا ضدّ نقاده الّذين اتهموه- نيتشه- بالتواطؤ مع النازية، ولقد اتخذ هؤولاء الفلاسفة منهجا خاصا بهم للدفاع عن فكرهم وبهذا حدد مسار الفكر الفلسفي لميشال فوكو على أساس سعيه لتغيير الوضع الراهن لفرنسا آنذاك واكتشافه للفيلسوف الألماني نيتشه الّذي حررّه –فوكو- من أطر النزعة الإنسية الّتي كانت مهيمنة على الفكر الفلسفي الفرنسي، وبهذا يمكن القول أنّ عصر فوكو هو عصر غلبت عليه التيار الإنسي وقوام هذه الأخيرة اعتبار الإنسان ذات وعي، كائنا حرا صانعا لنفسه تاريخا، لكنه هذه الفكرة سيتجاوزها فوكو بفضل نيتشه إلى الذّات الّتي سوف تزول وتتلاشي بتعبير فوكو، وهذا ما سوف نتطرق إليه في فصلنا الثاني المعنون "بموت الإنسان".

ثالثا:الخلفية الفكرية: تكمن الخلفية الفكرية لقراءة فوكو لفكر فريدريك نيتشه في كيفية نقد نيتشه للذّات الأوربية و أنّه ضدّ مبادئ الفكر والذي يأخذه فوكو في ما بعد بعين الاعتبار[2]، ولقد أشار إلى أنّ الفكر عدواني بطبيعته، لهذا رأى نيتشه بأنّ معظم الفلاسفة الحداثة قد آمنوا بقدرة العقل على اكتشاف الحقيقة الوجود وكذلك جعلوه في منزلة أعلى من الوجود، وكذلك عندما ينظر نيتشه إلى المنطق وقوانين الفكر على أنّه مجرد أوهام وهي أدوات

[1] نور الدين الشابي، **فوكو قارئا لنيتشه**، ط1،(كلمة للنشر ، تونس،2016)، ص 69.
[2] محمد صفار، **تفكيك القوة عند ميشال فوكو**، بدون طبعة، مكتبة الاسكندرية للنشر،بدون سنة ،ص 24.

للتملك والسيطرة كما يقوم بالتفكير، فالأشياء في العالم الخارجي حسب نيتشه لا تسير وفق قوانين محددة وإنّها هي في صيرورة دائمة وتدفق مستمر ومن المستحيل وجود قانون يحدّها، إنّ القوانين حسبه مجرد أداة وحيلة اخترها العقل فقط كي يقوم بعملية الإدراك وبالتالي فإنّ عدم معقولة شيء من الأشياء ليست حجة ضدّ الوجود، بل بالأحرى إنّها شرط لوجود هذا الشيء لأنّ الوجود الملىء بالصيرورة يتناقض مع العقل وبدره يتنافى مع المعرفة العقلية، وإنّ الّذي يمكننا تصوره عقليا لا بدّ أن يكون وهما لا حقيقة له[1]، وهذا هو السبب الأول لمعاداة نيتشه للعقل أي النّظر إليه كتعارض هدام مع الحياة، كذلك هناك سبب ثاني المتمثل في صلته الضرورية و التأسيسية للحقيقة، إذ يؤكد نيتشه أنّ الذّاتية حوّلت العقل إلى طاغية يستدعي معرفة كل شيء، ولا بد بالإحاطة بكل شيء والواقع أن العقل سلاح الضعفاء وذلك من أجل البقاء، وكذلك في كون السلطة هي التي توفر لنا مبادئ المؤسسة للحقيقة والتي تسمى بمبادئ الفكر والّتي تعتبرها مجرد أوهام فابتداء من الفلسفة الحديثة أي مع ديكارت برز مدى انشغال الفلسفة بترابط العقل مع الحقيقة ترابطا جوهريا[2].

برز مدى انشغال الفلسفة بترابط العقل والحقيقة بدءا من الفلسفة الحديثة أي مع ديكارت وكانط وهيجل، فمعقولية الحقيقة في الفلسفة الحديثة تفيد أنّ العقل بما هو تفكير الذاتية قد نصب نفسه سلطة حقوقية عليها، وطبقا لقراءة الجينالوجيا لنيتشه يرى هذا الأخير فيما يخص بنقد معقولية الحقيقة: "بأنّ خطأ الفلاسفة يكمن في الواقع في كونهم بدلا من أن <يروا> في المنطق ومقولات العقل وسيلة من أجل تنظيم العالم بهدف نفعي وإذ أخذوها على اعتبارها مقاييس للحقيقة وبالتالي للواقع، إلا أن الحقيقة الوحيدة تكمن في المنفعة البيولوجية" من خلال هذه المقولة يظهر نقد نيتشه لديكارت من خلال مسألتين وهما:

أ- تتمثل المسألة الأولى في :

[1] عبد الرحمان بدوي، **نيتشه**، بدون طبعة،(وكالة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، 1985)، ص 203.
[2] بير مونتيبيلو، **نيتشه وإرادة القوة**، تر جمال مفرج، ط1،(منشورات الاختلاف،الجزائر،2010)، ص 40.

أكذوبة ديكارت الّذي حاول أن يبني العالم والعلم على أساس حقيقة يقينية باعتماده على منهج عقلي[1]، يبقى ما هو إلا محاولة لتضليلنا به< العقل> فمشروع ديكارت وفق نيتشه لا بدّ من مراجعة الماهية الإنسانية، إذ يخبرنا أن جزءا حاسما وأساسا منّا يحال إلى نشاط لا واع إذ نفى قابلية أنا شفاف فما الكوجتو سوى منحنى مظلم courbe » « obscure، لهذا يسخر نيتشه من الاعتقاد بوجود يقين مباشر لمثل هذه القضية الفلسفية، ومازال هناك مؤيدون للاستبطان إذ يعتقدون بوجود يقينات مباشرة، مثل "أنا أفكر" أو مثلما يتخيل شوبنهاور" أنا موجود" يخبرنا نيتشه إذا كان مشروع ديكارت يجمع بين الماهية والإرادة لدى الإنسان فمن منظور نيتشه لا يمكن أن نريد إلى إرادة واحدة بل لا بدّ من تداخل بداخلها عدة إرادات وحين نتأكد من ذلك فإنّ نيتشه يلغي مشروعية الكوجتو الديكارتي القائم على أحادية الإرادة وبهذا يعتبر نيتشه ديكارت كان مخادعا للإنسان الغربي[2].

ب- وتتمثل المسألة الثانية في:

تلك العلاقة الّتي تجمع بين الإنسان والعالم وما تحمله من نظريات تهميش للعالم، إذ قام ديكارت بتبسيط العالم، فهذا الأخير ما هو إلا واقع مثقل بالغرابة والغموض والإشكال وفق نيتشه إذ لابد أن ينظر إلى العالم من جهة أنّه وجود مطابق لذاته إذا ما اعتبرنا أن مقياس النظر الديكارتي للعلم ينخرط في مشروع إحالة العالم الإنساني*، وحسب نيتشه ديكارت كان يسعى إلى إنشاء نسق خاص به في حين أنّه يبقى صدى لفكر سابق عنه قد يكون مقياس النظر الأفلاطوني أو سقراط، وذلك من خلال عودة أفلاطون إلى فكرة الفصل بين الظاهري وما يكون مختفيا من جوهر أما ديكارت فإنّه سعى إلى إقناعنا بضرورة الفصل بين الكيفيات الأولى والكيفيات الثالثة وكان من الأفضل أن يخبرنا أولا بالعودة إلى أفلاطون، باختصار كان ديكارت حسب نيتشه نسيج مركب من أفلاطون أولا ومن لوثر ثانيا وذلك من خلال إعطائه صورة أصلية عن فلسفة لوثر، تلك هي بعض

[1] محسن صخري، **فوكو قارئا لديكارت**، ط1،(مركز الإنماء الحضاري،حلب،1997)، ص 42.

[2] المرجع السابق، " ص 43.

* ديكارت لا يتردد ضمن تجربة نظر دورية في فهم العالم على أساس أنّه نوع من التقدم الخطي.

مقاصد المراجعة النيتشوية لديكارت والّتي تختلف جذورها عن التأويل الهيجلي لديكارت طالما أن ديكارت لم يكن سوى صدى لماض أو تكرار ساذج وسالب لفكر كان[1].

إنّ الّذي ينبغي الإشارة إليه بخصوص نيتشه بأنّه الفيلسوف الّذي يوضع موضع التساؤل في تاريخ الحضارة الغربية، إذ يرى أنّ الفلسفة حركة سلبية في الأعماق وهو في كفاحه ضدّ الميتافيزيقا الغربية وبحثه عن الحقيقة كل هذه الدوافع جعلت فوكو يهتم بفكر نيتشه من أجل الوصول إلى حقيقة الحضارة الغربية، وفي مواجهة التيارات الفكرية السائدة

في فرنسا قبل 1968م حدد فوكو لنفسه مهمة استكمال ما قام به نيتشه وخاصة في نقد للحداثة الغربية، ونيتشه هو الّذي مهّد لفوكو الطريق أمام خطاب فوكو لتفحيص بنية الحضارة الغربية.

لقد عاش فوكو داخل هذا الفضاء الفكري الّذي حددت معالمه بعد الحرب العالمية وكذلك التيارات الإنسانية الّتي قام بدراستها، لكن رغبة فوكو تتمثل في انجاز عمل شخصي من أجل قراءة مشكلات الّتي أرّقت نيتشه، ولعلّ ما يمكن استخلاصه من هذا القول أنّ عودة فوكو إلى فكر نيتشه تنزل ضمن حواره مع التيارات الفلسفة الإنسانية السائدة في عصره[2] وهذه هي المرجعية الفكرية الّتي كانت مسيطرة على الجامعات الفرنسية آنذاك.

وبيدوا أنّ الصلة الموجودة بين نيتشه وفلاسفة ما بعد الحداثة تتجاوز ذلك كلّه إلى ما هو أعمق و أبعد ويتجلى ذلك من خلال عودة فوكو إليه، وسبب العودة يكمن في السبب الذّاتي من خلال ارتباط فوكو بحياة و أفكار وشخصية نيتشه وكذلك رفض هذا الأخير للعادات والقيم القديمة وكما لديه نظرات ثاقبة في الحياة والّتي تمثّل ثورة عند فلاسفة الفرنسيين وخاصة لدى ميشال فوكو، لهذا يمثل نيتشه إذا خطوة أساسية في اتجاه فوكو الفلسفي بحيث نيتشه وضع الأساس وبعد ذلك عمل فوكو على اكتمال البناء، كذلك نجد نيتشه ملهم بينما فوكو مبدع.

---

[1] محسن صخري، **فوكو قارئا لديكارت**، ص 44.

[2] Michel Foucault , **dits et écrits ;1954-1974**, Gallimard, paris , P 529 .

1.2.2 كـــــيفـــــية قـــــــراءة فـــــــوكو لـــــــفكر نـــــــيتشه

قرأ فوكو نيتشه قراءة علمية استنادا إلى معطيات العلمية الجديدة فقد أسهمت هذه القراءة في فهم ما يريد فوكو الوصول إليه ألا وهو تحليل بنية الحضارة الغربية، وإنّ ما يميّز قراءة فوكو عن باقي القراءات الأخرى هو اعتماده على أسس علمية بحيث تناول عدّة مسائل لم تكن لديها اهتمام من طرف الفلاسفة من قبله[1].

تعرف فوكو على نيتشه أثناء قراءته لهيجل و ماركس وهيدجر وهذا ما أشار إليه فوكو في قوله:" **لقد بدأت بقراءة هيجل و ماركس، ثم شرعت في قراءة هيدجر سنة 1951-1952، وفي سنة 1953 قرأت نيتشه إنّ لدي بعض الملاحظات الّتي دونتها حول هيدجر عندما كنت أقرؤه وإنّ لي منها أطنانا وهي بالأحرى أكبر أهمية من الّتي دّونتها عن هيجل وماركس، لقد تحددت مسيرتي الفلسفية بقراءة هيدجر، ولكني أقر أنّ نيتشه هو الّذي انتصر في نهاية المطاف، فأنا لا أعرف هيدجر بما فيه الكفاية ولا أعرف بالفعل الوجود والزمان أو ما نشر مؤخرا إنّ معرفتي بنيتشه أفضل من معرفتي بهيدجر ومع ذلك لا أنكر أنّهما يشكلان تجريبتين أساسيتين الّتي خصصتها**"[2]، ونجد في هذا القول استحضار فوكو أفكار نيتشه لتجسيدها على أرض الواقع و ذلك من أجل تجاوز الأزمة الّتي عاشها ويبدو أنّ مشروع الفلسفي والتاريخي لفوكو هو تحقيق لرغبة نيتشه وسيره في مساره لكون نيتشه صاحب رسالة حضارية والّذي سعى من خلال أفكاره إلى تفكيك و إعادة بناء الأسس للقيم والأخلاقية والفكرية الّتي تقوم عليها الإنسانية في أوربا بوجه خاص، وما كان يبحث عنه فوكو وجده داخل فلسفة نيتشه وكذلك المسائل الّتي تطرق إليها نيتشه في كتبه المتعددة والّتي اشتغل بها فوكو في مختلف مواضيعه وكانت غايته أن يبرز كيف تشكلت الهوية الغربية، وبفضل نيتشه تمكن فوكو من متابعة لإرادة القوة الّتي تحكمت في تاريخ الغرب وهذا ما بيّنه فوكو بأنّ ما أنتجته الحضارة الغربية لم يؤد إلا إلى قمع الإنسان وغلق السياج عليه حتى يمكن التحكم فيهم، وبفضل أفكار نيتشه حاول فوكو

---

[1] محسن صخري، **فوكو قارئا لديكارت**، ص ، 45.

[2] Michel Foucault, **dits et écrit,1954-1975,** Gallimard ,Paris, p703.

البحث عن أنماط النظام والتنظيم في المستويات العميقة للمعرفة والثقافة في الحضارة الغربية.

ومن خلال هذه الأفكار نجد اطلاع فوكو على انجازات نيتشه عبر مرحلتين، فتظهر المرحلة الأولى من خلال جورج باتاي حيث كتب فوكو سنة 1923 **"أعرف لماذا قرأت نيتشه لقد قرأته بسبب باتاي"** [1]، والذي قرأته سنة 1922 بهدف تحقيق في نصوصه محاولا تصحيح المخالطات الّتي لحقت بها أخت نيتشه إليزابيت أثناء مرض نيتشه وجعل باتاي فكر نيتشه فيما بعد قابلا للقراءة وتطهيره من الدنس النازي وما أشّد باتاي إلى فكر نيتشه هو نقد نيتشه لمفهوم الذات ولذلك فإنّ كتابات باتاي بالنسبة لفوكو هي بمثابة المدخل إلى فكر نيتشه أما المرحلة الثانية حدث ذلك من خلال قراءة فوكو لهيدجر حيث كتب فوكو سنة 1984م:" **لمن المحتمل أنّني لم أكن لأقرأ نيتشه، لو أنّني لم أقرأ هيدجر"**[2].

لقد كان إطلاع فوكو على فكر نيتشه في مسيرته حدثا أساسيا ويشهد فوكو قائلا: **"لقد كان نيتشه بمثابة الوحي بالنسبة لي، ولقد بدا لي أنّني اكتشفت مؤلفا مختلفا جدا عن الّذي علموني إياه، لقد قرأت نيتشه بكثير من الشغف وقد عزلت عن حياتي وهجرت عملي في المصح النّفسي وغادرت فرنسا، لقد كنت أشعر أنّني وقعت في الفخ وقد أصبحت غريبا عن الجميع وهذا بسبب نيتشه"** [3]، ومن خلال هذا القول يؤكد فوكو بأنّ تعرّفه على نيتشه كان أكبر تجربة فلسفية عاشها في حياته، وأن نيتشه هو الّذي غلب عليه في توجيهه الفلسفي وذلك من خلال ثلاثة لقاءات جمعته بينه فكان اللقاء الأول يتعلّق بمفهوم القوة أما اللقاء الثاني فيتعلق بأطروحة "موت الإنسان" الّذي يعني موت بشكل محدد من تصورات الإنسان، واتخذ صورته القصوى في نزعة الإنسانية كإرث لميتافيزيقا لتجريد الحداثة و فكر الأنوار، أما اللقاء الثالث يظهر في علاقة الحياة بالإبداع والخلق وجعلها موضوعا للفن[4]. لهذا نجد بأنّ فكر نيتشه حاضرا في كثير من مؤلفات فوكو سواء صرح بها أو لم يصرح بها على نحو يمكننا من تكوين فكرة شاملة عما يمكن

[1] Michel Foucault, **dits et écrits, 1954-1975**, Gallimard Paris, P437.

[2] Ibid.,p703.

[3] Michel Foucault, **dits et écrits1954-1975 ,** (Gallimard, Paris),p 780.

[4] د أحمد عبد الحكيم عطية، **ما بعد الحداثة والتفكيك**، بدون طبعة،(دار الثقافة العربية، القاهرة ،2008)،ص 86.

أن نسميه " **قراءة فوكو لفكر نيتشه**" وهي قراءة تأخذ فكر نيتشه محمل الجد كما فعل غيره (هيدجر، باتاي، دولوز) ويشير فوكو في كتابه "**البنيوية وما البنيوية**":"إنّ ما يثير الدهشة أن شخصا مثل دولوز قد أخذ نيتشه على محمل الجد، وذلك ما أردت أنا أيضا فعله، رغم أنني كتبت عنه القليل إلا أنّ تكريمي الوحيد له هو ما يظهر في مؤلفاتي خاصة الجزء الأول" تاريخ الجنسانية وفي كتاب إرادة المعرفة".

للحديث عن فكر نيتشه وفوكو نجده من المواضيع الخصبة، بحيث اعتبر فوكو نيتشه رمزا من رموز حداثتنا رغم وجود فلاسفة عظماء أمثال: ديكارت، هيجل كانط ماركس وغيرهم والّذين تركوا بصمات لا تمحي في تاريخ الفكر الغربي إلاّ أنّ نيتشه هو الأهمّ من بين هؤولاء جميعا، وأن نيتشه حسب فوكو هو الّذي دفع بالتساؤل القديم حول ماهية الاله والإنسان إلى أقصى درجاته.

أدخل فوكو إلى التفكير الفلسفي عدة موضوعات لم تكن محطة اهتمام الفلاسفة، وعمل على إبراز ما كان منسيا ومهملا، ولقد جدّد تفكيره الفلسفي بعدما كان مقتصرا في بداية القرن العشرين على صيحات منادية بنهاية الفلسفة وموت الميتافيزيقا، وكانت غاية فوكو من التجديد هو محاولة إظهار الوجود الّذي يخص نهاية هذا القرن بنقده من جهة والتفكير في ما يبدوا مستحيلا التفكير فيه، من خلال هذه الأفكار نجد أنّ قراءة فوكو لفكر نيتشه جاء على ضوء المستجدات العلمية والمعرفية السائدة في تلك الفترة، وقد طبق فوكو منهج جديدا بغية الوصول إلى تاريخ الحقيقة للفكر الغربي، لذلك حاول فوكو بدوره أن يؤكّد على وجود انقطاعات وابستمولوجية في الحضارة الغربية وكذلك عمل على استقصاء الأرضية الّتي جعلت من العلوم الإنسانية علوما ممكنة ليضعها بعد ذلك في إطارها المعرفي الّذي تستحقه[1]، ومن بين المناهج الّتي طبقها فوكو في دراسته لفكر نيتشه نجد:

أولا - المنـــــــــــــــهج البنـــــــــيوي من خلال موت المؤلف:

قوام البنيوية هو الاكتفاء بقراءة داخلية للنصوص طالما أن هذه الأخيرة مكتفية بذاتها من جهة المعنى، لذلك نجد أنّ ميزة النقد لا تكمن في إعادة بناء فكر أو تجربة ما من خلال النصوص، بل يتعيّن على النّقد تحليل الأثر في بنيته وشكله الجوهري وعلاقته

الداخلية لكون البنيوية تستمد عناصرها من الداخل وليس من الخارج، ويشير فوكو أنّ ما ألّفه نيتشه لم ينشر خلال حياته، فكتاب "إرادة القوة" مثلا قد نشر بعد مماته أضف إلى ذلك أنّ ما نشره نيتشه خلال حياته لم يكن دائما منسجما مع مقتضيات التأليف الفلسفي السائد في عصره لقد أحدث نيتشه تغييرا في أساليب الكتابة الفلسفية المألوفة باعتماده على الأسلوب الشّذري والاستعارات والملاحظات الّتي تضمن في الهوامش، والّتي تبدو غير منسجمة مع النص ولهذا يقول فوكو **:" لنفترض أن الأمر متعلق بمؤلف، فهل أنّ كل ما كتبه أو قاله وكل ما خلفه وراءه جزء من آثاره ؟"**[2] وبخصوص أعمال نيتشه يشير فوكو إلى أنّها تشكو الكثير من التشوهات الّتي لحقتها بفعل سوء تصرف أخته إليزبيت، وهذا ما ينطبق أساسا على مخطوطاته ولعلّ السمة الغالبة على الفكر الغربي في تقدير فوكو يتمثل في تلاشي صورة المؤلف من خلال فرديته الخاصة وفي اعتقاد فوكو أنّ عبارة المؤلف كانت لعهد طويل بمثابة العبارة الّتي يمثل لحظة فردية قوية في تاريخ الفلسفة والعلوم والأدب وخاصة على مستوى الأفكار كما أنّ دور المؤلف لا ينحصر في الهوية واحدة بل إلى ما هو أعمق من ذلك وذلك من خلال الكتابة. لقد صاغ فوكو ببراعة في كتابه " الكلمات والأشياء" فقال:**"إنّ نيتشه أوضح لنا أهمية أن نسأل دائما من الّذي يتحدث؟ في أي نص؟ ومن أين وضع التاريخ؟ وبأي مصلحة معينة (السلطة) الّتي يستمع إليها الآخرين"**[3].

من هذا القول يبيّن فوكو لفهم نيتشه لا يكفي تكرار القول بتلاشي المؤلف، لذلك لا بدّ أن من إظهار البنية الداخلية للنص على نحو ما يفعله البنيوي و كذلك العمل على مراجعة حضور الدافن لشخصية كشخصية نيتشه، ولقد سعى فوكو من هذه الزاوية الكشف عن الوجه نيتشه الحقيقي ومنزلته المخصوصة في تاريخ الفلسفة بحيث تشكّلت مدوّنة نيتشه تحولا جذريا في هذا التاريخ و كذلك يمثل ظهوره تصدعا في تاريخ الفكر الغربي.

---

[1] د عمر مهيبل، **البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر**، ص 55،56.

[2] Michel Foucault , **dits et écrit ,1954-1975**, Gallimard, Paris ,p79.

[3] ياسر شعبان، **فـــــوكو**، بدون طبعة،(مؤسسة الكنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون سنة)، ص 17.

لم يعد في الساحة الأوربية إلا فلاسفة الشّك والارتياب أي ماركس، وفرويد، هيدجر ثم بالطبع نيتشه وذلك من خلال طرحه لسؤال من المتكلم؟ ومن هو الإنسان؟ وماذا نعني بفلسفة الارتياب والشّك الّتي تبناها فوكو وأتباعه دولوز ودريدا على أثر نيتشه؟ إنّها تعني عدم الثقة ببراءة أي شخص أو أي نص، فهي عندما تقف أمام نص لا تتساءل ما معنى هذا النص؟ ما مضمونه؟ ما محتواه؟ و إنّما تتساءل من كتب هذا النص ؟ ولماذا كتبه؟ وما هي الدوافع الخفية الّتي دفعته إلى كتابته ؟ وهكذا لا يعود هناك أي مجال للفكر الموضوعي في مثل هذا الجو المحمول من الارتيابات والشكوك عندئذ يصبح كل شيء مشوها ويبقى العمل كلّه مقتصرا على تفكيك النصوص الفلسفية السابقة دون أن نفكر في بناء فلسفة جديدة قائمة على الإيجاب لا على السلب[1].

ثانيا ـ القـــــــراءة الفـــــــــلولوجيا: la philologie

تتميّز قراءة فوكو لنيتشه بالاستعانة للطريقة **الفيلولوجية*** في مقارنة النصوص وقوام هذه الطريقة تنبع من خلال تشكل الألفاظ وبيان الفوارق بينهما، وما يتجلى مثلا من خلال تناوله لمسألة الجينالوجيا عند نيتشه، فلقد كان هذا الأخير يؤكّد على قيمة التساؤل الفلولوجي لكيفية تكوّن بها الألفاظ وتناقلها وتداولها، وهو يرى في القراءة الفيلولوجية أفضل طريقة لتفسير النصوص و التبسيط فيه وهذا ما يؤدي إلى فهم ما يقوله الكاتب لقد كان نيتشه مدركا خصوصية الأسلوب الّذي اعتمده في الكتابة وصعوبته فهو أسلوب لا يقوم على النّسقية إذ يقول نيتشه:**"إنّ أسلوبي ضرب من الرقص"** لهذا يؤكد فوكو دوما على ضرورة اتخاذ مساحة نقدية من ضروب التفكير السائدة وإظهار الحقيقة والجرأة في تناول المسائل الّتي أحيطت دائما بإجراءات المنع، فوكو يعتبر شخصية نيتشه نموذجا لهذا التوجه الفلسفي الّذي جمع بين اللّغة والكينونة وذلك من خلال تفكيره الجذري للغة والإنسان وهذه المهمة الّتي يتخذها فوكو كقاعدة ومنطق لتفكير في اللّغة وأين ينعكس هذا التفكير في ثلاثة مستويات ويتمثّل الأول في المستوي الذّاتي أما الثاني يظهر في

---

[1] هاشم صالح، **نيتشه في مرآة الفكر الفرنسي على هامش كتاب جاك لوريدير**، العدد 27،مطبوعات الجامعات الفرنسية، باريس، 2008، ص 6،7.

* الفلولوجيا: علم المقارن، الّذي تفرع عنه علم اللغات اللسانيات في أوربا، و يرتكز على مقارنة اللغات لتحديد الصّلة التاريخية بينها.

المستوى العلمي والتاريخ وأما الأخير فيتمثّل في المستوى الفلسفي، وكما يشير فوكو إلى أنّ اللّغة تعتمد على مبدأ التفسير والتأويل خاصة خلال القرن التاسع عشر، ويظهر ذلك من خلال أعمال نيتشه الّتي تعدّ مجرد نقد لبعض الكلمات اليونانية وتأويلها، وكما لاحظ فوكو بأن اللّغة لم تأخذ مكانتها في حقل المعرفة الغربية إلاّ خلال القرن العشرون من خلال **مالارميه** (1842_ 1898) والّذي عمل على إظهار الكلمات بوضوح وإثبات غموضها، وحسب فوكو ليس مهما أن نتعرّف على نيتشه من خلال كتابه" **الخير والشّر**" ولكن المهم أن نتعرّف ماذا يعني كل واحد منهما ومن يتكلم باسمهما، و في الأخير نجد بأنّ اللّغة عند كل من نيتشه وفوكو تتوجّه بكل قوّة نحو الذّات و نحو الكينونة لهذا يعتبر فوكو نيتشه أبرز من كتب بلغة صعبة ودقيقة أي أنّها لغة ازدواجية وهذا من خلال قوله:" **عندما نتأمل لغة نيتشه من الدّاخل فإنّنا نكتشف بأنّه لم يقتل الإله فحسب، وإنّما قتل الإنسان معه أيضا**"[1].

ثالثا- قـــــــــراءة الابستمولوجية: épistémologie

سعى فوكو إلى بيان القطيعة الّتي أحدثها نيتشه في تاريخ الفكر الغربي وذلك في تناوله لعدة مواضيع منها الحقيقة، المعرفة، التاريخ وغيرها إذ كان نيتشه يؤكّد على مفاهيم

التحول والتصدع أكثر من الحديث عن معاني الاستمرارية والاتصال، لهذا عمد فوكو في البحث عن القطائع الابستمولوجية* في كلّ عصر إذ تشير الباحثة **جويننـي باتريك (Juin net Patrick)** أنّ فوكو استخدم مصطلح الابستيمولوجيا ما بين (1965- 1975) والّذي ظهر في كتابه " **الكلمات والأشياء**"سنة 1966 ولقد ظهر بشكل عرضي وخلال مناقشة فوكو مصطلح الابستمي مع "**نعوم تشوميكسي**" في عام 1971م كشف فوكو عن غايته من استخدام القطيعة، وأنّه كان يسعى إلى فهم تحولات المعرفة في كل من المجال العام للعلوم وأيضا ضمن المجال العمودي إلى حد ما الّذي يشكّله مجتمع وثقافة وحضارة

[1] د عمر مهيبل، **البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر**، ص 78، 79.

* الابستمولوجيا : حسب قاموس لالاند، تعني الابستمولوجيا فلسفة العلوم بمعنى أكثر دقة فهي ليست دراسة خاصة لمناهج العلوم إنّها الدراسة النقدية للمبادئ والفرضيات والتاريخ العلمية،و الدراسة الهادفة إلى بيان أصلها و قيمتها.

في لحظة معينة إذ يشير مصطلح ابستمي عصر ما إلى طريقة في التفكير وفي تمثل العالم ومن شأنها أن تمتد على نطاق واسع إلى جميع الثقافات ولا شكّ أنّ فوكو كان واقعا في هذا المجال الابستمولوجي ومن خلال تأثيرين أساسيين فيظهر التأثير الأول بإرث **باشلار** (**G Bachlar**)(1884-1962) الّذي يرى أنّ مهمة الابستمولوجي هي متابعة أثر المعارف العلمية في بنية الفكر، وهذا التجديد يتضمن مفهوما مخالفا للفكر كما تقوم به الفلسفات الكلاسيكية الكبرى الّتي تؤمن بفكرة الفكر الثابت، وكما تطرق باشلار إلى أنّ مهمة الابستيمولوجيا تتمثل في اكتشافه لجمل من العوائق الّتي تعرقل عملية المعرفة والّتي سماها بالعوائق الابستيمولوجيا ويضيف أنّ قيمة الابستمولوجية تكمن في تبيان دلالة الاكتشافات العلمية في جميع النواحي سواء كانت ثقافية و علمية و اجتماعية و غيرها[1].

أما التأثير الثاني يظهر تظهر المساهمة من خلال المنهج عند **جورج كانغيلام (G-kanvilame)**)(1904-1995)* أحد الرموز القومية والمؤثرة في الجامعة الفرنسية،الّذي كان يصبوا إلى إيجاد التماسكات الابستمولوجية في فترة معينة لأنّه لم يكن يؤمن بفكرة التطور المستمر للعقل والعلوم، لقد استعان فوكو بالقطيعة الابستمولوجية ليؤكد على ولادة تاريخ جديد قوامه التحول ووجود قطائع فيه.

لقد أعطى فوكو معنى آخر لها (الابستمولوجية) بعيد كل البعد عن المعنى الأصلي اليوناني، إنّ مصطلح الابستمولوجي يدلّ على صورة معينة للمعرفة في مرحلة ما لقد أبدع فوكو فيها وذلك في كتابه " **الكلمات والأشياء**" سنة 1966م وفي كتابه" **أركيولوجيا المعرفة**" سنة 1968م و ركّز في هذا الكتاب الأخير كيفية تشكّل الخطاب على حساب الفكر والممارسة أما في كتابه "**الكلمات و الأشياء**" الأمر لا يتعلق بالمعارف ووصفها ضمن تقدّمها نحو الموضوعية والتي يستطيع علمنا اليوم أن يتعرف عليها الابستمولوجيا هو الحقل الّذي يصف الّشروط الممكنة للمعرفة، استطاع فوكو بفضله أن ينقد التاريخ التقليدي القائم على مفاهيم التواصل والاستمرارية والغائية ويؤكد على ولادة تاريخ جديد

[1] عبد القادر بشته، **الابستمولوجيا**، ط1، (دار الطليعة للنشر، بيروت، 1990)،ص 18.

* جورج كانغلام: 1904-1995 طبيب وفيلسوف فرنسي.

قوامه التحول والقطيعة لهذا استخدم فوكو عبارة القطيعة وطبقها على مسائل الّتي تناولها نيتشه كمسألة المعرفة مثلا فيقول فوكو:" **يبدو لي أنّه ثمة في هذا التحليل النّشوي قطيعة مزدوجة هامة مع التقليد الفلسفي الغربي وهو ما ينبغي أن نخلط به أولا القطيعة بين المعرفة والأشياء، وثانيا القطيعة بين المعرفة والغرائز"[1].**

من هذا القول استطاع فوكو بفضل القطيعة أن يفسّر كيفية انتقال نظام معرفي إلى نظام معرفي آخر أو من حقبة إلى حقبة أخرى أو هو الّذي يبدو وراء الإمكان وعدمه وهو المسؤول عن الانفتاح والانغلاق وعما يقال وعما يمنع عن القول لهذا يلزم عن القول إنّ قراءة فوكو لفكر نيتشه قد وظّف ارث باشلار وكانغلام وهذا ما أشار إليه جون راثمان (John Rathman) في قوله:" **لا أحد قبل فوكو قد قرأ نيتشه في علاقته بارث باشلار وكنغلام"[2]**، و بفضل هذين الأخيرين توصّل فوكو إلى إثبات وجود انقطاعين كبيرين وقعا في تاريخ الفكر الغربي وإنّ هناك إبستميات متعاقبة تتمثل في ابستمي عصر النّهضة وابستمي العصر الكلاسيكي وأخيرا ابستمي العصر الحديث، ويقول فوكو عن الانقطاعين :" **إنّ الانقطاع الأول يمثل الفكر العصر الكلاسيكي الّذي حدث خلال منتصف القرن السابع عشر وكذلك فصله عن فكر عصر النّهضة أما العصر الثاني فقد افتتح حداثتنا منذ بداية القرن التاسع عشر والّذي فصله عن الفكر العصر الكلاسيكي"[3].** حسب فوكو إذا كان الانفصال الّذي حصل في ابستمي عصر النّهضة قد أدى إلى تشكّل ثلاثة علوم و تتمثل في علم الاقتصاد السياسي الّذي يعبّر عن العمل وثانيا الابستيمولوجيا الّتي تعبّر عن الحياة و أخيرا نجد فقه اللغة أو الفيلولوجيا الّذي يعبّر عنها باللغة، أما في العصر الكلاسيكي فظهر القواعد العامة والتاريخ الطبقي وتحليل الثروات، بالنسبة لفوكو يمثّل فكر عصر النهضة تهيمن على رؤية كسمولوجية كونية للعالم وذلك من خلال ثلاثة سمات والّتي تتمثل في التمثل التشابه، والنّظام أما في الابستمي العصر الكلاسيكي ليس هناك غير الهوية الاختلاف من أجل الوصول إلى تصوّر للعالم وذلك بدأ من **روني**

[1] Michel Foucault, **Dits et écrits ,1954-1975**, Gallimarde,paris,p546 .

[2] نقلا عن نور الدين الشابي، **فوكو قارئا لنيتشه**، ص35.

[3] ميشال فوكو، **الكلمات والأشياء**، صنف الترجمة مطاع الصفدي، ط2،(دار الفرابي للنشر، بيروت، 2013)، ص 13.

ديكارت(1596_1650) وهوبز(1588_1679) ولايبنيز(1646_1716) كل ذلك ساهم في تشكل بنية من الرموز والعلاقات، أما عن عصر الحداثة فأصبح العمل والحياة واللغة مواضيع الدراسة أي الانتقال من التاريخ الطبقي إلى البيولوجيا من نظام تحليل الثروات إلى الاقتصاد السياسي ومن فقه اللغة إلى النّحو واللسانيات، كل هذه المسائل موضوعات جديدة للمعرفة تمّ تحضيرها بمعنى الإنتاج حل محل التبادل بالنسبة للاقتصاد، الحياة محل الكائنات الحية بالنسبة البيولوجيا كذلك اللغة محل الخطاب بالنسبة لفقه اللغة وأخيرا ظهور الإنسان من خلال العلوم الإنسانية الّتي هي جزء من ابستمي عصر الحديث[1].

وما نستخلصه من هذه الأفكار أنّ أهميّة القطيعة في نسق العام لفلسفة فوكو والّتي ترجع بالدرجة الأولى إلى دور الفعّال والأساس الّذي أسنده فوكو ويتمثّل في سدّ الثّغرات الّتي أحدثتها عن نفيه لدور الذّات الإنسانية، ولذلك رفضه للتفسيرات التاريخية وذلك في عملية المعرفة ويمكن على هذا الأساس تسميته بالحقل الابستمولوجي لدى ميشال فوكو وذلك من خلال وصفه لنا للتحولات التي حدثت في الساحة المعرفية وهذا ما تنبأ به نيتشه. وهذا الأخير حفّز فوكو بالبحث من خلال تساؤله حول الكيفية الّتي تكوّن بها الفكر والمعرفة، وإذا كان هناك عدة ابستميات فيقتضي أن نفسّر المعرفة وفق زمانها أي أنّها لا تعني نفس الشيء في العصور القديمة أو في عصر النهضة أو في الوقت الحاضر بمعنى من غير المنطق تفسير خطابات الماضي وفقا لمفاهيم الحاضر بل العكس من ذلك، يجب علينا أن نتعلم التفكير مثل أولئك الّذين سبقونا في إطار ابستمياتهم وهنا نجد موقف فوكو من الابستيمولوجيا يقتضي تأريخانية* المفاهيم وأكثر من ذلك البحث عن بنية أو على الأقل عن تماسك المفاهيم فيما بينها.

استطاع فوكو ترسيخ دعائم منهج نقدي صارم يعالج فيه قواعد تكوين المعرفة،إذ يمتد تأثيره إلى مناهج العلوم الأخر مثل علم الاجتماع وعلم التاريخ، وعلم النفس وعلم المعرفة (الابستمولوجيا)، إلا أن مسعى فوكو لقراءة نيتشه قراءة ابستمولوجيا ذلك من أجل تجاوز

---

[1] المصدر السابق، ص 329.

* تاريخانية: يعني تاريخانية خاصة، من نوع بنيوي، تلك التي يقترحها فوكو وهي تنضم بشكل غير مباشر إلى وجهة نظر التاريخية في الابستمولوجيا الّتي تريد لكل مفهوم أن يكون جزء من مجموعة ضمنها يأخذ معناه.

الطرح المنهجي التقليدي في هذه العلوم و العمل على تجاوز منهجية الالتزام بالانقطاعات المعرفية التقليدية، لهذا اختار فوكو قواعد ابستمولوجيا لكي يمهد بها للحظة ابستمولوجية جديدة تستهدف الغوص في أعماق الثقافات الماضية والعمل على تقديم وصفا جديدا للمقال يختلف تماما بما يقوم به علم لتاريخ الأفكار[1]، وهذا ما دفع **ببياجي** بأن يعترف بما قدّمه فوكو ويشير بأن فوكو كان أكثر عمقا لكونه عمل على اكتشاف البناءات الابستمولوجية الّتي تنطوي تحتها المبادئ الأساسية للعلم في حقبة زمنية معينة.

ويمثل التحليل الابستمولوجي عند ميشال فوكو مجمل العلاقات التي يمكنها في مرحلة تاريخية معينة من تجمع الممارسات الخطابية وتوزيعها على مختلف المعرفة وهي أيضا تعبيرا عن رؤية للعالم، كما أنها ليست نمط من أنماط المجال التاريخي أو أنها مصدر جميع المعارف أو هي مرحلة من مراحل تطوير للعمل، إنّما هي محاولة لمعالجة مختلف الأشكال المنهجي المتعلقة بطبيعة المنهج القائم على القطائع والانفصالات.

إنّ قراءة كل من **مارتن هيدجر وميشال فوكو** لفكر نيتشه راجع إلى اعتبارهم لهذا الأخير بمثابة الفيلسوف الّذي أماط اللّثام على عدة مسائل كانت غامضة ومسكوت عنها إذ يشير فليكس فارس :" **بأنّ نيتشه المفكر الجبار الّذي يفتح أمام الفرد آفاقا واسعة وذلك في مجال القوة بالنفس، وتحرير الحياة من المسكنة والذّل، تائقا إلى إيجاد إنسان يتفوّق على إنسانيته بالمجاهدة والتغلب على العناصر والعادات والتقاليد وما يتوارثه من الأجيال"**[2]، فحضور فكر نيتشه عند هؤولاء الفلاسفة سواء القراءة الألمانية أو القراءة الفرنسية وغيرها من القراءات سمح لهم بنقدهم للواقع السائد آنذاك وعملوا على تغييره وتجاوز المسائل المسكوت عنها مثل التاريخ، الجنس، الحقيقة، المعرفة وغيرها، وهنا يشير فوكو:" **بأنّ نيتشه يعدّ أكثر جذرية بحيث تطرق تقريبا على كل الأسس الّتي قام عليها كل التراث الفلسفي للإنسانية"**[3].

---

[1] عبد الوهاب جعفر، **البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشال فوكو**، بدون طبعة، (دار المعارف، الإسكندرية، 1989)،ص 36.

[2] فريدريك نيتشه، **هكذا تكلم زرادشت**، تر فليكس فارس، بدون طبعة،(مطبعة جريدة البصير، الإسكندرية، 1939)، ص ،6.

[3] ميشال فوكو، **جينالوجيا المعرفة**، تر أحمد السطالي، عبد السلام بن عبدالعالي، ط2،(دار توقبال، المغرب،2008)، ص35.

وبفضل أفكار نيتشه استطاع فوكو الكشف عن القوى المهمشة في هذه النّظم الفكرية ولقد طبقها فوكو وحلّلها على عدة مستويات أي على المستوى الاجتماعي والمستوى السياسي والمستوى التاريخي، ولقد أثّر نيتشه إلى حد بعيد في فلسفة ما بعد الحداثة من خلال تحليله لكيفية الممارسات المنطقية المتضمنة فلسفيا بحيث هي مرتبط ارتباط بممارسات السلطة الاجتماعية والسياسية، ومن هنا اتخذت قراءة فوكو لفكر نيتشه شكل البحث لتحليل مسائل مختلفة لفهم المشكلات الّتي اصطدم بها منها موت الإنسان والذّات والتاريخ و السلطة و المعرفة وغيرها لهذا يقول فوكو:" **أجد عند نيتشه ما يمكن اعتباره أنموذجا في تفسير تشكّل الذّات تاريخيا وكذلك المعرفة فلا بدّ اللجوء إلى فكر نيتشه خاصة في مجال الأبحاث الّتي اقترحها"**[1].

نجد صلة ميشال فوكو بفلسفة نيتشه صلة قويّة لقد أشار فوكو إلى ذلك في آخر حديث قبل وفاته :" **إنّ مصيري الفلسفي كان محددا بقراءتي لهيدجر لكني أعترف أن نيتشه قد استأثر بي في الأخير بفضل اهتماماته بمواضيعه"**[2] .

لقد كان تأثير نيتشه على عصره تأثيرا عميقا خاصة ألمانيا وفرنسا وكما أن تنبؤاته تحققت على أرض الواقع وهذا ما أشار إليه **برتدراسل** في كتابه " **الفلسفة الغربية":" سيبقى أن نسلّم بأن تنبؤات نيتشه في ما يخص بالمستقبل قد ثبتت إلى حد كبير وأنّها أقرب بكثير من صواب الليبراليين والاشتراكيين"**[3]. ويضيف **فؤاء زكريا** في كتابه" **نيتشه":" فلنتذكر دائما هذا الفضل الكبير الّذي فتح أمامنا سبل التجديد في فهمنا العقلي للعالم وسلوكنا فيه وذلك حتى مجد قدراتنا الإنسانية على الخلق والإبداع وإزاحة كل ما كان يفق أمام فاعلية الإنسان من عقبات"**[1].

سيبقى لهيب نيتشه مشتعلا عبر العصور وهذا ما عناه بأنّه يعرف من هو، ومن أين نشأ، ويشير بأنّه كاللّهيب، أحرق وآكل نفسي، نور كل ما أمسكه ورماد كل ما اتركه أجل إني لهيب، حقا نيتشه الفيلسوف الّذي تحيا فيه الإنسانية وذلك من خلال البصمات الّتي

---

[1] Michel Foucault , **dits et écrits ;1954-1975** , ibid. p55O.

[2] ibid,p703 .

[3] بنترادراسل، **تاريخ الفلسفة الغربية**، تر محمد فتحي الشنطي، بدون طبعة ،(الهيئة المصرية للكتاب الإسكندرية،1977)، ص 402.

تركها في جميع المستويات خاصة على مستوى علم النفس وهذا ما أشار إليه فرويد في أكثر من موضع بأنه يعرف نفسه معرفة ثاقبة أكثر من أي إنسان آخر عاش أو من المحتمل أن يعيش، وكما لاحظ تنبؤات نيتشه ولمحاته الثاقبة تتفق على أعجب نحو ممكن مع النتائج الّتي وصل إليها التحليل النفسي بعد كثير من العناء .

استطاع فوكو ترسيخ دعائم منهج نقدي صارم يعالج فيه قواعد تشكل المعرفة، ويمتد تأثيرها إلى مناهج العلوم الأخرى مثل علم الاجتماع والتاريخ وعلم النفس وغيرها، إلا أنّ مسعى فوكو من قراءته لفكر نيتشه قراءة وابستمولوجية ذلك من خلال تجاوز الطرح المنهجي التقليدي في تلك العلوم وكذلك تجاوز منهجية الالتزام بالقطاعات المعرفية التقليدية من أجل خلق ابستمولوجية جديدة تتضمن طرحا مختلفا عما يقدمه أي علم لتاريخ الأفكار[2].

إنّ التحليل الابستمولوجي عند فوكو يمثل مجمل العلاقات التي تشكلت في مرحلة تاريخية معينة من تجمع الممارسات الخطابية وتوزيعها على شتى أشكال المعرفة، وإنّ نظرة فوكو إلى الابستمولوجيا ليست تعبيرا عن رؤية للعالم وكذلك ليست نمطا من أنماط المجال التاريخي أو مصدر مشترك للمعارف والعلوم وإنّما هي محاولة معالجة الإشكال المنهجي المتعلق بطبيعة المنهج القائم على القطائع والانفصالات التاريخية[3].

تمثل القراءات المقترحة على فكر نيتشه فجر ما بعد الحداثة في الفلسفة وذلك بمعاني متعددة وكذلك بما حققته من زحزحة جذرية من خلال التساؤلات الفلسفية، وكذلك بلورة تصورات جديدة لها وللتفلسف وللتفكير وإرساء منحى جديد لمسالة الحقيقة في الفلسفة.

---

[1] فؤاد زكريا، **نيتشه**، ط1،(دار المعارف، مصر ، بدون سنة)، ص 61.

[2] عبد الوهاب جعفر، **البنيوية بين العلم والفلسفة**، بدون طبعة،(دار المعارف الإسكندرية،1989)، ص 37.

[3] جوده محمد إبراهيم أبو خاص، **المنظور الفلسفي للسلطة عند فوكو**، ط1،(المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2017)، ص 34.

يعّد ميشال فوكو من أهم الفلاسفة المنخرطين في أحداث عصره وقضاياه، وفي مشروعه المعرفي حاول تجسيد الابستمولوجيا الفرنسية من بعد جاستون وباشلار وكانغيلام محاولا تغيير مفاهيم تاريخ الأفكار وكيفيته لدراسته للماضي[1].

إنّ أعمال نيتشه أكثر شهرة خلال القرن التاسع عشر، وأنّه_نيتشه_ بمثابة سلسلة من التجارب والفروض و فلسفته الدينامية المفتوحة على مختلف المسائل والتي قدّمت لنا من الأسئلة أكثر مما قدّمت من الأجوبة، ورغم رحيل نيتشه إلا أنّ أفكاره مازالت سارية وذلك من خلال معالجة المشكلات الراهنة والتي قد سبق التنبؤ بها من قبل[2].

وحقيقة أنّ نيتشه هو الّذي أحدث ثورة فكرية في فكرنا المعاصر، ولقد تبيّن لنا معظم القراءات لفكر نيتشه بأنّه يمثّل فجر ما بعد الحداثة في الفلسفة، وذلك بمعاني متعددة وبما حققه من زحزحة جذرية لمختلف المشكلات. ومن خلالها ظهر تصوّر جديد للفلسفة والتفلسف والتفكير والكتابة، وكما أرسى _نيتشه_ منحى جديد لمسألة الحقيقة في الفلسفة وتؤكّد هذه القراءات بفضل النقد الجينالوجي لرواد الفلسفة الحديثة أدت إلى إرساء مبادئ وأسس جديدة للممارسة الفلسفة المعاصرة، وتلك المبادئ والأسس هي الّتي فتحت مجال لفلاسفة ما بعد الحداثة والّتي سارت في اتجاهين مختلفين: اتجاه نظرية السلطة والتي تطورت لدي ميشال فوكو مرورا بباتاي و اتجاه نقد للميتافيزيقا الّذي سار فيه دريدا ومن بعده نجد: **ميشال ري(1720 -1780) ، وأريك بلونديل(1942م) وفاتيمو(1936م) وغيرهم**[3].

---

[1] أحمد عطية، **الحداثة والتفكيك**، بدون طبعة،(دار الثقافة العربية، القاهرة، 2008)،ص 40.

[2] د ماهر شفيت فريد، **قطوف عن أمهات الكتب**، بدون طبعة ،(الهيئة المصرية العامة للنشر، مصر، 2004)، ص 66.

[3] محمد الأندلس، **نيتشه، سياسة الفلسفة**، ط1 ، (دار توبقال للنشر، المغرب، 2006)، ص 22.

الفصل الثاني:حضور فكر فريدريك نيتشه في فكر ميشال فوكو

1. من موت الإلاه عند فريدريك نيتشه إلى اختفاء الإنسان عند ميشال فوكو
2. من إرادة القوة عند فريدريك نيتشه إلى إرادة السلطة عند ميشال فوكو
3. الحقيقة كوهم عند فريدريك نيتشه إلى الحقيقة كإنتاج عند ميشال فوكو

2 الفصل الثاني:حضور فكر فريدريك نيتشه في فكر ميشال فوكو

المبحث الأول: من موت الاله عند فريدريك نيتشه إلى موت الإنسان عند ميشال فوكو

2.1.1 موت الإله عند فريدريك نيتشه

شهد العصر الحديث مفكرين كثيرين قدّموا تحليلا وافيا لتدهور الحضارة الغربية وخاصة الإنسان الحديث من بينهم **جون جاك روسو وفريدريك نيتشه،** ولقد عبرا عن أكبر تيارين نقديين للحضارة الّتي أنتجها العصر الحديث إذ أنّ أفكارهما مازالت تخضع لتفسيرات متنوعة. وكما أنّ كليهما قد وضعا مشكلة التاريخ والإنسان في نطاق واسع وهو مشكلة الحضارة، ولقد قدّما تحليلا سيكولوجيا للإنسان الزمن الحاضر، وبحثا عن العلل التاريخية الّتي أرّقتهم، وعلى الرّغم من هجوم نيتشه على روسو إلا أنّ هذا الأخير لعب دورا هاما في تفكير نيتشه السياسي.

لقد اهتم كلا الفيلسوفين بانحلال الحضارة الإنسانية واتفقا في نقدهما للثقافة الحديثة المتدهورة للإنسان، وبحثا في أصول المجتمع البشري وكما فسّرا مصير الإنسان من خلال الطبيعة المتناقضة للحياة السياسية والأخلاقية في العصر الحديث، وإذ سعى كل من روسو ونيتشه إلى إظهار الطبيعة البشرية في السياق حضارة متدهورة ولكن ما يفرق بينهما هو تفسير كل واحد منهما لمشكلة التدهور الّتي يمكن رؤيتها في مفاهيمها المتعارضة لكيفية وصول الإنسانية إلى ذروتها[1].

لقد كان نيتشه على وعي أيضا بالدور الّذي أداه روسو في تشكيل الحداثة، وكيف ألهمت كتاباته أثناء الثورة الفرنسية، وعلى الرّغم من معارضة نيتشه لروسو إلا أنّ من الممكن أن يعتبر هذا الأخير مفتاحا لفلسفة نيتشه في تفسيره للحداثة، إذ ذهب البعض إلى القول بأنّ نيتشه كناقد للحضارة الغربية خلال القرن التاسع عشر يمثّل ما كان يمثله جون جاك روسو خلال القرن الثامن عشر في نقده الناقد لتلك الحضارة، وما أشار إليه روسو على آثار الحضارة الصناعية لم يفقد معناه في عصرنا هذا، بينما نجد استحضار نيتشه العدمية وانقلاب القيم والحالة المتدهورة للحضارة الإنسانية، ومن خلال هذه الأفكار تظهر لنا نقاط التقاطع أو التشابه بين روسو ونيتشه وذلك من خلال ربط فكر روسو بالأحداث الدامية والمفزعة للثورة الفرنسية، بينما نجد نيتشه قد ربطه بالمحاولة النازية للسيطرة على العالم ثم الأحداث الدامية للحرب العالمية الثانية، وكذلك اتفقا أيضا في تأكيدهما على أنّ أصول المجتمع البشري تكمن في أنّ الإنسان كائن تاريخي، وكما توصّل كل منهما إلى نتائج متباينة من خلال فقدان نيتشه لمبدأ الطبيعة الخيرة للإنسان والّتي تغنى بها روسو، وصف نيتشه الإنسان بأنّه مبدأ مظلل فليست التنظيمات الفاسدة هي الّتي دمرت هذه الطبيعة الخيرة أي عندما تسقط تلك التنظيمات ويتم إصلاحها لن تظهر من جديد الطبيعة الخيرة المختفية أو المكبوتة، يشير نيتشه إلى أنّ هذه الطريقة في البحث مظللة

[1] د عطيات أبو السعد، **الحصاد الفلسفي للقرن 20**، بدون طبعة،(دار المعارف للنشر والتوزيع،الإسكندرية بدون سنة)،ص 22.

لمعرفة أنفسنا، بل إنّ النزعة الأخلاقية الطبيعية والإيمان بالطبيعة الخيرة عند روسو هي التي منعت من إيجاد حل للغز من أجل الوصول إلى المعرفة، لهذا جاءت جينالوجيا الأخلاق لنيتشه كوسيلة للتنقيب والكشف عن الحقيقة ومصدر القيم[1].

يشير نيتشه إلى أنّ أزمة الإنسان الحديث أعمق بكثير من تلك المنافسة والاغتراب الذّاتي الّتي تحدث عنها روسو بل ذهب نيتشه إلى عكس من ذلك من خلال مناشدة نيتشه الدعوة إلى العدوانية أو السلوك الشرس، ويدعو كذلك البشرية أن تتعلم كيف تصبح أكثر شرا، وأنّ الطبيعة في حد ذاتها دورة عمياء تتسم باللامبالات والطبيعة في نفسها عبث، لهذا تساؤل نيتشه كيف نعيش وفقا لها؟،إنّنا بهذا المعنى لن يكون بإمكاننا أن نفكر في الوجود الإنساني باعتباره نتيجة تصميم أو إرادة أو هدف خاص، يشير نيتشه إلى أنّ الإنسان لكي يصل إلى الطبيعة الخيرة لابد من صراع طويل، فقد وجد ذلك في الإنسان القرن التاسع عشر، وفي تصور نيتشه الإنسان لم يقرب من الطبيعة الّتي أشار إليها روسو، لكنّه حقق خطوة أخرا نحو التقدم في الحضارة الّتي احتقرها أو مقتها روسو وحسب نيتشه لا يمكن للإنسان أن يعيش وفق للطبيعة بل يعيش وفق للحياة وكأنّه استبدل الحياة بالطبيعة أي يعيش وفق أعمال الحياة وإرادة الحياة.

ويضيف من الضروري الحفاظ على المنافسة وعلى النظام الترابي للمجتمع، لهذا ظهرت جينالوجيا السيد والعبد عند نيتشه،بحيث جعل السيادة هي السمة الطبيعية بينما السيد هو الشكل الطبيعي للإنسان.

السيد والعبد عند نيتشه:

يعتقد نيتشه بأنّ الإنسان يصارع دائما من أجل تحقيق رغباته، وذلك بكل الوسائل حتى باستعمال العنف نتيجة لكون هناك رغبات متعارضة مع رغبات أناس آخرين فالحياة عند نيتشه هي البقاء للأقوى، لهذا نجد هناك علاقة صراع بين قوة الأغنياء والّتي تتمثل في الحكام والمسيطرين وهناك قوة أخرى هي قوة الفقراء والّتي تتمثل في المحكوم والخاضعين للطغيان هؤولاء الحكام، فيشير نيتشه إلى أن القوة هي سلاح الوحيد في هذا الصراع وبالتالي ضعف قوة الخاضعين نتيجة عدم امتلاكهم للسلاح وهذا ما جعلهم يمتازون بالضعف والخوف والخضوع والطاعة، أما عن القوة الحاكمة فإنها تسعى إلى تحقيق أهدافها وكما تمتاز بالإرادة[2].

يرى نيتشه بوجود ثنائية الأخلاق وهي أخلاق العبيد وأخلاق السيادة، فأولى تتمثل أخلاق نفعية يتصف بها الفقراء والضعفاء لكي يحصلوا على مصالحهم الشخصية، أما أخلاق السادة فهي الشجاعة وإرادة قوة ذاتها وكما تعتمد على النفس وهذا هو نوع الّذي يفضله نيتشه، ويشير إلى أنّ أخلاق السيادة هي أخلاق الأقوياء، وفيها يشعر الفرد بالسمو والقوة والعظمة والأقوياء لا يملكون الرحمة وأنهم يسعون للدمار وتعذيب الآخرين ينادي نيتشه بالعودة إلى الأخلاق وإلى أصلها الطبيعي المادي، وعلى الإنسان أن يرفض الترادف المألوف الغير الطبيعي بين الخير والشر والتراحم والرحمة بل يطرح بدلا من ذلك الترادف الطبيعي المادي بين الخير والقوة وبين الغزو والغرور.

---

[1] د جمال مفرج، **نيتشه الفيلسوف الثائر**، بدون طبعة،(إفريقيا للشرق للنشر والتوزيع، المغرب،2003)،ص29.

[2] مايكل تانر، **نيتشه**، ط2، (دار الكوكب للعلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018)، ص 131.

لقد أطلق نيتشه ضجته الأولى وإعلانه عن موت الاله في مقطع 125 بعنوان " الأخرق" إذ يقول:" **إنني ابحث عن الاله، وكما كان كثيرا من لا يؤمنون بالاله متواجدون هناك بالضبط [...] فهل فقدناه؟ فسارع الأحمق إلى وسطهم واخترقهم بنظراته أين الاله؟ أنا سأقول لكم " لقد قتلناه أنتم وأنا".**[1] الإله مات لا ينبغي أن نفهم وفاته باعتباره حكما تاريخيا نهائيا يقضي لعدم وجود الاله، وإنّما يعني نهاية ذلك الكيان اللانهائي اللاتاريخي الّذي يضع الحدود على وجودنا.

شكّل موت الاله والإنسان موضوعا أساسيا ومحورا عميقا في فلسفة نيتشه والّتي انطلق من ربط مصير الكون بمصير الإنسان ولقد حملت مؤلفاته اسم الإنسان، ولقد وضع مشكلة موت الإله والإنسان في نطاق واسع وكما اهتم بانحلال الحضارة الإنسانية وبدوره قام بنقد الثقافة الحديثة المتدهورة للإنسان، لقد عمل نيتشه على البحث عن أصول المجتمع البشري وفسرا مصير الإنسان من خلال الطبيعة المتناقضة للحياة السياسية والأخلاقية في العصر الحديث، إذ وصف نيتشه الإنسان بأنّه مبدأ مظلل، فحقيقة الإنسان ليست سوى تراكمات الأخطاء، فليست التنظيمات الفاسدة هي الّتي دمرت الطبيعة الخيرة للإنسان، يشير نيتشه إلى أنّ هذه الطريقة في البحث عن الإنسان مظللة فلا بد من استخدام منهج للوصول إلى الحقيقة لهذا جاءت جينالوجيا الأخلاق لنيتشه كوسيلة للتنقيب والكشف عن الحقيقة ومصدر القيم[2]، لقد تناول نيتشه دراسة موضوع موت الإله والإنسان دراسة أنثروبولوجية شملت كل التاريخ البشري بما في ذلك فترة ما قبل التاريخ.

عمل نيتشه على زلزلة الأسس الّتي تستند إلى التراث الحضاري الغربي وتحطيمه للميتافيزيقا الغربية وتدميرها، كما أعلن عن موت الاله وهذا ما أشار إليه في ذلك النص الاله مات كما قام بهجومه على الإنسان العصر الحديث، وذلك من أجل ظهور إنسان آخر يحكم بإرادته جميع القيم المندثرة وليجعل لنفسه قيما تناسب طموحه وإرادته.

أطلق نيتشه على الإنسان الأعلى بتسمية الإنسان الأعلى _سوبرمان_ فمن هو هذا السوبرمان؟.

يهدف مشروع الفلسفي لنيتشه إلى بناء فلسفة جديدة تقوم على مبدأ إرادة القوة، وهذا المشروع لا يمكن تحقيقه إلا إذا تجاوز الإنسان العادي وإيجاد إنسان سوبرمان، والّذي يمثل رمز السمو بالإنسانية والحياة، ولكم من هو هذا الإنسان الأعلى حسب نيتشه، يرجع اهتمام نيتشه بالإنسان الأعلى إلى قراءته لكتابات " **لوسيان" Lucien " (125-190م، أحد معلمين وفلاسفة السفسطائيين)** بحيث أخذ نيتشه تسمية الإنسان الأعلى لتتخذ في ما بعد دلالات أعمق في العديد من مؤلفاته.

---

[1] فريدريك نيتشه، **العلم المرح ، شذرة 125**، ترجمة حسان بورقية ومحمد الناجي، بدون طبعة،(إفريقيا الشرق، دار البيضاء، بدون سنة)، ص 132.

[2] د جمال مفرج، **نيتشه الفيلسوف الثائر**، بدون طبعة،(دار المعارف، الإسكندرية، بدون سنة)، ص 29.

إنّ الإنسان الأعلى كهدف أقصى لا يمكن تشبيهه بأي نوع إنساني متحقّق حاليا، وبهذا المعنى ففلسفة الإنسان الأعلى تقدّم كفلسفة مستقبل.

إنّ السوبرمان ليس هو الإنسان الأخير إذ يؤكد نيتشه على لسان زرادشت بأنّ هذا الإنسان الأعلى هو كائن لم يظهر بعد وظهوره مقرون بشروط إذ يستوجب تهيئة المساحات لتساعده على ظهوره واستقباله، فبعد موت الإلاه وزواله يجب أن يتحرر الإنسان من كل الخرافات والمخاوف الدينية ويكفّ عن الاعتقاد في الخطيئة والخلاص والإنسان الأعلى هو ذلك الإنسان الّذي لا يهاب المخاطر والموت[1].

2.1.2 موت الإنسان عند ميشال فوكو

يظهر حضور فكر فريدريك نيتشه في فكر ميشال فوكو في مسائل عدة من بينها فكرة نيتشه عن موت الإلاه ، إذ يعلن فوكو فيما بعد بكل صراحة بأنّ نيتشه كان له الفضل الكبير في تعريفه على أحداث الحضارة الغربية وخاصة مسألة اختفاء الإنسان وعلى هذا الأساس كيف فسّر ميشال فوكو موت الإنسان واختفاءه؟ وهل هذه الفكرة مستندة إلى تأثير نيتشه لفوكو خاصة من خلال فكرة موت الالاه؟.

يعتبر ميشال فوكو نفسه منتميا إلى تيار**"ما بعد الحداثة "** إذ يقول انّه مدينا لعدة فلاسفة أمثال نيتشه وهيدجر والدراسات اللسانيات ودراسات **كلود لفي ستراوس** رغم الاختلاف الموجود بين أزمنتهم ومناخ تفكيرهم الفلسفي، إلا أنّه مدينا لكل واحد منهم بالمادة الفكرية الّتي استقاها منهم ولاسيما فلسفة نيتشه، وذلك من أجل بلورة معالم مشروعه الفكري الجديد الّذي يتحقق تحت شعار" فلسفة موت الإنسان واختفائه"، وفي هذا السياق ما أثار افتتانه بفكرة موت الإنسان بصفة خاصة هو استخفافه بالنزعة الإنسانية وإقصائه لمفهوم الإنسان وانتقاده العميق للفكر الجدلي خلال القرن التاسع عشر.

لهذا جاء فوكو ليقتضي خطوات نيتشه في تقوض الجذري لأسس النزعة الإنسانية ويعتبر فوكو هذه الأخيرة بأنّها لم تولد الإنسان سوى الأوهام والأساطير معتبرا الإنسان ما هو إلا مجرد انعطاف في معرفتنا وأنّه اختراع العهد،وهذا ما أشار إليه ميشال فوكو في كتابه **"الكلمات والأشياء":" إنّ الإنسان اختراع العهد صورة لا يتجاوز عمرها مئتين سنة، إنّه مجرد انعطاف في معرفتنا وسوف يختفي عندما تتخذ المعرفة شكلا آخر جديدا"**.[2]

يوضع فوكو المتأثر بفلسفة نيتشه من خلال نظرته إلى الإنسان فيقول عنه بأنّه مخلوق حديث العهد ليس له ماض ولا ثقافة ولا سلف أو أصل، فالإنسان الحديث حسب فوكو ليس سوى أكثر من حدث معرفي مؤقت،عملت على ظهوره مجموعة من الشروط

[1] فريدريك نيتشه، **هكذا تكلم زرادشت** ، ترعلى مصباح،ط1،(منشورات الحمل ألمانيا،2007)، ص 35.

[2] ميشال فوكو، **الكلمات والأشياء**، فريق الترجمة مطاع الصفدي وآخرون،بدون طبعة ،(دار الفرابي ، بيروت،بدون سنة)، ص 15.

والأوليات الّتي صنعت ثقافة القرن التاسع عشر، وأنّه محكوم عليه بالاندثار وذلك عندما تبدأ أسس تلك الحضارة في التصدع وحسب فوكو الإنسان ليس أكثر من وصفه عابر على سطح المعرفة، إنّه يمثل أسطورة حديثة في القرن التاسع عشر، وأمّا عن الثقافة الجديدة الّتي ينتمي إليها مشروع فوكو فهي الّتي بدأت تملأ الفراغ الّذي خلفه اختفاء الإنسان و اندثار أسطورته.[1] وما يهدف إليه الفكر المعاصر بعد الدراسات الّتي قام بها كل من ماركس وفرويد ونيتشه، فالأول من خلال المادية الجدلية والمادية التاريخية أما الثاني بصبغ أغوار النفس البشرية والدخول إلى اللاشعور إذ صار لم يعد الوعي هو المحدد بل اللاوعي أو اللاشعور هو المحدد، والثالث من خلال مطرقته التي هالت على المبنى الفلسفي، وكما أن تنبؤات –نيتشه- بظهور الإنسان الأعلى إنّما يعني أولا وقبل كل شيء التنبؤ بموت الإنسان الراهن أي ظهور عتبة جديدة يمكن أن يبدأ منها التفكير الفلسفي.[2]

لم يعد الفكر المعاصر من منظور فوكو بإمكانه أن يتنفس وينمو ويزدهر إلا في فضاء غياب الإنسان نفسه، ولقد كانت تنبؤات نيتشه بأنّ موت الاله سيعقبه موت الإنسان أوّل مجهود يبذله نيتشه في الفلسفة الحديثة وذلك من أجل إيقاظ الفكر من سباته الأنثروبولوجي ومن أجل استئصال جذور النزعة الإنسانية والتاريخ ، ولقد أشار فوكو إلى ذلك في قوله:"**إنّ ما يعلنه فكر نيتشه هو انفجار وتشظي الإنسان، وهو الاختفاء النهائي له** "[3]، لهذا يبقى مشروع فوكو ما هو إلا امتداد لثقافة موت الإنسان وافتتانه بنزعته التحليلية الهادفة إلى مواصلة تقويض أسس النزعة الإنسية وإقصاء الإنسان.

وما يستنتجه فوكو من العلوم الإنسانية ما هي إلا علوم مزيفة لكونها اعتبر الذات العنصر المكون لها، وأنّ العلوم الإنسانية لم تحدد الإنسان في الفلسفة لا كموضوع للمعرفة وإنّما كذات تتمتع بالحرية والوجود. يكتشف لنا فوكو عن مكانة الإنسان في هذا العالم وعن علاقته به فيبيّن كيف أنّ الإنسان يرتبط بمبدأ اكتشاف الحقيقة، بل وكيف يربط الحقيقة بذاتها إلى الدرجة الّتي يفقد فيها ذاته، ومن هنا يتضح لنا أنّ فوكو لا ينكر الإنسان بل ينكر فقط حق الذّات في السيادة المطلقة، لا يتوقف فوكو عند العلوم الإنسانية فحسب لأن الأرضية الفكرية لذلك العصر لم تكن قد عرفت بعد مفهوم الإنسانبل لأن العلوم الإنسانية ذاتها لم تكن قد ظهرت هي كذلك، وبمعنى آخر إنّ أوّل شيء يمكن ملاحظته هو أن العلوم الإنسانية لم تتعلق بأي ميدان مرسوم من قبل، ولكن على العكس كان ميدانا بورا مواتا لا حياة فيه، وإنّ المجال الابستمولوجي الّذي قطعته العلوم الإنسانية لم تخضع للتقدم مسبقا فلا فلسفة ولا تيار سياسي أو أخلاقي ولا أي علم تجريبي ولا أية ملاحظة على جسد الإنسان منذ القرن السابع عشر.[4]

لا يقف فوكو عند هذا الحد وإنّها يقرر على أنّ المعرفة الجديدة للإنسان ظهرت في القرن التاسع عشر وإنّما هي بعينها الّتي سوف تجهر عليه، وآلية ذلك أنّ الفرد الّذي كان

---

[1] د عبد الرزاق الدواي، **موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر**،بدون طبعة،(دار الطليعة للطباعة، بيروت 2000)،ص 130.

[2] ميشال فوكو: **الكلمات والأشياء**، ص 338.

[3] المصدر السابق، ص 397.

[4] د صفاء عبد السلام على جعفر ، **محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه**، بدون طبعة،(دار المعارف الجامعية، بيروت،2001)، ص 286.

من قبل موزعا بين علم الفيزياء وعلم الأحياء لن يلبث أن يفقد ذلك القدر الضئيل من الهوية الّذي يعني له سبب توزيعه بين فروع مختلفة من المعرفة فنجدها تشمل علم النفس ومن ثم علم الاجتماع وأخيرا علم الأنثروبولوجي[1].

وإذا قمنا بمقارنة الموجودة بين نيتشه و فوكو فنجد بأنّ الأوّل قد نادى بموت الاله وبينما نجد الثاني قد أصبح اليوم ينادي بموت الإنسان، لهذا يرى _فوكو_أنّ بداية ظهور الإنسان لم يوجد قبل القرن الثامن عشر، ولقد صنعته المعرفة الجديدة بأنواعها المختلفة كاللغة والاقتصاد والبيولوجيا والسياسة والثقافة أي يقصد هنا الإنسان بوصفه أداة للمعرفة ويشير فوكو في قوله:" **إن الإنسان بوصفه حقيقة كنتيجة أولية وبوصفها شيئا صعبا وموضوعا للمعرفة ممكنة، لم يكن له أي مكان ضمن ابستمي العصر الكلاسيكي ذلك أن يعني ما له علاقة بالعلوم الإنسانية، مثل علم الاقتصاد والبيولوجي أو المعرفة الكلاسيكية**".

ويضيف أيضا:" **لم يعد التفكير ممكن في أيامنا هذه إلا داخل الفراغ الّذي يحدده اختفاء الإنسان لأنّ الفراغ لا يعدي نقصا ولا يشير إلى ثغرة يتوجب سدّه،إنّه يسير أكثر ولا أقل من تراجع لفضاء معين سمح في النهاية بإمكانية التفكير من جديد**"[2]، وما يتضح من النص بأن الإنسان لم يكن له منط وجود خاص في التصور الكلاسيكي للمعرفة وذلك ما دام كل شيء يجري على مستوى التمثيل فالمعرفة لا ذات لها، بدأ فوكو يطرح سؤاله بمعرفة أنّ للإنسان وجودا حقا وبحيث نطلق من خلال تساؤله إن وجد الإنسان إلى تحديد نظام لكل الممكنات ليكون الإنسان غائبا عنه، وهكذا يكون الإنسان محض عقدة في لحظة تجاوزه من كل صوت وجوانب، كيف يمكن للإنسان أن يكوّن تلك الحياة الّتي يتجاوز شاقة وقوته الدفينة؟ كيف يمكن أن يكون ذلك العمل الّذي تفرض مطالبه وقوانينه نفسها عليه بصرامة؟ كيف يمكن أن يكون فاعل اللّغة يجد نفسه مكروها على أنه يقيم في داخلها كلامه وفكره؟ وكأن لا شيء لها إلا من خلال الحياة والزمن. بهذا يفضل فوكو الكوجيتو الديكارتي بين الفكر والحق، وبين الخطأ والوهم وحول ما هو غير معقول بالفكر في داخله وفيما حوله أو تحته ولكن من دون أن يكون غريبا عنه، مع ذلك لا يمكن أن توجد علوم للإنسان إلا متى كف الإنسان نفسه عن الوجود، وهذا ما أكده فوكو بعبارة قالها:"**ما عدا ممكنا التفكير في أيامنا هذه إلا في الفراغ الإنسان المتخفي**"[3]. وكذلك يؤكد فوكو على لسان نيتشه بأن لا شيء عميقا وخفيا خلف المظاهر والظواهر ولا وجود لمعنى أو حقبة أولى يمكن الوصول إليها من خلال التأويل، لقد ناقش فوكو في محوره الثاني مسألة كيف ظهرت العلوم الإنسانية؟ وكيف تبلور مفهوم الإنسان في الغرب؟

من خلال هذه التساؤلات سعى فوكو في كتابه" الكلمات والأشياء" إلى تبيان كيفية ظهور الإنسان وما يسميه علوما إنسانيا وذلك من خلال تحليله للبنية الغربية، قام فوكو بتقديم نظرية في التحليل ما يسميه بالتركيب الثلاثية التي تتمثل في علم الأحياء، وعلم الإقصاء وعلم اللسان، ويمثل العلم الأول المعيار، أما الثاني يمثل النازع والقاعدة، ويمثل

[1] د زكريا إبراهيم، **مشكلة البنية**، ط1، (مكتبة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة،1976)،ص 158.

[2] ميشال فوكو، **الكلمات والأشياء**، تر مطاع الصفدي،ط2،(دار الفرابي للنشر،بيروت، 2013)، ص 303.

[3] المصدر السابق،304.

الأخير المدلول والنسق، وإن حرب فوكو المعلن ضد كل أشكال النزعة الإنسية، قد دفعته إلى طرد الإنسان من آخر حصن له وهو حصن اللّغة،ثم إعلان عن موته، ورفض الذات من أجل استبقاء اللغة والاهتمام بالخطاب، لذلك جاء مشروعه الفكري نقدا جذريا من خلال حقل الثقافي الغربي، وهذا ما أدى إلى اقتلاع الإنسان جذريا من آخر حصن له[1].

ويرد فوكو من خلال حفره في مجال العلوم الإنسانية إلى أولائك الّذين يريدون الاستمرار في الكلام على الإنسان على نفوذه وعلى تحريره، إلى أولئك الّذين يستمرون في التساؤل حول ماهية الإنسان في جوهره إلى كل من يريد الانفلات منه والولوج إلى المعرفة وبالمقابل إلى كل من يرجع كل معرفة إلى حقائق الإنسان ذاته، ومن هذا المنطلق يراهن فوكو على أن الإنسان سوف يندثر مثل الرمل المرسوم على حد البحر وطالما أنّ الأمر مجرد عملية مراهنة، فإنه لا يسع لفوكو إلا الرد بضحكة فلسفية أي بضحكة صامتة[2].

يرى فوكو بأنّ الإنسان ليس سوى عبارة عن شيء داخل نظام الأشياء، وولادته ليست بالمفهوم البيولوجي للكلمة بل هي ولادة في ذهنية ولادة ضمن مدارات بحثه ومعارفه ليكتشف ذاته من خلال نظام الأشياء،بحيث يبحث عن نفسه في قانونها الخاص ولا يمكن التعرف عليه إلا من خلال إنتاجه أو من خلال كلماته أو الأشياء الّتي ينتجها.

إعلان فوكو عن موت الإنسان وخاصة في كتابه "الكلمات والأشياء" ليس موتا بيولوجيا ولا هو انتماء بمحض إرادة الطبيعة ،ولكن موت في إطاره المعرفي المتشكل عبر آليات انشغاله المبتكر للبحث الأركيولوجي المبني عليها الأسس النظري لمشروع فوكو الفلسفي وبهذا يشير فوكو إلى أنّ العلوم الإنسانية تطابق لحظة معينة من تاريخ معرفتنا ومن الممكن جدا أن يمحى الإنسان كموضوع للمعرفة.[3]

كذلك يبيّن الدكتور عبد الرزاق الدّواي في كتابه:" **موت الإنسان في الفكر الفلسفي المعاصر**"، بأنّ فلسفة نيتشه أعلنت عن تلاشي أفق الثقافي الّذي أسس فيه الإنسان الغربي دلالات وجوده منذ ألفي سنة وأكّد أن الوجود لا يمكن أن يؤنس، أي يرد أو يختزل إلى حضور ما أو مثلا على الإنسان أينما كان، وسوف تنخرط فلسفة نيتشه في إشكالية الفلسفة المعاصرة من خلال الإحياء الّذي عرفته، والقراءات الجديدة الّتي أعطيت لها أعني التأويل الّذي قام به فوكو أي مشروعه النقدي، ومن جانب آخر سوف عمل فلسفة هيدجر على تفكيك جذري لأسس النزعة الإنسانية باعتبار أنّ هذه النزعة ميتافيزيقا، وهذه الأخيرة هي نسيان الوجود، ويعين بالأساس نسيان الاختلاف الأنطلوجي بين الوجود والموجود،وبذلك تنتهي الميتافيزيقا مع مكونات الثقافة الغربية الحديثة و المعاصرة بما فيها أشكال العقل والعقلانيات الحديثة، والعلم ذاته وانجازاته ما يعطي لفلسفة موت الإنسان نكهتها المعاصرة بظهور التيار البنيوي كمجموعة متميزة، ومختلف الأبحاث والدراسات خاصة في مجال اللغة ثم في مجال الأبحاث النفسية والثقافية والأنثروبولوجيا والأحياء وأخيرا على مستوى المعرفي عند ميشال فوكو.

---

[1] ميشال فوكو، **الكلمات والأشياء**، ص 57.

[2] المصدر السابق، ص313،282.

[3] محمد حلمي عبد الوهاب، **ميشال فوكو والنزعة الإنسانية**، (جريدة المستقبل، بيروت، العدد 3586، سنة 2010)،ص 19.

توصل فوكو من خلال بحثه في العلوم الإنسانية إلى أنّ الإنسان في حالة الاحتضار وستشهد ذلك في قوله:" **إن الإنسان في حالة ظهور جديدة، تظهر حفريات ذكرنا بسهولة ولكن التاريخ سيظهر نهايته القريبة".**[1]

يبقى المقصود بموت الإنسان هو نهاية ما يقال عنه بأنه أسطورة فلسفية عن الإنسان تلك التي لا توقف النزعة الإنسانية عن إعادة صياغتها وتجديدها للمفاهيم والأنساق والبنيات واللاشعور ومنهج التفكيك والتقويض،وكذلك اعتمادها كثوابت لصياغة الأطروحة الفلسفية عن إلغاء الذّات وعن قرب اختفاء الإنسان. وإنّ الخطاب الّذي استند إليه أنصار تيار فلسفة موت الإنسان يقرّ بفشل مشروع الحداثة برمته وانهيار جميع الأسس والقيم الّتي بنى عليها أي إنسان كوعي وإرادة.

وهكذا انتهت الفلسفة إلى محاكمة مبدعها الإنسان غير منتبه إلى حقيقة موته وهو موت الفلسفة بذاتها، وأن الحجج الّتي تسوقها لتبرير إعلان هذا الموت هو ضرورة التحرر من جميع الأوهام الإنسانية بما فيها وهم الإنسان أي الواعي والفاعل المبدع و المسؤول، فقد أفهمته على افتراض بأنّ البشر جميعا يقيمون كافة المشاريع والأهداف والغايات الخاصة بحياتهم استنادا إلى تأويلات ميتافيزيقية للوجود، في الوقت الّذي يعلمون فيه على اليقين بأنهم قد وجدوا فقط من أجل أن يموتوا، وهم بذلك يرسمون صورة لإنسان عاجز وكائن غارق في عالم لم يختره ولم تكن له يد في صنعه، فضلا عن بقائه أسيرا لوضعية المشروطة بحتميات متعددة تحد كل ما يتوهم، أنّه محض اختياراته الذاتية فيما هو طيف عابر[2].

صيحة نيتشه بأنّ الاله مات**"لقد قتلناه أنا وأنتم"**، أدى إلى تنبؤه بأنّ العصر القادم هو عصر العدمية، لقد مات الاله بسبب المسيحية والتي سوف تقضي على الإنسان ويتصور نيتشه الإنسان على أنّه موجود ناقص وساقط ومهشم، ليسمح فيما بعد بمجيء مرحلة ثانية التي تتمثل في العبث عند الوجوديين وخاصة مع سارتر، ثم تأتي مرحلة أركيولوجيا فوكو وجينالوجيته المقتبسة عن جينالوجيا نيتشه وإعلانه عن موت الإنسان[3].

والسؤال الّذي طرح من طرف فلاسفة في الحضارة الغربية هل الإنسان موجود حقا؟ هنا يكشف لنا فوكو أن الحل لا يكمن في تحليل النظرية ذاتها، بل إن الحل يكمن في إقامة معرفة كاملة ومتكاملة للذات مما يوقعنا باستمرار بالوضعية، وهو رهين فقط بالتخلي عن فكرة الإنسان بالذات لنكشف موت الإنسان منذ وقت مبكر، وأنّ لحظة اختفائه قد حانت ويستشهد بذلك:" **ذلك أن ظهور الإنسان مؤخرا بهذا الجلاء قد أعمى أعيننا، فبتنا لا ندرك ذلك الزمن السحيق، حيث كان العالم موجودا، ونظامه والكائنات البشرية، ولكن لم يكن من وجود للإنسان"**[4].

خلاصة القول إعلان نيتشه موت الإله وذلك من أجل سحب البساط من الإنسان وأن يتركه بدون أساسه وينزع عنه ما يشكل ماهيته ووجوده،وهذا ما دفع بنيتشه إلى القيام بقتل الإنسان من أجل الوصول إلى الإنسان الأعلى، ولعل فوكو أيضا كان يعتقد أنه

---

[1] ميشال فوكو،**هم الحقيقة**، تر مصطفى المسناوي، ط1،(منشورات الاختلاف، الجزائر،2006)، ص 30.

[2] محمد حلمي عبد الوهاب، **ميشال فوكو و النزعة الإنسانية**، جريدة المستقبل بيروت، العدد 3856،ص 8.

[3] د حسن حنفي، **في الفكر الغربي المعاصر**، ط4،(المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،بيروت،1990)،ص322.

[4] ميشال فوكو،**الكلمات والأشياء**، ص267، 268.

يستوجب إماتة الإنسان لإيجاد الإنسان الأعلى[1]، وهكذا نلمس مرة أخرى حضور فكر نيتشه في فلسفة فوكو من خلال مقولة " موت الإنسان" ومعه النزعة الإنسانية، ولقد عملا على إظهار سلبيات وشعارات الحداثة وأنّها ما هي إلا تمويهات أرادت أن تنتج نموذجا واحد وعلى خلاف من ذلك عملت فلسفة ما بعد الحداثة على تجاوز سلبيات الحداثة وذلك بفضل **فوكو ودولوز ودريدا و ليوتار** وغيرهم الّذين عملوا على ترسيخ عقلية الاختلاف والتقبل.

2.2 المبحث الثاني: من إرادة القوة عند فريدريك نيتشه إلى إرادة السلطة عند ميشال فوكو

2.2.1 إرادة القوة عند فريدريك نيتشه

نجد إرادة القوة عند نيتشه دائمة الحضور في مختلف كتاباته وتعتبر من أهم المفاهيم المفتاحية، ولقد ارتبط مصطلح القوة من خلال كتابه" **الإنسان مفرط في إنسانية**" بالظواهر النفسية، فكانت عند نيتشه هي الأساس،أو مفتاح لتفسير أنواع السلوك، وكما أشار إليها من خلال كتابه " **العلم المرح**" وهي بمثابة تنبؤات لما يحدث في ما بعد.

لقد خصص نيتشه كتابا بعنوان " **إرادة القوة**"، وفيه يلخص مذهبه ويبرز فيه تجليات القوة في الطبيعة والمعرفة و المجتمع و الفرد ولقد تساؤل نيتشه ما هي إرادة القوة؟ وما معنى أن يبني العالم على أساس إرادة القوة؟

يرى نيتشه أنّ إرادة القوة هي جوهر الوجود، بحيث يقول:" **حيث توجد الحياة توجد أيضا إرادة**"[2]، وعن طريقها يمكن تفسير كل مظاهر الوجود فليس الوجود إلا الحياة وليست الحياة إلا إرادة، وليست هذه الإرادة إلا إرادة قوة وبمقدار شعور بالحياة والقوة يكون إدراكنا للموجود فالحياة والوجود إذا شيء واحد لأنّ كليهما تقويم، وكأن الحياة إذا تقويم وإرادة، لكن أي نوع من الإرادة هي؟.

إنّ الحياة لا تستطيع أن تحيا إلا على حساب حياة أخرى حسب نيتشه لأنّ الحياة هي نمو ورغبة في الاقتناء، وما دامت الحياة نمو ورغبة فإنها محتاجة إلى شيء آخر لكي تتحقق فكأنّ الحياة إذا إرادة استيلاء على الآخرين، وإرادة سطو واستغلال، لكن هذا الأخيران لا يتحققا دون أن يصادفا مقاومة، بل لا بد للحياة أن تجد مقاومة من أنواع الحياة الأخرى التي تصطدم وإياها، ولهذا فإن الحياة كفاح وكذلك الإرادة قوة أي إرادة سيطرة واستيلاء وتملك وتسلط وإخضاع فإرادة القوة لا يمكن أن تظهر إلا بواسطة الكفاح وأنّها تبحث دائما عن كل ما يقاومها، وكلما كثرت المقاومة واشتدت الخصومة زادت قيمة الحياة، وأصبحت إرادة القوة أكثر ثروة، فالحياة التي تريد أن تعلو وإرادة التي تريد أن تتحقق في صورة أجل وأعلى، فلا بد من أن تحرص على طلب المقاومات بنفسها. فالحياة السامية حياة تنشد الخطر وتلح في طلبه ولا تستطيع أن تصور وجودها دون تصورها محفوفا بالأخطار محاصرا بالتهديدات وضغوطات عليها، ومحاصرة بالمقاومات فكان إرادة القوة إذا هي في الوقت نفسه إرادة خطر، وتعمل على جعل حياة الإنسان يعيش في خطر ومن

---

[1] جان لاكروا، **دلالة الجنون في فكر ميشال فوكو**، مقطتف من كتاب نظام الخطاب، ص 92.

[2] فريدريك نيتشه ، **هكذا تكلم زرادشت**، تر علي مصباح، ط1، (منشورات الجمل، ألمانيا، 2007)، ص 12.

أجل هذا يقول نيتشه عبارته الرائعة:**"كي تجني من الوجود أعظم الثمار، وتنعم بما فيه عش في خطر"**[1]، وما يمكن أن نستنتجه من نظرية نيتشه في الوجود أنّه يقوم على أساسين:

يتمثل الأساس الأول في إرادة القوة والثاني يمثل في الحياة وهي الوجود الحقيقي كله ولا وجود غيرها أي أن الحياة والوجود ما هو إلا حقيقة كله، يشير نيتشه إلى أن إرادة القوة تلعب عدة أدوار في الجمعة وفي الدولة فتراها تمتد بجذورها إلى كل شيء، فنجد البعد الأول في جمع الناس للمال مما تدفعهم الرغبة نحو السيطرة والشعور بالقوة، ثم البعد الثاني يظهر في تصور الناس للتاريخ، فنجدهم يحاولون أن يخضعوا التاريخ لإرادة القوة لهذا يفسروه بالقوة. وهذا ما يظهر في الجانب السياسي، يوضح نيتشه أن هناك ضعفاء عديموا القوة يطالبون أولا بالعدالة من جانب هؤولاء الذّين يمتلكون القوة ويطالبون ثانيا بالحرية أي أنهم يريدون أن يتخلصوا من هؤولاء الذّين بيدهم القوة، وكذلك يطالبون بالتساوي في الحقوق، وأنهم يريدون مادامت أن السلطة ليست في أيديهم أن يحولوها لهم، لقد أشار نيتشه إلى كيف تنشأ الأخلاق والقيم وذلك من خلال تنازع السلطان الذي يمتاز بالغلبة والقوة بين السيادة والعبيد فهذا الأخير يخترعون قيما أخلاقية لا غرض لهم منها إلا إخضاع السيادة لهم عن طريقها وليست في الواقع إلا أسلحة مسمومة يستخدمونها لكي يتحرروا من سلطة سيادتهم.

ويتمثل الأساس الثاني في السيطرة عليهم بمجرد زوال سلطتهم، وحسب نيتشه سوف يبقون ضعفاء لكونهم ليس لديهم القدرة على مقاومة على غرار القوة التي تقابل المقاومة لهذا يوضح نيتشه في هذه الفكر بأن الأسباب التي تؤدي إلى جعل الضعفاء من الناس صغار حمقى هي عينها التي تدفع الأقوياء والنادرين إلى العظمة والعلاء[2].

يشير نيتشه بأنّ الناس يخضعون بالعادة لكل ماله قوة، لأنّ القوة تكلفهم كثيرا من التعب وتتطلب الشجاعة، ولكنها في الحقيقة تخفي من ورائها إرادة قوة، فالضعفاء يقولون نحن نخضع كي نستطيع أن نحصل على الشعور بالقوة والأقوياء يشعرون بلذة لا توصف فحسب نيتشه الرجل القوي هو صاحب الصحة السليمة القوية، بينما الرجل الضعيف صاحب جسد هزيل يريد السلام والمساواة ويريد أن يحيا حياة المحافظة على البقاء، ولكن القوي يفضل عدم الاستقرار وخلق المشكلات فالضعفاء لا يريدون أن يخاطروا بأي شيء بينما الأقوياء يريدون المخاطرة بكل شيء.توصل نيتشه إلى أن إرادة القوة تشمل الجانب القوي، وأنها هي التي تحقق له جميع أغراضه ومصالحه وتعلمه كيفية السيطرة على الآخرين، لهذا يستشهد بقوله: **"تلك إرادتكم كلها، أنتم يا أكبر الحكماء، تلك إرادة القوة لديكم،ومن أجل هذا تحدثون عن الخير والشر، وعن تقويم القيم، أنكم يقيمكم وبأقوالكم في الخير والشر، تمارسون قوتكم أنتم يا من تقومون القيم وهذا هو غايتكم المتخفية "**[3]، فيستخلص لنا في الأخير إرادة القوة هو سر الوجود والحياة في كل مرافقها، و يبين نيتشه بأنّها أساس ومستقبل الوجود، فإرادة القوة عند نيتشه هي مصدر قلب القيم، وإثبات

[1] فريديك نيتشه،**العلم المرح**، تر حسان بورقية ومحمد الناجي، بدون طبعة،(إفريقيا للنشر، بيروت،2000)، ص 291.

[2] د عبد الرحمان البدوي، **نيتشه**، بدون طبعة،(وكالة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، 1985)، ص 231.

[3] فريدريك نيتشه، **هكذا تكلم زرادشت**، ص 143.

القوة هي محض وجود وأن يكون المرء ملزما بتبرير ذاته، إنها قوة الحياة كما يوضحه برييه الفهم الخاطئ لها، فليس صحيحا أنّ إرادة القوة لدى نيتشه إرادة قوة متوحشة ومدمرة، بل تأملات نيتشه كشفت له على ما يبدو أن غزارة الحياة تتجلى في اختيار وفي التنظيم الدقيق للعناصر الّتي تسيطر عليها، إرادة القوة في الأخير هي إرادة القيم وشروط إمكانية الحياة[1].

إرادة القوة عند نيتشه هي سلاح لتحطيم الانحطاط الّذي عرفته أوربا في فترة زمنية طويلة فإرادة القوة هي الفكرة النقيضة لإرادة الحياة عند شوبنهاور الّذي يدعو للعزوف عن الحياة لتجنب آلامها، في حين يعلن نيتشه وفاءه وحبه للحياة، وبقدر ما تكون الحياة قوية بقدر ما يكون العالم أكثر خصوبة، لهذا أصبحت إرادة القوة الركيزة الأساسية في فلسفة نيتشه ومرجعيتها الغائية والأساس الأنطلوجي والأخلاقي الثابت للنسق الفلسفي، وحسب نيتشه إرادة القوة هي الّتي تحرك الأفراد ولقد أكّد بأنّ صراع الأقوياء هو صراع طبيعي إنّ إرادة القوة لها هدف وغاية وهي الوسيلة الوحيدة لتحقيق السعادة في هذا العالم، لهذا يعطي نيتشه الاهتمام الأكبر للقوة بعبارة أخرى يقدّسها لأنّه يعتقد بأنّها موجودة في كل أرجاء الكون، فإرادة القوة هي جوهر الحياة لهذا يعلن نيتشه على لسان زرادشت الإيمان المطلق بإرادة القوة فيقول:" **لقد أفضت الحياة دائما أن أتفوّق على ذاتي**"[2] فإرادة القوة تتطلب الكفاح.

2.2.2 إرادة السلطةعند ميشال فوكو

- **المنظور الفلسفي للسلطة عند ميشال فوكو:**

نلخص مرّة أخرى حضور فكر فوكو في فكر نيتشه من خلال مسألة السلطة لهذا عمد فوكو على تبيانها ولقد أشار بأنّ السلطة موجودة في كل مكان. ويعود اهتمام فوكو بموضوع السلطة إلى سنة 1968م أي إلى الثورة التي أحدثت في نظره تغيرا كبيرا في الفكر الفرنسي المعاصر ومن خلالها سعى فوكو إلى الكشف عن الوجه الخفي والحقيقي للسلطة وخاصة في جانبها المعرفي والسياسي، وهناك أسباب موضوعية جعلت ميشال فوكو يهتم بالبحث في مجال السلطة وخاصة من الناحية السياسية والمعرفة وتتمثل هذه الأسباب في ما يلي:

- مشكلة المثقفين المركسيين الفرنسيين الّذين كانت لهم سلطة آنذاك، لكون الماركسية تريد أن تقدم نفسها كمجدد للتقليد الليبرالي الجامعي، ولقد حاولت طرح إشكاليات أكاديمية أكثر جدارة بالمعرفة.

- المنحى المعرفة الّذي قام على تعرية مختلف الحالات والظواهر المقيتة الّتي استخدمتها السلطة السياسية خاصة ما يتعلق بالجنون والسجون والجنس والمجتمع والتاريخ وغيرها فلقد كانت السلطة تتحاشى الحديث عن هذه المواضيع لكونها خط أحمر،يقيمون عليه بعض المنع والتمويه، لهذا نجد المعرفة هنا تقوم على أساس تعرية أركيولوجيا لكل

[1] أحمد عبد الحكيم عطية، **جذوز ما بعد الحداثة**، بدون طبعة،(دار الثقافة العربية،القاهرة،2008)، ص 326.

[2] فريدريك نيتشه، **هكذا تكلّم زرادشت**، ص 128.

المظاهر والمفاهيم ومختلف الأشكال الاجتماعية، وهذا ما يزعج السياسيين في كونهم يقومون على أساس اللعب والكذب والإخفاء والتنويه[1].

- الابتعاد عن فكر ستالين، الذي قام على أبعاد كل الأطر المعرفي التي لا تشكل امتداد تقليديا، وهذا ما حاولت الماركسية الجديدة تجنبه عن طريق مسايرة المخزون التطوري للمعرفة.

وعند التدقيق في التطور التاريخي السلطة نجد أنّ هناك اتجاهين يسيطران على التأصيل الفلسفي لهذا المفهوم فيتمثل الاتجاه الأول في تناول السلطة لنظام الحكم في المجتمع وفق تدريج التراتبي مستند إلى القوة السلطوية القهرية وذلك من خلال اعتمادها على نظام صارم. في حين نجد الاتجاه الثاني ينظر إلى السلطة بوصفها متموضعة في البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع، وهنا يعطي لنا فوكو أمثلة كالطبيب الّذي يمارس سلطته على المريض وكذلك العادات والقيم لديها سلطة تمارسها على من توجه إلى ذلك، وكما أن للمجتمع سلطة يمارسها على مختلف أفراده عن طريق العقاب والهيمنة والرأي العام وحسب فوكو الاتجاه الأول ينحصر في المجال السياسي بمعنى أنّ السلطة لا يمارسها سوى أصحاب القرار السياسي أي الحاكم، فهي مجموعة من المؤسسات والأجهزة الحكومية التي تعمل على إخضاع المواطنين داخل رقعة مكانية معينة، وكما تمارس جميع أشكال العنف والإرغام والتعسف، بينما الاتجاه الثاني وإن كان لا ينكر الصبغة السياسية لمفهوم السلطة إلا أنّه سعى كذلك إلى اكتشاف المضامين السلطوية التي تحكم التفاعلات داخل الجسد الاجتماعي والثقافي. وقد فرض هذا الاتجاه الفلسفي نفسه خلال القرن العشرون وذلك عندما بدأ مجموعة من المفكرين أمثال **ماركيوز، هابرماس،** إضافة **فوكو** بالبحث عن تفاعلات والممارسات القمعية والقهرية والسلطوية داخل النسيج الاجتماعي بمختلف تمفصلاته.

وحاول فوكو بناء نظرته حول السلطة من خلال فكرة نيتشه الّتي توضح بأنّ السلطة متواجدة في كل مكان، و بفضل العلاقة الشديدة بين فوكو ونيتشه سمح لفوكو بالقيام بتحليل السلطة كعلاقة بينما نيتشه أقامها على أساس القوة لهذا أطلق على نيتشه بفيلسوف القوة والإرادة إذ وصف فوكو نيتشه بأنّه فيلسوف السلطة بحيث استطاع التفكير فيها دون الانغماس في النظرية السياسية[2]، بينما عمد فوكو على إظهار العوامل التي ساعدت على ظهور السلطة والتي تتمثل في العوامل السياسية التي شهدتها أوربا خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية وكذلك ظهور الأنظمة الشمولية والستالينية والفاشية والنازية وأحداث **8 ماي 1968** في فرنسا وأوربا وأمريكا بصفة عامة، وأما السبب الرئيسي في ظهور السلطة في نظره -فوكو- والّذي يعود إلى الخلفية الفكرية و يتعلق الأمر بظهور مفكرين وفلاسفة أمثال **ميكيافللي** الّذي عالج مفهوم السلطة من زاوية علاقة القوى أما عن فوكو الّذي أعطاها فيما بعد مفهوما أو تصورا جديدا و الّذي سماها **بالميكروفيزياء للسلطة**.

استطاع فوكو بفضل نيتشه أن يجعل علاقة السلطة الهدف الأساسي للخطاب الفلسفي لهذا كان فوكو شديد العلاقة بنيتشه، مما سمح له القيام بتحليل السلطة كعلاقة وفي نظر

[1] ميشال فوكو، **نظام الخطاب**، تر محمد سبيلا، بدون طبعة،(دار التنوير، بيروت، بدون سنة)، ص57.

[2] ميشال فوكو، **إرادة المعرفة** ، تر مطاع صفدي ، بدون طبعة،(مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990)، ص 105.

فوكو بأنّ _نيتشه_ تقدّم بخطواته الأساسية في مفهوم السلطة مقارنة بالفلاسفة أمثال: "كال ماركس" الّذي حصر مفهوم السلطة في تحليل علاقات الإنتاج فقط.

ولهذا يعرض جيل دلوز في كتابه " **المعرفة والسلطة، مدخل لقراءة فوكو"** إلى عرض بعض النقاط المشتركة بين نيتشه وفوكو، والّتي ترتكز حول مفهومي السلطة والقوة والسلطة عند فوكو حسب دولوز هي سلطة إستراتيجية قائمة على مجموعة من العلاقات المتشابكة والمتداخلة فيما بينها، أي أنها عبارة عن شبكة من الممارسات والنظم الّتي يتداخل فيها ما هو اجتماعي بما هو اقتصادي وما هو سياسي وما هو معرفي أيضا فالسلطة إذن ما عادت ملكية أي القول بأنّها في يد الطبقة أو فئة من المجتمع، بل إنّها ملك للدولة، يتجاوز فوكو هذه النظرة إذ يشير إلى أنّ علاقات السلطة هي علاقات إنتاجية قبل كل شيء، لهذا سعى إلى تبيان الوجه الجديد الّذي اتخذته السلطة وعلى ما يميز بين الحاكم والمحكوم والغالب والمغلوب وعلى غرار ذلك يرى فوكو أنّ السلطة ينبغي لها أن تطرح من خلال مفاهيم جديدة أي باعتبارها إستراتيجية وأنها لديها نوع من المحايثة والإجرامية، إنها إستراتيجية لأنّها ليست في يد ملك واحد، وهي محايثة لأنها تخرق أجزاء المجتمع كله،وهي إجرامية لكونها تمثل مجموعة من الإجراءات الواضحة والخفية في الوقت نفسه، لذلك يقول فوكو:" **السلطة بمثابة منزلة وهي شبكة منتجة تمرّ عبر الجسم الاجتماعي كله، أكثر مما هي سلمية ووظيفتها القمع"[1]**. وحسب فوكو السلطة لا تقوم على الإنتاج الّذي يظهر في خطاباتها فقط بل تقوم على القمع والتخويف والعنف، وكما تتسم بالحيوية والتجدد كما يصفها دولوز على أنها **"علاقة قوى ،أو أنّ كل علاقة قوى هي علاقة سلطة"[2]** .

توصّل فوكو بعد الدراسة الّتي أجراها حول السلطة في مختلف أشكالها إلى ميزة أساسية والّتي ترتكز على مفهوم جديد لها ألا وهو ميكروفيزياء السلطة، والّذي يهدف إلى إظهار الخطاب السلطوي في مختلف أرجاء الشبكة الاجتماعية، ولقد بيّن كذلك أن السلطة لا تعني بأجهزة السيطرة الحاكمة أو بمؤسسات الدولة فحسب بل هي تتخطى هذه التسميات والتي تشمل مختلف فعاليات الأجهزة الاجتماعية.

ما استخلصه فوكو من خلال فلسفة نيتشه هو وجود علاقة بين الخطاب والقوة باعتبار أنّ الإرادة الحقيقية هي السلطة، وأن هذه الإرادة في الثقافة الغربية ظلت دوما في عمقها إرادة قوة، وبين فوكو ذلك من خلال أن إنتاج الخطاب في كل مجتمع هو في نفس الوقت إنتاج مراقب ومنظم والّذي يعاد توزيعه من خلال عدة إجراءات التي يكون دورها التحكم في حدوثه المحتمل وإخفاء ماديته الثقيلة والرهيبة، وتظهر إجراءاتها فيما يسمى بالمنع[3] .

يلتقي فوكو بنيتشه في نقطة أساسية وهي أن السلطة تتموضع فيما وراء الأخلاق وخارج المعايير الحقوقية والقانونية، والتي تعتبر أوهاما وأقنعة تحجب الطابع التسلطي للدولة وبالتالي يلامس فوكو السياسة من الخلف انطلاقا من مواضيع تندرج في حقل هذه الأخيرة وتجاوزها في الوقت نفسه، فالمجنون في جنونه أكثر حرية من المريض العقلي

---

[1] ميشال فوكو، **النظام الخطاب**، تر محمد سبيلا، بدون طبعة،(دار التنوير، بيروت، بدون سنة)، ص 74.

[2] جيل دلوز، **المعرفة والسلطة، مدخل لقراءة ميشال فوكو**، تر سالم يافوت، بدون طبعة،(المركز الثقافي العربي بيروت، 1987)، ص 45.

[3] ميشال فوكو، **نظام الخطاب** ، ص 9.

الخاضع لسلطة الطبيب، وبهذا يعتبر فوكو المنحرفين والمهمشين والمجرمين دعاة العنف قد مورست عليهم سلطة القهر في المقابل هناك سلطة مضادة وهي بمثابة صورة باطنية كفيلة بتصور لاوعي للمجتمع الّذي سرعان ما يتفجر ضدّ السلطة المنزلة للعقاب[1].

وفي هذا السياق يرى فوكو أنّ القرن التاسع عشر هو قرن الاستغلال والبؤس أما القرن العشرون فهو قرن السلطة والهيمنة وأنّه ضالة المجتمع"[2].

ومن خلال هذه الأفكار سوف نتساءل كيف قام فوكو بتحليل السلطة؟

تقتصر عمل السلطة حسب فوكو على محورين أساسيين هما: يتمثل المحور الأول في جعل الجسد الإنسان عبارة عن آلة، وذلك بترويضه وزيادة قدرات العمل ودمجه في أنظمة المراقبة خاصة في جانبها الاقتصادي، أما المحور الثاني فيتمثل في محور الجنس البشري القائم على الولادات والوفيات والتعمير، ويتم الاهتمام بها بواسطة مجموعة كبيرة من التدخلات والمراقبات الضابطة، إنّها السياسة الحيوية للسكان التي تفرضها الدولة على الأسرة، وإن هذين المحورين هما نتيجة للتطور السريع الّذي حصل في مختلف النظم والتي ساعدت على تطوير ونمو الرأسمالية، وذلك بالتدخل ومراقبة الجسد في جهاز الإنتاج وتكييف السكان وفق الحاجات الاقتصادية[3].

إنّ تحليل فوكو للسلطة لا يمكن فهمه على أنّه مناهض لفكر ماركس ولكنّه في الوقت نفسه لا يمكن اعتباره استمرارا له، وذلك لأنّ فوكو لا يهمل المعطيات المادية ولا مختلف الصراعات، ولكنّه يهتم أكثر بتلك التقنيات الخاصة بالجسد، والتي سماها بالإنضباطات التي لا نجدها عند ماركس، وأين تتجسد سلطته في جهاز الدولة ومعنى هذا أنّ السلطة حسب ماركس متمركزة في مكان واحد، الأمر الّذي جعل فوكو يبحث عنها في كل مكان وتوصل إلى أنّها حاضرة في كل مكان أي أنّها مبعثرة ومنتشرة ومفككة في كل الأرجاء.

يقول فوكو:" **فأنا لا أعني بالسلطة ما دأبنا على تسميته بهذا الاسم،أعني مجموع المؤسسات والأجهزة التي تمكنت من إخضاع المواطنين داخل دولة معينة، وكما أنني لا أقصد نوعا من الإخضاع الّذي قد يتخذ في المقابل العنف صورة القانون، ولست أقصد أخيرا نظاما من الهيمنة يمارسه عنصر على آخر، أو جماعة على أخرى، حيث يسري مفعول الهيمنة بالتدريج في الجسم الاجتماعي بكامله،إنّ التحليل الّذي يعتمد على مفهوم السلطة لا ينبغي أن ينطلق من التسليم سيادة الدولة، أن صورة القانون أو وحدة الشاملة لهيمنة معينة فهي ليس بالأحرى الشكل الذي تنتهي إليها السلطة" [4]**. من خلال النص يعطي لنا فوكو مفهوما فلسفيا للسلطة، يختلف عما ألفناه من تنظير فلسفي للسلطة لدى **أفلاطون وأرسطو** وحتى عصر فلاسفة العقد الاجتماعي **جون لوك وجون جاك روسو** فعلى الرغم من أنّ فوكو يعترف بأنّ السلطة إطار مفاهيمي، يتضمن فيما يمثل

---

[1] محمد أمين جيلال، **ميشال فوكو، والسؤال السلطة**، بدون طبعة، (مؤمنون بلا حدود ، دراسات وأبحاث الجزائر،2016)، ص16.

[2] جيل دلوز، **المعرفة والسلطة، مدخل لقراءة فوكو**، تر سالم يافوت،ط1،(المركز الثقافي العربي،المغرب1987)، ص 30.

[3] ميشال فوكو، **إرادة المعرفة** ، تر مطاع الصفدي، بدون طبعة،(مركز ال'نماء القومي، بيروت 1990)، ص 142.

[4] ميشال فوكو، **جينالوجيا المعرفة** ، تر أحمد السطالي وعبد السلام العالي، ط2،(دار توقبال،المغرب،2008)، ص 105.

تعبيرا عن الشكل الرسمي للسلطة المتمثل بالجهاز الحكومي وآليات السياسية إلا أنّه يرفض تجاهل السلوك الإنساني وتفاعلاته السلطوية، وتهميشها تماما في مصلحة المفهوم المركزي للسلطة، فالعالم المعاصر أضحى يسيطر عليه اليوم تصورا للسلطة وذلك من خلال فهم مضامين وأبعاد هذا المفهوم الجديد للسلطة. ومن هنا جاء اهتمام فوكو بنظم الضبط في حقل الممارسات سلطة المعرفة كنقطة انطلاق لتأسيس لهذا التصور الجديد للسلطة، وكما يصنف فوكو السلطة في العصر الكلاسيكي في قوله:" **إنّ الغرب قد عرف من العصر الكلاسيكي تحولا عميقا في آليات السلطة ، فقد عرفت وظائف عدة، التقويمية والمراقبة والحراسة، وتعمل على تنظيم القوى التي تخضعها سلطة وتهدف إلى إنتاج قوى معين**"[1]، يتضح من خلال العصر الكلاسيكي رؤية فوكو إلى السلطة باعتبارها علاقة في المجتمع، كما تبرر آليات السلطة بكل دقة ووضوح إلا أنّه ومن أجل إدراك طبيعة هذه الآليات السلطوية ينبغي عدم التعامل مع هذه المؤسسات بوصفها أساسا لعلاقات السلطة لأن هذا يقود إلى أن تصبح علاقات السلطة انعكاسا لوظائف هذه المؤسسات بينما نجد السلطة هي مجموعة القوى الموجهة لها.

وإذا كانت السلطة المتمركزة في سلطة شخص مثل التي نظر إليها **أفلاطون** وذلك من خلال فكرة سلطة الفيلسوف الحكيم، وأيضا تعامل **هوبز** مع السلطة المتوحشة، وكما حددها أيضا **ميكيافللي** في سلطة الأمير، فإنّ **فوكو** يرى من الواجب أن يتم فك شفرة ميكانزماتها _السلطة_من خلال إستراتيجية محايثة لعلاقات القوى التي يراها فوكو مختلفة، وأنّها تصدر عن كل شيء وتصير كل شيء ولا تقتصر على مجرد استعمالها للقمع والعنف كما يقول ماركس بل ينتج عنها المعارف الحقيقية، فهي أساس الحياة في المجتمع لأنّها نمط من الفعل والممارسة يمارس على أفعالها ممارسات أخرى خفية.

لقد بدأ فوكو بالبحث في الترتيبات المؤسسة للسلطة داخل المجتمع[2]، وعمل على إعادة بناء تصور جديد لها يختلف كثيرا عن النموذج الاجتماعي الّذي بلوره ايمل دوركايم الّذي يرد فيه الظاهرة الاجتماعية في كلتيها إلى نوع من السلطة الضابطة الملزمة، سواء كان ذلك على مستوى السلطات الحاكمة أو على مستوى السلطات الدينية والأسرية، وكما يختلف عن النموذج الماركسي الّذي يعبّر عن دور الطبقة الاجتماعية التي تملك جهاز الدولة من خلال سلطة القرار وسلطة الاستخدام الأمثل للقوى الإنتاج، أما فوكو فيوضّح تصوره للسلطة على أنقاض نظريات عديدة،إذ شغّل أستاذ القاعة الثامنة على هدم ودحض تلك النظريات السابقة عليه، ليعيد بناء تصوره الجديد حول مفهوم السلطة، ومن أهم الصروح النظريات التي استهدفها حفر فوكو حول السلطة نجد:

- **نظرية التعاقد:** الّتي افترضت أنّ أساس السلطة هو العقد الاجتماعي، وهي في آن نفسه احتكار وإكراه في نظر توماس هوبز، لكن لا يوجد ترضي وتوافقية الأطراف العقد، وهنا تكون السلطة مشروعة، لكن يراها فوكو من زاوية أخرى

[1] ميشال فوكو، **تاريخ الجنسانية** ، تر محمد هاشم، بدون طبعة،(إفريقيا الشرق، المغرب، 2006)، ص 113.

[2] جوده محمد إبراهيم أبو خاص، **المنظور الفلسفي للسلطة عند فوكو**، ط1، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر،2017)، ص 89.

بأنّ السلطة هي نتيجة علاقات قوى، تقوم على إخفاء وحجب عمق العلاقات بين الأفراد، وأنّها مرتبطة بمفاهيم المعركة والمواجهة.

- **نظرية السيادة والحق:** تنطلق هذه النظرية من أنّ الحق هو الّذي يحدد فعل السلطة وأنّ السيادة هي علاقة المنع والإلزام بدقة للشكل القانوني للسيادة، ومن وجهة فوكو السلطة هنا أمام الشكل الإستراتيجي للصراعات والمجابهات بأكثر دقة الهيمنة"La Domination".
- **النظرية الماركسية:** إنّ السلطة حسب ماركس تتجسد في الدولة، وهذا ما جعل فوكو يبحث عنها في كل مكان، وأنها مبعثرة ، ولقد أعطى للسلطة مفهوما آخر لا وهو ميكروفيزياء السلطة.

الميكروفيزياء للسلطة:"Microphysique du pouvoir"

أضاف فوكو المتأثر بنيتشه على موضوع السلطة بعدا فيزيائيا، ألا وهو **الميكروفيزياء للسلطة*** ولقد استعان مفهوم السلطة من اليونان وبلورها أثناء قراءته لنيتشه، ولكنّه لم يهتم بالبحث عن السؤال الأصل والماهية للسلطة بل تساؤل عن كيفية تحقيقها وممارستها ويعمل على تبيان أنّ تقنيات السلطة متعددة وموزعة في أماكن مختلفة ومتعددة، فوكو يعطي تعريفا بسيطا للسلطة والّذي يتمثل في " علاقة قوى"، غير معروفة توصل فوكو أثناء تحليله لمفهوم الجديد الميكروفيزياء للسلطة أنّه مظهر من مظاهر الحداثة معتمدا على القوة أو العلاقات القوة والتفوق والتغلب والاعتماد على التحكم في المراقبة والمعاقبة[1]، وهذا ما دفع دولوز إلى القول بأنّ فوكو نتيشوي بلا منازع خاصة في ما يخص تحليله وتفكيكه لآليات السلطة، وفوكو ينكر المعايير القانونية والاتجاهات الأخلاقية، ويقصيها من مضامير السلطة بسبب عجزها عن تنظيم العلاقات بين أعضاء المجتمع ويعتبرها مجرد أوهام، بل إنّها تعمل على إخفاء العلاقات الإستراتيجية، لهذا يرى فوكو أن السلطة إستراتيجية أكثر منها ملكية وآثارها لا ترجع إلى التملك ما بل إلى حيل ووسائل وأعمال وتقنيات، إنّها ليست مؤسسة ولا بنية ولا قوة معينة بل إنّها وضع إستراتيجي معقد في مجتمع معين، وما يهمّها إلا مصالحها الشخصية فقط[2].

لقد بدأت تتبلور لدى فوكو قناعة جديدة حول السلطة لاسيما بعد أحداث 8 ماي 1968 والّتي دشنها في الدرس الافتتاحي الّذي ألقاه في كوليج دوفرانس " collège de France" عام 1970م،أخذ فوكو يحث على ضرورة الالتفات إلى السلطة وذلك من أجل معرفة آليات عملها في الثقافة الغربية وكذلك مع الحياة الاجتماعية، لكن قبل تجسيد هذه

---

* **مكروفيزياء السلطة**: كان يهدف أساسا إلى تقسيم مفهوم السلطة إلى وحدات مصغرة، تساعد في تفسير علاقات السلطة المنتشرة في المجتمع، والعمل على الكشف عن الممارسات التي تقود إلى تشكيل السلطة والكشف عن أسرارها.

[1] محمد أمين بن جيلالي، **ميشال فوكو ومفهوم السلطة** ،بدون طبعة،(المؤسسة الجامعية للنشر،الإسكندرية،1994) ص 7.

[2] جيل دولوز، **المعرفة والسلطة، مدخل لقراءة فوكو**، تر سالم يافوت، بدون طبعة،(المركز الثقافي العربي، بيروت، سنة 1987)، ص54.

السياسة الفكرية لابدّ لفوكو أن يفرش الأرضية الأركيولوجية المتموضعة بالتفكيك والحفر في بقايا السلطة التقليدية.

يعتبر فوكو المنحرفين والمهمشين ودعاة العنف قد مورست عليهم سلطة القهر، في المقابل هناك سلطة مضادة بمثابة صورة باطنية كفيلة بتصور لا وعي للمجتمع المكبوت الّذي سرعان ما يتفجر ضدّ السلطة المنزلة للعقاب، وما يستخلصه فوكو بأنّ السلطة تتأرجح بين ما تعلنه وما تخفيه، فالمعلن هو الإيديولوجي الّذي تدافع من خلاله الدولة عن مشروعها، والخفي هو السيكولوجي الّذي لا تظهره السلطة فهي رسميا مع الإيديولوجية.

يتجاوز فوكو الأطروحة الماركسية الّتي كثرت فيها الجهاز المفاهيمي من استعملها لمصطلحات إيديولوجيا، القمع و الصراع الطبقي والبنية التحتية والبنية الفوقية، وبواسطة مفاهيم جديدة واتجاه مغاير ينشد فوكو البحث عما يمكن أكثر حقا في علاقات السلطة وتحليل العلاقات في مجالها الاقتصادي، ثم تتبّعها ليس عبر أشكالها المتعلقة بأجهزة الدولة فحسب، بل في مستواها الميكروفيزياء المتعلق بما تحت جهاز الدولة والتعرف عليها أخيرا في واقعها المادي الحيوي، وكما أكّد فوكو في مختلف كتاباته بأنّ السلطة موجودة في كل مكان وفي المؤسسات الاجتماعية، وانّ السلطة تنتج آثارا **كميكروفيزياء غير مرئي**[1]، بمعنى تعمل السلطة على إنتاج أنواع خاصة من الأجسام والعقول، وفي ممارساتها تظل غير مرئية، وأنّ تحليلات فوكو للسلطة ووصفها بأنّها تعمل في مواضيع وبإستراتيجيات معددة وبتسوية الهويات في الثقافة والحياة اليومية هو شكل ونموذج السياسة الثقافية الغربية، وأنّ السلطة ما هي إلا الاسم الّذي نطلقه على **وضع إستراتيجي معقد**[2].

إنّ مصدر السلطة في تصور ميشال فوكو يتمثل في **الخطاب والقوة.**

يتصور فوكو السلطة كخطاب وذلك من خلال قوله:" **إنّ السلطة هو إنتاج الخطاب في كل مجتمع،إننا نعرف كيفية ممارسة السلطة إجراءاتها على المجتمع،وإننا نعرف حين أنّه ليس لدينا الحق في أن نقول كل شيء وأننا لا يمكن أن نتحدث عن كل شيء في كل ظرف**"[3]، وحسب فوكو إذا كان الخطاب ذات طابع شكلي قادر على إنتاج أنماط مختلفة من الفعل، وأمر المهم لديه يتمثل في دراستهم للخطاب و العمل على كشفه وتفسير صيغة هذه البنية الإدراكية والّتي هي أساس أنماط مختلفة من الفعاليات الاجتماعية والثقافية، ويعرّف فوكو الخطاب على أنّه ذات طابع فكري خالص وإنّما هو أداة ووسيلة للقوة، أين تتبناها مجموعة من الأفراد داخل المجتمع ويمارسون أهدافهم ومصالحهم وأنّهم يمثلون نسيجا اجتماعيا وثقافيا متميزا داخل المجتمع الإنساني في لحظة تاريخية محددة، لقد استعان فوكو مفهوم الخطاب من نيتشه بخصوص إرادة الفعل والقوة ولقد ربطه فوكو في ما بعد بمفهوم الخطاب الموجود في داخل المجتمع والّذي سعى نحو الهيمنة والاقتصاد،أي أنّ الخطابات التي يتمتع بها الخاطب داخل الفضاء الاجتماعي والثقافي يكسب الخطاب قوته وهيمنته من الطبقة الاجتماعية، لهذا اضطر فوكو بإدخال البعد

[1] كيت ناشي، **السوسيولوجيا السياسية المعاصرة، العولمة والسياسة والسلطة**، تر حيدر حاج إسماعيل، ط1، (المنظمة العربية للنشر والترجمة، بيروت،2013) ، ص 91.

[2] المرجع السابق، ص121.

[3] ميشال فوكو، **نظام الخطاب**، تر محمد سبيلا، بدون طبعة،(دار التنوير، بيروت، بدون سنة)، ص18.

التاريخي على مفهوم الخطاب ويجعله المرجعية الفكرية والرئيسية التي تقوم بتنظيم وترتيب الممارسات الاجتماعية والثقافية والسياسية و الاقتصادية.

تتشكّل إستراتيجية السلطة وفقا لطبيعة العلاقات القائمة في مجتمع معين ومن ثم فإنّها تجعلها منتجة، وما ينطبق على السلطة يمكن تطبيقه على الخطاب، إذ إنّ كليهما (السلطة والخطاب) لهما حضورهما الدائم والمنتشر عبر قدراتها المنتجة، وهذا ما عبر عنه فوكو بقوله:" **يجب أن نتخيل عالما مقسما بين الخطاب المقبول والخطاب المرفوض، أو بين الخطاب المسيطر والخطاب المسيطر عليه بل يجب أن نتصوره كمجموعة عناصر خطابية نستطيع أن تعمل في إستراتيجية مختلفة"**[1]، لقد عمل فوكو على تبيان إستراتيجيات السلطة والتي تتمثل في تلك الوسائل المستخدمة لبلوغ غاية معينة، وكذلك طرق تصرفها والتي تأثر على الآخرين، وكذلك استعمالها لأساليب مختلفة في المواجهة كحرمان الخصوم من وسائل قتالية وإرغامه على الاستسلام والمقصود هنا الوسائل المعدة للنصر، وحسب فوكو تحمل مصطلح إستراتيجية رسالة بأنّ الخطاب هو **صراع إيديولوجي** أي أنّ الخطاب أمام صورة للصراع، فهل يمكن أن تكون السلطة هي إيديولوجية الخطاب المسيطر؟غير أنّ فكرة السيطرة أو سيطرة خطاب معين تستلزم مقاومة، قد عبّر فوكو بأنّ خطاب السلطة حاضر ومنتشر وأنّه دائم بصورة عامة في كل وقت، وهذا ما دفعه إلى إظهاره لثلاثة أنواع من المقاومات والنظام الّذي يستعمله خطاب السلطة في السيطرة وتتمثل في:

- ✓ تلك التي تقاوم أشكال الهيمنة الاجتماعية والدينية.
- ✓ تلك التي تدين أشكال الاستغلال التي تفصل الفرد عمّا ينتجه.
- ✓ تلك التي تحارب ما يربط الفرد بنفسه ويضمن بالتالي خضوعه للآخرين[2].

يتحدث كذلك فوكو عن مقاومة سلطة من خلال **التشكيل الذاتي** أي وضع الفرد في إطار هوية ذاتية معينة من أجل إخضاعه وهو ما حدث في التجربة الذاتية الغربية، حيث كانت المقاومة نموذج السلطة الدينية والأخلاقية الّذي وضع شكلا خاصا للذاتية، مرتبطا بما يسمى السلطة الرعوية أي لا تمارس السلطة هذا الشكل إلا بمعرفة ما يجول في رأس الناس، أنها ملزمة على معرفة شعورهم والقدرة على توجيههم، وتحمل السلطة حسب فوكو بعدين متوازيين يمثلان قهرا سياسيا مزدوجا أي إدراج الفرد في إطار " هوية ذاتية"، وفي نفس الوقت "هوية شاملة"، وهذا ما حاول فوكو أن يناقشه ويحلله في الخطاب السلطة موضحا موقفه من الإيديولوجيا خاصة من طرف الماركسية والفرويدية، وما تمارسه من خطر ورقابة وإنكار، لهذا عمل فوكو على تجاوز الإيديولوجيا كوعي زائف، ويؤكد حرصه على النقد الإيديولوجي بالربط بين السلطة والخطاب عن طريق انتشارها وحضورها ووجودها الدائم وأيضا قدرة كل منهما على الإنتاج ، وبهذا تكون السلطة أشبه بالإستراتيجية من حيث الاستعداد والمناورة والتكتيك، وكذلك يمثل الخطاب نفس تلك الصفات[3].

---

[1] ميشال فوكو، **إرادة المعرفة**، تر مطاع الصفدي، بدون طبعة،(مركز الإنماء القومي، بيروت،1990)، ص 102.

[2] ميشال فوكو، **يجب الدفاع عن المجتمع**، تر الزواوي بغورة ، ط1،(دار الطليعة، بيروت، 2003)، ص، 41.

[3] ميشال فوكو، **يجب الدفاع عن المجتمع**،ص، 42.

إنّ السلطة حسب فوكو لا تقوم على التوافق بين الحق والحرية أو توافقها بين سلطة المجتمع وسلطة الفرد، بل يطغى في جانبها القمع من خلال وسائلها وأدوات الإنظباط فرؤية فوكو لخطاب السلطة من خلال البحث عنها داخل الفرد في صورتها المثالية حتى يصل إلى الخطاب المسيطر من خلال الإنتاج والممارسات السلطة عبر مجالات المعرفة الفرد والمجتمع. وهم فوكو من دراسته لأشكال الممارسات الخطابية في المجالات المعرفية المختلفة هو إظهار تمظهرات السلطة من خلال المعرفة قوة السلطة وإن اكتساب سلطة يعني القدرة على خلق المعرفة[1]، أو نردد قول نيتشه بأنّ القوي هو الّذي يملك صلاحية تسميته بالسيد، وما يراه فوكو في الخطابات المعرفية في الحضارة الغربية أو في المعرفة بشكل عام إنّ ما هي إلا استمرار للقوة والسلطة في مختلف تمظهراتها.

يشير فوكو حيث توجد السلطة توجد المعرفة، وحين توجد المعرفة يوجد حد معين من السلطة، بحيث مجرد ممارسة السلطة يؤدي إلى خلق معرفة وانبثاقها، وتجميع المعلومات وبالتالي استخدامها، وأيضا ممارسة المعرفة تتبع نوعا من السلطة.

عمل فوكو على إعادة وضع الفرضية القمعية للسلطة في فضائها الاقتصادي لعالم الخطابات في مختلف المواضيع خاصة في المرض والجنون والجنس والسجن وغيرها في المجتمعات المعاصرة منذ القرن التاسع عشر، وكذلك البحث عن إرادة الحقيقة الّتي تشكّل في نفس الوقت الركيزة وأداة للممارسات الخطابية والتقنيات السلطوية[2].

مفهوم السلطة عند فوكو يتعدى مفهوم العنف والقمع إلى معنى شامل والّذي يعني أن صفات السلطة منبثة في كل مكان لدرجة أنّ أي موضوع يقوم بدراسته فإنّه يتحول إلى شبكة من السلطات الأخطبوطية التي تعمل وفق آليات معينة، لذلك يتجاوز فوكو مفهوم السلطة المجتمعية إلى مفهوم مسخرة لإنتاج القوى ومضاعفتها فلا تستطيع السلطة بالقيام بمخططاتها إلا من خلال التنظيم، ومن دون أجهزة معرفية التي ترافق الصرح الإيديولوجي[3].

تظهر غاية فوكو في بحثه عن موضوع السلطة من خلال:

* البحث عما يمكن أن يكون أكثر خفاء ضمن علاقات السلطة.
* معاودة الإمساك بهذه العلاقات إلى حدود البنيات التحتية الاقتصادية.
* العمل على إظهار أشكال المتعلقة بما تحت الجهاز المفاهيمي للدولة والتعرف عليها.

وأخيرا ما تظهره في واقعها المادي.[4]

أخيرا يعدّ نيتشه من أبرز الفلاسفة الّذين ساهموا في تشكيل الرصيد الفلسفي لفكر فوكو ولاسيما في ما يتعلق بمفهوم السلطة، وإذا كان نيتشه يبحث عن مفهوم الحقيقة وقيمتها فقد توصّل إلى أنّ الحقيقة لا تعدو كونها إرادة سلطة، وذلك من خلال العلاقات الموجودة بين الأفراد ولقد وصفها نيتشه بعلاقات سلطوية، وغايتها تحقيق مصالحها إما بالنفع أو بالضرر، ولهذا تميّز السلطة عن نيتشه بأنّها فردية، إذ من الصعب الحديث عن

---

[1] هاشم صالح،**فوكو فيلسوف القاعة الثامنة**، مجلة الكرمل، العدد 12، سنة 1984 ،ص 50.

[2] عبد العزيز العيادي، **ميشال فوكو، المعرفة والسلطة**، ط1،(المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الإسكندرية 1994)، ص 26.

[3] ميشال فوكو، **يجب الدفاع عن المجتمع**، تر الزواوي بغورة، ط1،(دار الطليعة، بيروت، 2003)، ص 58.

[4] ميشال فوكو، **هم الحقيقة**، تر مصطفى المسناوي، ط1،(منشورات الاختلاف،الجزائر،2006)، ص 53.

السلطة بمعزل عن حالة تعددها، فكل سلطة تتوجه إلى سلطة أخرى وتدخل معها في علاقة صرامة كما أنّ السلطة عند نيتشه لا يمكن أن تنفصل عن إرادة السلطة وإذ أن هذه الإرادة هي كيان السلطة ومن هنا نفهم أنّ السلطة عند نيتشه هي إرادة السلطة إلى السلطة[1].

يظهر نهج فوكو الفلسفي في ما يتعلق بمفهوم السلطة من خلال سعيه لتجاوز النظرة القديمة الّتي ترسخت عبد الزمن وخاصة من خلال الربط بين السلطة والدولة، فوكو يرفض حصر مفهوم السلطة بوجود مجتمع معين خاضع لمجموعة من الأجهزة الإدارية والإيديولوجية السلطة فحسب، وإنّما بالتعامل مع السلطة بوصفها ممارسة قبل أن تكون جهازا أو مؤسسة، وباختصار عند فوكو هي" علاقة استراتيجية قمعية" ، ومن هنا نجد أنّ بحوث فوكو الفلسفية عموما كانت تبحث في قضية السلطة سواء تلك الّتي تتعلق بموضوع الجنون أو الطب أو السجن أو الجنس أو المعرفة وغيرها، بحيث كان الاتجاه الفلسفي الّذي تبناه فوكو في هذه الكتابات ومن دون شك هو معالجة لمفهوم السلطة والعمل على إظهار ميكانزماتها[2].

إنّ هناك عامل ساعد فوكو في تطوير نظرته الفلسفية اتجاه إشكالية السلطة ألا وهو انخراطه في الحزب الشيوعي، ليصبح بعد ذلك المادة الأولى في بحثه ودراسته لقضايا عصره والأمر الّذي قاده إلى إجراء مراجعة شاملة لأعماله وتجديدها وإعادة تأويلها من أجل ترسيخ مفهوم جديد للسلطة.

يقرّ فوكو بدور نيتشه في تشكيل مفهومه للسلطة، ويشير إلى أن نيتشه هو الّذي جعل من علاقات السلطة الهدف الأساسي للخطاب السلطوي، لهذا يعتبر فوكو نيتشه مبتكرا ذلك المفهوم بينما هو- فوكو- يعدّ مطوّره وذلك من خلال تساؤله كيف تتحقق هذه السلطة؟.

2.3 المبحث الثالث:الحقيقة كوهم عند فريدريك نيتشه إلى الحقيقة كإنتاج عند ميشال فوكو

2.3.1 الحقيقة كوهم في نظر فريدريك نيتشه

اعتبر نيتشه بأنّ ما كان يعتقده الناس لأزمنة طويلة على أنّه حقائق مطلقة ومقدسة إذ هي في الواقع إلا أوهام، والوهم أخطر من الخطأ لكون هذا الأخير يمكن اكتشافه وتصحيحه بينما الوهم ينتج عن الرغبة، ولقد بيّن نيتشه أنّ للوهم مصدران أساسيين يتمثلان في:

- يتمثل المصدر الأول في حاجة الإنسان إلى الهيمنة والسلم الاجتماعي من أجل الحفاظ بقائه.
- أما المصدر الثاني فيتمثل في اللّغة التي هي عبارة عن استعارات وكنايات ومجازات عن الواقع، فهي تحجب عن الحقيقة الفعلية للأشياء، لهذا تلعب اللّغة دور إخفاء الحقائق لا الكشف عنها.

[1] جوده محمد ابراهيم أبو خاص، **المنظور الفلسفي للسلطة عند فوكو**، ط1،(المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر ،2017) ، ص68.

[2] جودة محمد ابراهيم أبو خاص، **المنظور الفلسفي للسلطة عند فوكو**،ص 69.

ارتبطت الحقيقة عند نيتشه بضدّها الّذي هو الوهم من جهة، وكذلك ارتباطها بالمصلحة الاجتماعية من جهة أخرى، فالحقيقة عند نيتشه هي حقيقة نسبية ولا توجد في معزل عن ضدّه الوهم ويستشهد بقوله:**" إنّ الحقيقة هي ذلك النوع من الخطأ الّذي لا يستطيع نوع معين من الكائنات الحية أن يعيش بدونه، إنّ قيمة الحياة هي الشيء الحاسم في النهاية"**[1]، تعريف الحقيقة عند نيتشه تمثل مجموعة من الأخطاء والأوهام، بحيث مصلحة المجتمع هي الّتي تمنح قيم الصدق أو الكذب، وبهذا يؤكد نيتشه بأنّ الإنسان ما كان ليعيش ما لم يترك الأوهام المنطقية تسوده، وكما أنّ الانصراف عن الأخطاء والأحكام الباطنية معناه الانصراف عن الحياة، وتأكيد على أهمية الخطأ وحيوية للاستمرار الحياة لذا حسب نيتشه تصبح أصل المعرفة ليست أصلا منطقيا، وإنّما الرغبة في المعرفة هو الرغبة في السيطرة والاستمرار في الحياة، وبهذا المعنى تصبح الحقيقة في نظر نيتشه ليست سوى تمثلات وأخطاء أكثر منها حقائق، وبيّن أن المعرفة الإنسانية ليست سوى معرفة موضوعية أكثر منها معرفة مرتبطة بحاجات الإنسان البيولوجية. والأساسية في نظر نيتشه دائما المعرفة التي لا تقدّم لنا حقيقة الأشياء، وإنّما الحقيقة تكمن في السلطة وذلك وفقا للخطابات وتبقى الفلسفة الحقيقة عند نيتشه وكما يقول:" **إنّ الفلسفة كما كنت دوما أفهمها وأعيشها هي البحث عن كل ما هو غريب وإشكالي في الوجود، وعن كل ما ظل إلى الآن منبوذا من قبل الأخلاق وأنّ التجربة طويلة لاكتسابها من هذا التهوام في ربوع الممنوع هي التي علمتني أن أنظر إلى الأسباب الكامنة خلف عمليات سن الأخلاق"**[2].

ترتبط الحقيقة حسب نيتشه بالاعتقاد بوجود حقيقة مجردة ومتعالية عن مصالح أفراد المجتمع والّتي تتجسد في الأوهام والاستعارات التي تلعب دورا أساسيا في الاندماج الجماعي، ومن سمات الحقيقة لديه تتمثل في:

- ✓ تكمن دور الحقيقة في حفظ بقاء الأفراد من خلال اعتقادهم ومسايرتهم للأوهام المشتركة للمجتمع.
- ✓ يسعى الإنسان إلى اكتساب الحقيقة باستمرار لكونها تجلب له المصلحة والمنفعة.
- ✓ ماهية الحقيقة في النهاية هي تشكيلية متداخلة من الاستعارات والكنايات والتشبيهات المتحولة.

2.3.2 الحقيقة كإنتاج عند ميشال فوكو

يتمثل موقف فوكو المتأثر بفكر نيتشه من خلال الحقيقة إشكالية الفلسفية الأساسية لديه بحيث تتبدى مواقفه من الحقيقة و تتمظهر في كافة مستوياتها وعلى سبيل المثال نجدها في المستوى النظري الّذي يضم جمل من المفاهيم والأدوات المنهجية، كذلك نجدها في المستوى العملي من خلال ما يتمظهر في أغلب مؤلفات فوكو، ولقد عمل هذا الأخير بشتى الطرق في محاولة تجاوز فلسفة الحداثة وثنائيتها الّتي توحي وتفترض وجود حقيقة

[1] فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، تر على مصباح،ط1،(منشورات الحمل، ألمانيا،2007)، ص 315.

[2] فريدريك نيتشه،**هذا هو الإنسان**، تر على مصباح ،ط1،(منشورات الجمل للطباعة والنشر، ألمانيا، 2003)، ص 9.

مفارقة "Paradox " حقيقة أزلية وثابتة لا تتغير ولقد حاولت الحداثة تسويقها وتبريرها بشتى الوسائل والأدوات وذلك عبر الممارسات السلطة وآليات إنتاج المعرفة المنهجية[1].

يشير فوكو بأنّ الفلسفة تسير في نهاية المطاف بأنّها تبحث عن الحقيقة، إلا أنّ الحقيقة هنا تختلف من حيث المفهوم والمحال التي تقع فيه وإنّ خلفية اهتمام فوكو بالبحث عن الحقيقة راجع إلى ظهور إرهاصات وتتمثل في نقد نيتشه للحداثة، ومن هذا المنطلق بين فوكو في أكثر من مناسبة أن البحث عن الحقيقة هو ما جعل منه فيلسوفا يشير في قوله:" **لقد كررت عبثا، أني لست فيلسوفا لأنني إذا كنت في النهاية أهتم بالحقيقة، فإنني رغم كل شيء أنا فيلسوفا"**[2]، لذلك جعل من الحقيقة مركزا أساسيا في مجمل دراسته، لهذا نجد هذا المفهوم حضورا متميّزا في مؤلفاته، وإنّ دلالة الحقيقة عند فوكو ليست حصيلة تطابق بين المفهوم ومرجعه في الوجود ولإنتاج تأمل ذاتي بممارسته كما أنّها ليست حصيلة نقد العقل بعين حدود المعرفة الصحيحة والمشروعية، إنّ اهتمام فوكو ينصب على محاولة اكتشاف بنية العقل الغربي عبر التحولات التاريخية الّتي مرّ بها، بمعنى تجاوز الأطر الكلاسيكية من خلال نقد الحداثة، ولقد استخدم فوكو بالمنهج الأركيولوجي ليظهر القطيعة الّتي حدثت على مستوى الحقيقة والّذي يندرج في سياق مشروع نقد نيتشه، وتوصل بفضل المنهج إلى إبراز وجود علاقة بين الحقيقة والسلطة ولقد بين فوكو أنّ ما ندعوه حقيقة هو نتاج لصراع القوى، ودخول ثورة في علاقات مختلفة تتسم بالصراع والهيمنة وبالسيطرة لأنّ ما يسمى بالواقع ليس ذلك المجال الساكن والهادئ الّذي ينتظر فاعلا من الخارج لكي يؤثر فيه بل الواقع يعرج بالصراعات لا تنتهي، ويبيّن فوكو حينما يلتقي فعل بفعل آخر ينتج صراع القوى، فتسرع كل قوة إلى الهيمنة والسيطرة لهذا لابد من إقامة تاريخ الحقيقة دون تناسي الصراع القوى، كما يسمى عادة الحقيقة ما هو إلا تجسيدا لقوة انتصرت على قوى أخرى.

عمل فوكو على إنشاء حفريات ليكون مهمتها التنقيب عن النصب الأثرية الّتي تركها الماضي شاهدة عليه، فالتأويل عند فوكو ألا وهو إبراز الممارسة التأريخية الّتي تنفصل عن الحدث الّذي تم الحفر عنه، فلقد توصل إلى أنّ السلطة هي هيمنة وسيطرة قوة على قوة أخرى وهذا ما يجعلها تأتي من كل مكان لتنتج علاقات قوى، ويتحدث فوكو في سياق الفكر النيتشوي عن إرادة الحقيقة وهمها الوحيد هو إقامة فصل بين ما يعتبر حقيقة لا تبقى ثابتة ولا أزلية، فالحقيقة متعددة في التاريخ تبعا لتعدد القوى المشكلة له من جهة ولنمط العلاقات التي تقوم بين القوى من جهة أخرى، فعندما نتابع في التاريخ كيف انتصرت قوة على قوة أخرى وكيف أنّ إستراتيجية تحكمت في صراع القوى، نفهم لماذا تم الرفع من مكانة حقيقة ما واعتبرت صدقا على حساب ثم إقصاؤه على أنّه خطأ، وفي هذا المنحى فإن إقامة تاريخ للحقيقة انطلقا من صراع قوى ما كانت ليتم لولا اكتشاف فوكو لما يسميه بالحدث الأركيولوجي[3]، وتوصل هذا الأخير إلى أنّ الحقيقة تتأسس على قطيعة ومن عناصر مختلفة ومتباينة، وإنّ اهتمام فوكو بالحفريات راجع إلى جينالوجيا

---

[1] د حيدر ناظم محمد، **إشكالية الفلسفة، من النقد الأركيولوجي إلى الإبداع المفهومي**، ط1،(دار الروافد للناشرون بيروت، 2005)، ص 91.

[2] ميشال فوكو، **هم الحقيقة** ، ص 55.

[3] Michel Foucault**," dits et écrits"**,1954-1975, édition Gallimard, paris, P 230.

الحقيقة وذلك ليبيّن الهم الّذي شغله وهو كيف تنشأ المعرفة؟ وما يبرزه فوكو تحت اسم التشكيلات المعرفة هو وجود علاقة بين السلطة والمعرفة، ذلك أنّ العبارات التي شكلت موضوع حفيات المعرفة سواء كان الأمر يتعلق بحفريات الاستلاب أو بالحفريات للمرض أو بالحفريات للعلوم الإنسانية وأنّها لديها علاقة وطيدة بسلطة الحقيقة، ويبين ذلك بإخضاع الفرد للرقابة وذلك من أجل التحكم فيه اقتصاديا وسياسيا، ولقد انصب موضوع المراقبة على الجسد وتوصل فوكو إلى أنّ الحقيقة تكمن في آليات الخفية التي استعملتها السلطة على الفرد[1].

تكمن حقيق الحضارة الغربية حسب فوكو في خلق السياج من المراقبة على الفرد وأوجب على هذا الأخير أن يقول كل شيء، لهذا وجّه فوكو مطرقته ليس إلى تهديم الأصنام كما فعل نيتشه من قبل، بل إلى إبراز حقيقة تلك الحضارة وكيف تشكلت الهوية الغربية؟ وكذلك عمل فوكو على وضع أسس جديدة لتلك الحقيقة ولتاريخها.

يرفض فوكو تصور التقليدي للحقيقة، الّتي يعتبر الحقيقة ما هي إلا نتائج عن تجربة فيلسوف من خلال تأملاته البعيدة عن الآخرين يذهب فوكو على العكس من ذلك، فيعتبر الحقيقة بأنّها لا توجد بمعزل عن السلطة، وهو الأمر الّذي يعني أنّ لها طابع اجتماعي ومؤسسي وإنّ لكل مجتمع لديه هيئات ومؤسسات خاصة بها، وأناس يوكل إليهم مهمة نشر وترسيخ المنطوقات الصحيحة وكما تعمل على محاربة الحقائق الخاطئة، ولهذا يحدد فوكو خمس سمات أساسية تتميّز بها الحقيقة في المجتمعات الغربية المعاصرة وهي:

1_ تربط الحقيقة بالعلم وبالمؤسسات الّتي تحميه.

2_ تربط الحقيقة بالأهداف الاقتصادية والسياسية للمجتمع.

3_ تمثّل الحقيقة موضوع نشر واستهلاك على نطاق واسع وذلك بفضل وسائل الإعلام والإشهار والاتصالات المختلفة.

4_ تخضع الحقيقة للمراقبة، وسيطرة الأجهزة الكبرى في المجتمع والّتي تتمثل في الجامعات الجيش والاتصال الجماهيري.

5_ إنّ الحقيقة في النهاية ما هي إلا موضوع نقاش وصراع مختلف الأطراف الفاعلة داخل المجتمع.

يمكن القول أنّ فوكو وهو يجوب مجلات المعرفة والمجتمع والأخلاق بهدف وضح تاريخ للحقيقة ونحت مفاهيم جديدة، والعمل على إدخال موضوعات على التفكير الفلسفي لم تكن محط اهتمام الفلاسفة، ومن هذا المنطلق عمل فوكو على إبراز ما كان منسيا ومهملا وعمل على التفكير في ما يبدو مستحيل التفكير فيه[2]، من خلال موضوع الجنون والذات والجنس والمرض والمعرفة والسجين وغيرها من المواضيع.

وحسب فوكو لا وجود لحقيقة موضوعية مطلقة، ولا داعي إذا للبحث عنها ومحاولة اكتشافها ويوضّح بأنّ الجميع يجعلون من مفهوم الحقيقة موضوعا ابستمولوجي، أي قابل بالضرورة المعرفة به، ولكن عند فوكو الحقيقة هو تابع السلطة فهو مفهوم سلطوي

[1] ميشال فوكو، **المراقبة والمعاقبة**، تر مطاع الصفدي، بدون طبعة، (مركز الإنماء القومي ، بيروت ، 1990)، ص 182.

[2] ميشال فوكو، **نظام الخطاب**، تر محمد سبيلا، بدون طبعة،(دار التنوير، بيروت،بدون سنة)، ص، 75.

بامتياز وكذلك الحقيقة لا يمكن اكتشافها بل لابد من تركيبها وتكوينها تاريخيا لأنّ هي تجسيد لعمل السلطة" La vérité est un exercice du pouvoir " خاصة على مستوى الخطابي والعملي، وإنّ أهم اكتشافات فوكو الفكرية والّتي تميزه عن الآخرين هو الطابع التلازمي الضروري بين السلطة من جهة و المعرفة ومن جهة أخرى.
وما نستنتجه بأنّ فوكو يؤمن بالحقيقة ولكن صعب أن نصبغ أغوارها، لكون هناك الكثير ما يعمينها عنها، ولكن ستبقى موجودة والمحتمل أن نجدها وذلك عن طريق التأويلات[1].

إنّ فلسفة نيتشه ما هي إلا تجسيد لحياته وواقعه وتفاعلاته العقلانية الذاتية، لهذا نجد نيتشه إنسان فعال في المجتمع جعل عدة مساءل مفتوحة لمزيد من التجدد والتطور.

فريدريك نيتشه وميشال فوكو يتفقان في مبدأ الشفافية وإزالة الزيف وذلك من أجل الوصول إلى أبعاد الحقيقة، لقد صنعا طرق كثيرة ومتنوعة مليئة بالأسئلة والإشكاليات كما عملى على تجاوز الغموض في عدة مسائل.

[1] المصدر السابق، ص76.

الفصل الثالث: إبداعات ميشال فوكو المنهج الأركيولوجي نموذجا

1. جذور و مجالات المنهج الأركيولوجي
2. المنهج الأركيولوجي وتطبيقاته في محوره الأول الفلسفة الواقعية الاجتماعية
3. نتائج حفريات المنهج الأركيولوجي عند ميشال فوكو

3 الفصل الثالث: ابداعات ميشال فوكو المنهج الأركيولوجي نموذجا

3.1 جذور ومجالات المنهج الأركيولوجي

إذ كانت الجينالوجيا "Généalogie* تبحث عن خطابات السلطة الّتي تختفي وراء الخطاب الفلسفي، حيث تفحصها وتميط اللّثام عنها وتكشف حقيقتها القائمة على أسس دينية أخلاقية ميتافيزيقية، فإنّ الأركيولوجيا عند ميشال فوكو تقوم بالبحث عن الشروط القبلية التاريخية لظهور مختلف المعارف في حقبة تاريخية معينة، ويتم ذلك من خلال الأرشيف المكتوب عن تلك الحقبة.

يعطي لنا فوكو لمحة عن المنهج الأركيولوجي ويقول:" **إنّ الأركيولوجيا لا أقصد به النمط من أنماط المعرفة بل، أقصد أنّه منهجا نقديا يسعى إلى الكشف عن البنية الخفية الإبستيمية المعرفية لكل فترة تاريخية ظهرت فيها مؤشرات لتأسيس خطاب معرفي أو علمي"**[1]. ماذا يعني فوكو بقوله هذا؟ إنّ الأركيولوجيا لا تعني بالضبط فرع معرفي، و لكنّها تمثّل حقل ومجال للبحث والّتي يمكن تحديدها في كل مجتمع و حضارة فهي إذن تبحث في الأرشيف لمعرفة مرحلة تاريخية معينة، وتهتم بكل ما يشكّل الآثار المكتوبة" الأرشيف" للممارسات و التشكيلات الخطابية، فالأركيولوجيا في منظور فوكو لا تمثّل أي علم من العلوم، ولا أي أساس أولى لقيام علم من العلوم في المستقبل، وإنّما هي طريقة ابتكرها من أجل معالجة معيارية لكل الخطابات لفترة تاريخية معينة، وكذلك تهتم بالأشكال والمعايير والقواعد المشكلة للمعرفة وهي تبحث في خبايا وحدود المعرفة العلمية وتكشف القناع باستعمال المنهجية الّتي تتبعها العلوم كالتاريخ والابستمولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرها، تمارس الأركيولوجيا في هذه العلوم نوع من الحفر كي تزيح الستار واللثام عن اللامنطوق والمسكوت عنه. إنّ هدفها في النهاية هو تعرية الخطاب بغية الكشف عن البنية الخفية الّتي يقوم عليها.

تقوم الأركيولوجيا في نظر فوكو ببحوث كثيفة وعميقة إذ تحلل كيفية تشكل معرفة معينة وكما أنها- الأركيولوجيا- تسلط الضوء على ملفوظات الخطاب وعن مناطقه المظلمة غير المكشوفة عنها، وحسب فوكو الأركيولوجيا كلمة تعني تحديد المستوى وتعيينه أي مستوى الملفوظ والأرشيف الّذي يعتبر عصر الظّلام الّذي ساد الحضارة الغربية، من خلال هذا التمهيد سوف نطرح عدة تساؤلات، كيف ساهم المنهج الأركيولوجي للكشف عن الوجه الخفي للحضارة الغربية؟ وما هي خلفيات ظهوره؟ وما هو مفهومه وخصائصه ومجالاته؟ وكيف تم تطبيقه على مستوى الفلسفة الواقعية والاجتماعية ؟ وما هي نتائج حفريات المنهج الأركيولوجي عند فوكو؟.

3.1.1 المبحث الأول: جذور ومجالات المنهج الأركيولوجي

1_ جذور المنهج الأركيولوجي عند ميشال فوكو

* استعملت كلمة الجينالوجيا من أجل الوصول إلى المفاهيم الميتافيزيقية الّتي تبحث في أصل القيم ليضعه موضع سؤال وذلك من أجل تحديد قيمته.

[1] ميشال فوكو، **حفريات المعرفة** ، تر سالم يافوت، بدون طبعة،(مركز الثقافي العربي، المغرب،1987)، ص 186.

يستلهم فوكو مصطلح الأركيولوجي من فريدريك نيتشه، وذلك من خلال تأثيره بالمنهج الجينالوجي الّذي يقوم على إزالة الأقنعة عن الأوهام وهدم وتقويض فكرة الأصل والمركز والحقيقة المشكّلة للفلسفة الحديثة، كوهم العقلانية ووهم الحقيقة والجوهر، وهنا يأخذ فوكو هذا المصطلح في دلالته القصوى ويجعله يعنى أولا وأخيرا الاقتلاع من الجذور أكثر مما يعني البحث عن الحقيقة الأولى أو عن الهوية المفقودة.[1]

يؤكّد فوكو على لسان نيتشه بأنّ لا شيء عميقا وخفيا يكمن خلف المظاهر والظواهر ولا وجود لمعنى أو حقيقة أولى يمكن الوصول إليها من خلال التأويل، لهذا نجد مشروع فوكو مستمدا من الفيلسوف الألماني نيتشه، و يستشهد **هاشم صالح** في قوله:" **إنّ ميشال فوكو كان يشتغل تحت مظلة نيتشه وتحت سقفه، وإن أعمال فوكو ما هي إلا تنويعات على أطروحات نيتشه ولكن الكل يعلم أنّه كان يفعل شيئا أخر جديدا قد لا يقّل أهمية عما فعله نيتشه**"[2]، وبهذا الصدد حرص فوكو على ربط تفكيره بخطة نيتشه وما نستخلصه أن تفكير فوكو يندرج بوضوح في الفلسفة الجديدة الّذي دشنته إستراتيجية مجاوزة للميتافيزيقا كمشروع قام عليه الفلسفة المعاصرة بمختلف نواحيه، وبفضل جينالوجيا نيتشه قام فوكو ببلورة أسئلة جديدة في عدة مواضيع كالطب العيادي والنفسي وكذلك في مجال العقوبة والسلطة والذّات والتاريخ وذلك باستعمال المنهج الأركيولوجي إذ تعود جذوره إلى جينالوجيا نيتشه والّذي استخرج من رحمها ذلك المنهج الّذي اعتمد عليه فوكو من أجل التنقيب والحفر في الجوانب الخفية داخل الحضارة الغربية، فالمنهج الأركيولوجي الّذي استخدمه فوكو هو منهج يسعى إلى الكشف بواسطته قواعد تاريخية والمسكوت عنه ولقد استعان به ليركّز على الممارسات السلطة ورهاناتها. كذلك التّقصي في عمق عدة مواضيع منها اللّغة والجنون والمرض، والسجن والجنس، ولا بدّ من الحفر في الهوامش أي في المتخفي بتعبير فوكو.

إنّ ما يستخلصه فوكو من فلسفة نيتشه هو وجود علاقة بين الخطاب والسلطة باعتبار أن إرادة الحقيقة في الثقافة الغربية طغى دوما في عمقها إرادة القوة، ولقد استعمل فوكو لأوّل مرّة كلمة الأركيولوجيا في قوله:" **إنّ العصاب هو أركيولوجيا عضوية للبيدو**"[3]، وهذه الكلمة ستظهر من جديد في مختلف أعماله وتكون موضوع ومنهج ورؤية فلسفية لجميع المواضيع الّتي يناقشها مثل أركيولوجيا الجنون، أركيولوجيا المنظومة الطبية، أركيولوجيا المنظومة العقابية وغيرها، وإنّ الخلفيات الّتي جعلت فوكو يتوسّع في مجال تطبيق المنهج الأركيولوجي هو اكتشافه لأرشيف مكتبة إبسيلا حول تاريخ الطب وهذا الأرشيف يضمّ ما يقارب واحد وعشرون ألف وثيقة تشمل على رسائل ومخطوطات وكتب نادرة تخص تاريخ الطب الغربي.

ولعلّ جهود فوكو الأركيولوجي ليس إلا محاولات لقراءة اللحظات الحاسمة من تاريخ الفكر الأوروبي من إظهار الخلفيات المعرفية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية، وكما حاول أن يستنبط العلاقات الموجودة في السلطة دون أن ينسى دور المراقبة والمعاقبة[4].

---

[1] هاشم صالح، **فوكو فيلسوف القاعة الثامنة**، مجلة الكرمل، العدد12، 1984، ص15.

[2] هاشم صالح، **فوكو فيلسوف القاعة الثامنة**، ص 16.

[3] Michel Foucault, **Maladie mentale et psychologie**, p u f, 1954, p26.

[4] الزواوي بغورة، **مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو**، بدون طبعة، (المركز الأعلى للثقافة، 2000)، ص 150.

3.1.2 مفهوم المنهج الأركيولوجي عند فوكو

يقصد فوكو بمصطلح **أركيولوجيا Archéologie** علم الآثار أي ذلك العلم الّذي يبحث في الآثار المادية للحضارات السابقة عن طريق الحفريات، بحيث يقوم بدراستها وتحليلها وتركيبها، وكلمة الأركيولوجيا مشتقة من اللفظ اليوناني **أركية "Archée"** أو **أرخايوس "**Arkhair "الّذي يعني القديم.

يعرّف فوكو المنهج الأركيولوجي في كتابه:" **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي**":" **إنّ المنهج الأركيولوجي هو منهج تعليمي بسيط، يعلم الطالب بأن لا وجود لشيء وراء النص غير أن النص يحتوي بين طياته على معاني صامته تمتلئ بنبع لا ينصب عن الأصل الّذي يتعذّر البحث عنه أي مصدر أخر، ففي النص يكمن معني الوجود لا في الكلمات بكل تأكيد بل من خلالها كشبكة ينظر إلى ما ورائها، ولقد استعملت كلمة الأركيولوجيا خصوصا لإشارة إلى بعض الأشياء الّتي ستصبح فيما بعد وصفا للأرشيف وليس بغرض اكتشاف عظام الماضي أو البحث عن الظلال العابرة"**[1]. لقد أراد فوكو بهذا المنهج أن يفتح مجالات متنوعة، إذ أن المصطلح في حد ذاته يفرض وجود وقائع خفية وسرية لهذا يتحتّم على الأركيولوجي أن يكشف عن أسرارها، وأن تبحث في أصولها وثوابتها من أجل الوصول إلى بنيتها المكوّنة، وحسب فوكو الأركيولوجيا لا تبحث عن البداية، بل يتساءل عن كل ما قيل في مستوي وجوده، أي ما يتعلّق بالوظيفة المنطوقة الّتي تمارس فيه والتكوين المقالي الّذي ينتمي إليه والنسق العام للأرشيف الّذي ينبثق عنه.

يطلق فوكو على المنهج الأركيولوجي أيضا بالمنهج الحفري والّذي يستخدمه في دراسته للتجربة التاريخية، ولقد أشار إليه في كتابه " **نظام الخطاب**" إذ يقول: " **المنهج الأركيولوجي هو الدراسة الضمنية للمعرفة الإبستيمية الخاصة بكل عصر معين**"[2] بمعنى علم الحفريات الأثرية، على وجه الإجمال هو دراسة مختلف الشرائح الاجتماعية ومختلف المعارف عبر العصور وذلك مثل ما فعل نيتشه بالمنهج الجينالوجي و ماركس بالبحث في البنية التحتية لقوى الإنتاج، ويضيف فوكو " **أنّ الأركيولوجيا لا تهتم بالعلم بقدر اهتمامها بالمعرفة في علاقتها بالعلوم،كما أنّها تسعى إلى استكشاف دور التكوينات المقالية من بين ثنايا المقال العلمي**"[3]، نستنتج بأنّ كلمة الأركيولوجيا يمكن أن يدخل في نطاق تمسكه بالجانب المادي للمقال تماما كما يتمسك عالم الآثار بكل عنصر ملموس تسفر عنه عمليات التنقيب والحفر ونقطة التقاء بين فوكو وعالم الآثار هو أن كلاهما ينظران إلى الواقعة بالملاحظة وعلى أنّها عنصر في سياق وكلاهما لا يعترف بدور الذوات إلاّ باعتبارها جزءا من السياق أو عنصر ضمن بقية العناصر، ولقد أشارت أنجيل ماريبيتي أنّ عمل الأركيولوجي لا بدّ أن يرتكز على شبكة عامة ومتكاملة من جميع العلاقات، وهي علاقات الجاري اكتشافها بفضل العمل الدائب لمجموع المناهج الّتي تجتمع تحت اسم " البنائية" فهي تحليل التركيبات الاجتماعية وتدرس الصفات المعرفية

---

[1] ميشال فوكو، **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي**، تر سعيد بنكراد،ط1،(مركز الثقافي العربي، المغرب ،2006) ص 602.

[2] ميشال فوكو، **نظام الخطاب**، تر محمد سبيلا، ط1،(دار التنوير للنشر والطباعة ، بيروت، 1984)، ص 74.

[3] ميشال فوكو، **حفريات المعرفة**، ص 255.

ونظرية تاريخ المعرفة، وهي النهاية المنهج الأركيولوجي لا يهتم بالعلم بقدر اهتمامه بالمعرفة في علاقته بالعلوم، وذلك لأن فوكو قد تسنى له اكتشاف دور التكوينات المقال من بين ثنايا المقال العلمي.

3.1.3 مجالات المنهج الأركيولوجي

يقول فوكو:" **وهكذا يظهر مشروع الوصف المحض لأحداث المقال بمثابة أفق للبحث عن الوحدات المكونة، وهذا الوصف يتميّز بسهولة عن التحليل اللّغوي ذلك لأنّه لا يتسنى لنا إقامة نسق لغوي إلا باستخدام مجموعة من المنطوقات أو منتجات من مجموع الوقائع المقالية"**[1]، لقد سمح المنهج الأركيولوجي بالكشف عن الأساس الّذي ترتكز إليه المنطوقات وعن علاقتها المتداخلة كما سمح بتكوين تصور عن الإنقطاعات المعرفية في فترات تاريخية مختلفة، وفي تحليله للبنية الغربية استعمل فوكو ثلاثة مفاهيم وتتمثل في المقال والمنطوق والأرشيف، فما هو المقال؟ والمنطوق والأرشيف وما هو مجالات كل واحد؟.

1– المقال:Article

يمثّل كل من المقال من أهم مجالات المنهج الأركيولوجي وهي وحدة "unité" إذ يعرفها فوكو من خلال كتابه **"الأركيولوجيا المعرفة"** يقول**:" تهدف الأركيولوجيا إلى تعريف المقال بذاته باعتباره ممارسة تخضع لقوانين أي أنّها في تحليلها للمقال تستهدف فقط الكشف عن قواعده الخاصة به، كما تكشف عن أن هذه القواعد لا يمكن أن تردّ إلى غيرها وهي في مواجهة علم تاريخ الأفكار وإنّما تبحث في الكشف عن زيف مبادئه"**[2].

يشير هذا القول إلى أنّ دراسة المقال لا يعني التمثلات والصور والأفكار المتضمنة فيه بل تهدف أساسا إلى تحليل المقال نفسه والإنصات لما يقوله في آن واحد، ومجال المقال الّذي يتكلم عنه فوكو مجال العقل لأنّه تحديده يحصر الذوات في قوالب لا نستطيع التعبير من خلالها لهذا يجب علينا أن نترك المقال يتحدث، وفي حديثه لا بدّ من استكشاف حقائق جديدة لم تفصح عنها الحقب المنطوقة، ويحرص الأركيولوجي على تتبع حيثيات المقال وكذلك العمل على التخلص من مزاعم التواصل والاستمرارية بحيث يجب أن يكون تعامله مقتصرا على مجموع الأحداث المتفرقة، فوكو يعطي أهمية للمنهج الأركيولوجي إذ جعل منه مقياسا لتحديد نمط العلاقات القائمة بين المنطوقات ونوعيتها والوصف الأركيولوجي في المقال يرمي في الأخير إلى إبراز قوانين لتصبح أساس المعرفة.

يظهر لنا فوكو بأنّه يمهد بخطة إبستمولوجية جديدة تستهدف الغوص في أعماق الثقافة الماضية، وتقدّم وصفا جديدا للمقال يختلف تماما عما يقوم به أقصد علم تاريخ الأفكار كما يظهر أيضا من هذه القواعد أنّ فوكو يريد التأكّد من نقاء الأرضية الّتي تنشر عليها أحداث المقال.[3]

---

[1] عمر مهيبل، **البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر**، ص122.

[2] ميشال فوكو ، حفريات المعرفة، ص 182.

[3] Michel Foucault, **l'archéologie de savoir**, Gallimard, paris,1969 ,p 169.

2– المنطوق: Enoncé

يشير فوكو في كتابه" **حفريات المعرفة":" لقد استخدمت في مناسبات عديدة لفظ المنطوق إما لأشير إلى عدد المنطوقات، أو لأميّزه عن تلك المجموعات الّتي أسميها الخطابات مثل <ما يتجزأ الجزء عن الكل>، و يبدو المنطوق لأول وهلة كعنصر أخير أو جزء لا يتجزأ قابل لأنه مستقل بذاته، ويقيم علاقات مع عناصر أخرى متشابهة له ويبقى المنطوق أبسط جزء في الخطاب"[1].**

يعرف المنطوق على أنّه ذروة الخطاب، وحدة أولى وعنصره الأخير،إذ استعمله فوكو للإشارة إلى أحداث مفردة" événements aingulien" في مقابل هذه المجموعات الّتي نسميها خطابا "Discours "، والمنطوق هو وظيفة للرموز إذ حمل فوكو على عاتقه مهمة وصف المنطوقات وإبراز نمط العلاقات الموجودة بينها، ولا يقتصر عمل المنهج الأركيولوجي على كشف علاقة المنطوقات بل إنّ هذا المنهج يهدف أيضا إلى الكشف عن نسق العلاقات الّتي تختبئ وراء المنطوقات والّذي يفسر ظهورها، وكما يهدف كذلك إلى الكشف عن نسق التوزيع"Système répartition " الّذي يفسر تواجد المنطوقات المتغايرة والعمل على إظهار قانون التصورات إبتداءا من المنطوقات، لهذا يجتهد المنهج الأركيولوجي للوصول إلى وضعية المنطوق"la positivité de l’énonce " وهو في هذا لا يتعرض لعالم مغلق لأنّ غاية المنهج هي إعادة فتح ملفات، ما أنجز من أعمال لفحصها في صورة منطوقات لا يتحدد معناها إلا داخل مجال معين، ولقد تحققت فعلا هذه الغاية في تطبيق المنهج الأركيولوجي من خلال المنطوق.

3– الأرشيف: Archive

يعرّف فوكو الأرشيف ضمن كتابه: " **الأركيولوجيا المعرفة"** بأنه:" **النّسق الّذي يحكم ظهور المنطوقات باعتبارها أحداثا مفردة أو هو النّسق العام لتكوين المنطوقات وما يطرأ عليها من التحول،وهو ما يميّز المقال في صور وجوده المتعددة وما يحدده في ديمومته الخاصة"[2]**

يمثّل الأرشيف بالنسبة لفوكو على أنّه مجموعة الخطابات المنطوقة فعليا وهذه المجموعة من المنطوقات ليست أحداثا وقعت أو انقضى عهدها أو انتهت، بحيث هذه المجموعة لا بد من إظهار عملها وتحولها في التاريخ وبإمكانها العمل علم على إنتاج خطابات أخرى. يواصل فوكو شرحه لمفهوم الأرشيف مبينا إنّه النّظام الّذي ينظّم ظهور المنطوقات بوصفها أحداثا خاصة أو منفردة، والمقصود بالأرشيف كذلك هو نمط تعيين المنطوق أو جعله حاضرا "Actualiser" وليس الأرشيف هو التراث بل هو نسق عام من أجل تشكيل تحول المنطوقات، فبالطبع لا نستطيع وصف أرشيف مجتمع معين، أو ثقافة معينة أو حضارة معينة وحتى الحقب التاريخية، ولا نستطيع وصف أرشيفنا الّذي ننتمي إليه لأننا جزء منه.

---

[1] ميشال فوكو، **حفريات المعرفة**،تر سالم يافوت،بدون طبعة،(المركز الثقافي، دار البيضاء، 1987)، ص 76.

[2] ميشال فوكو، **حفريات المعرفة**، ص،171.

إنّ وصف الأرشيف لا يظهر لنا إلا الجزيئات أو مقطع "Fragment" وذلك بسبب ندرة الوثائق، كذلك لا يقوم وصف الأرشيف على تأكيد الهوية من خلال التمايزات وإنّما يقوم على الاختلاف لأن هناك اختلاف في خطابتنا وإنّ تاريخنا هو اختلاف في الأزمنة.

وإن ذواتنا هو اختلاف الأقنعة لهذا نجد المنهج الأركيولوجي لا ينتمي إلى نوع من البداية وإنّما يعمل على تعيين الموضوع العام و يتساءل عن ما تم قوله على مستوى وجوده من خلال الوظيفة المنطوقة، الّتي يمارسها وكذلك التشكيلة الخطابية الّتي ينتمي إليها ونظام الأرشيف العام الّذي ينتمي إليه.

فالأركيولوجيا تصنف الخطابات باعتبارها ممارسات خاصة في عنصر الأرشيف وهذا الأخير يبقى مجال ما قيل من الأشياء وهو موضوع بحث الأركيولوجي، الأرشيف هو ما يميز المقال في صورة وجوده المتعدد وما يحدده في ديمومته الخاصة ولهذا يعتمد المنهج الأركيولوجي على أرشيف الكلمات[1].

3.1.4 المبحث الثاني: المنهج الأركيولوجي وتطبيقاته في محوره الأول الفلسفة الواقعية والاجتماعية

1 _ من خلال موضوع الجنون:

بدأ المنهج الأركيولوجي يترسخ في العلوم الإنسانية من خلال تفعيلها وفعالياتها وبوصفه منهج للحفر والتنقيب والتعرية في فعاليات الحياة، وبفضل ذلك المنهج سعى فوكو إلى الكشف عن البنية الحضارة الغربية، وهذا من أجل الوصول إلى المعني المتخفية في الخطابات الفلسفية، ولقد تطرق فوكو إلى عدة مواضيع في مؤلفاته الّتي كانت بمثابة تطبيق لمنهج جديد لدراسة الظواهر البشرية من خلال" **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي"** سنة 1961م، " **مولد العيادة"** سنة 1969م إلى **"المراقبة والمعاقبة** "سنة 1975م وغيرها، إذ يعدّ المنهج الأركيولوجي بمثابة تطبيق منهجي لما جاء في مؤلفاته المختلفة، وكما سعى إلى معرفة البنية الاجتماعية للغرب والّتي عرفها على أساس أنّها مثل العملة بوجهين يمثل وجهها الأول ما هو **ظاهر** أما الوجه الثاني يتمثل فيما هو **غير ظاهر**، لقد أوكل فوكو لذاته مهمة البحث والتنقيب في جوانب الأحداث الّتي يتعرّض الإنسان إليها، وبحث عن المنطق الّذي يتحكم **ميكانيزمات الجنون وطبيعته** في تاريخ الحضارة الغربية، وكذلك بحث عن نظرة الغرب المرض والطب؟ وكذلك بحث عن مختلف أنماط العقاب الّذي كان يسطر على تاريخ الجزاء الغربي؟ ومن خلال هذه التساؤلات فيما تكمن أهمية الفلسفة الواقعة والاجتماعية ميشال فوكو؟ وكيف طبق فوكو المنهج الأركيولوجي على هذه المواضيع؟

استعمل فوكو المنهج الحفري معتمدا في ذلك على استنطاق الأرشيف من أجل قراءة جوانبه المسكوت عنه، وإخضاع الجوانب الغامضة فيه للتأويل وإظهار مناطقه الخفية الّتي يمكن اعتبارها من بين البنيات الأساسية المكونة للحضارة الغربية، وتكمن أهمية ذلك في إبراز المكانة الّتي تحتلّها السلطة ومدى تأثيرها المبالغ في تحديد مسار حياة المرء.

[1] Michel Foucault, **L'archéologé de savoir**,p 171_172.

لقد حاول فوكو استنباط المقولات العميقة و الرئيسية، إذ ناقش ظاهرة الجنون ومراحله من خلال كتابه" **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي**" وفيه تساءل عن كيفية تصوّر الغرب لمسألة الجنون؟ باعتبار الجنون ظاهرة غامضة لم يتمكن الإنسان لحد الآن من معرفة المؤثرات الّتي يمكن اعتبارها مسببا في ظهوره، وما زاد هذه الظاهرة التباسا هو تلك الصعوبة الّتي يواجهها الباحث في تحديد أعراضه. ومن جهة أخرى يتعذّر الأمر حتى الآن في تحديد ماهيته بوصفه إما مرضا نفسيا أو مرضا عقليا أو مرضا عضويا لذلك طبق فوكو المنهج الأركيولوجي على موضوع الجنون للبدء في طبيعة علاقة الجنون بالواقع وتناول كذلك طريقة تعامل الحضارة الغربية مع المجنون وذلك عبر أربعة عصور وما يسميه فوكو بتاريخ الحضارة وهو سؤال يهتم بتحليل الشروط التاريخية إذ يبدأ من العصر الوسيط ثم عصر النهضة ثم عصر الكلاسيكي وأخيرا عصر الحديث، مبرزا فيه آليات الإكراه الّتي تمّ تكريسها داخل المستشفيات وخارجها بحجة المعالجة، وكذلك عملت على ترهيب المجتمع من خلال الشخص المجنون، ولقد أشار فوكو إلى البحث فيها وعن الشيء الّذي لم يبعث عنه الآخرون وهو الجنون وكذلك البحث عن دلالات الّتي اقترنت بالجنون في مختلف العصور.

أ– الجنون في العصر الوسيط:

لقد اعتبر الجنون في العصر الوسيط على أنّه قوة خارقة أو زيادة شيطانية يتمثل في الأمور الغيبية وأنّه مرتبط بالأرواح الشريرة، مؤكدا في ذلك:" **لقد اعتبر فوكو عصر الوسيط الجنون على أنّه جملة من الخوارق، فالقوة الخارقة ليست لله وليست للشيطان وإنّما للمجنون**"[1] في هذا القول نجد الجنون قد استبغ بنزعة إيجابية بحيث أعتبر الجنون على أنّه شيء مقدس وينظر إليه في الواقع على أنّه شيء مبهم لأنّ الإنسان لم يعرف الحد الأدنى المتعلق بالعقل والجنون، لهذا كان ينظر إلى المجنون على أنّه كائن غير إنساني ولهذا السبب كان يعامل بإكراه شديد جعلته يأتي في المرتبة أحط من الحيوان وكما أنّه مقترن بالرذائل وأنّ الجنون لا ينفصل عن الرذيلة وهذا ما أشار إليه فوكو في قوله:" **لقد منح عصر الوسيط للجنون مكانة مع الرذائل**"[2]، وقد يرجع هذا إلى الاعتقاد الديني الّذي يعتمد على مبدأ الإنسان صورة الاله في الأرض، أما الجنون عبارة عن غياب لصورة الله والّذي يتمثل في العقل وحضور صورة الشيطان المرتبطة بالرذيلة. وبهذا اعتبر عصر الوسيط الجنون شكل من أشكال انتقام القدرة الالاهية من البشر، كما نجد في هذا العصر أنّ المجنون شخصية مقدسة له حضور مألوف داخل عالم الإنسان القرون الوسطى باعتبار الجنون آتيا من علام آخر.

ب– الجنون في عصر النّهضة:

تغيّرت النظرة إلى الجنون بدءا من عصر النّهضة، فالمجنون هنا عبارة عن حالة من الشذوذ أو حالة غير عادية، لهذا استوجب اتخاذ إجراءات صارمة تتمثل في سعي المجتمع إلى إلغاء المجانين وطردهم من بيوتهم إلى حدود المدن والقرى.

---

[1] كريس هوروكس، وزوران جيفتيك، **فوكو للمبتدئين**، تر غاندي المهتار، ط1،(مؤسسة الانتشار العربي، بيروت 2000)، ص40.

[2] ميشال فوكو،**تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي**، تر سعيد بنكراد، ط1، (المركز الثقافي العربي، 2006) ص44.

من خلال اللوحة الّتي رسمها جيروم بوش J Bouche (1450-1516) يظهر فيها التشاؤم الّذي ساد عصر النهضة إزاء ظاهرة الجنون إذ يقول فوكو بهذا الصدد:" **تحمل سفينة المجانين القلق الّذي اجتاح فجأة الثقافة الغربية من خلال القرون الوسطى، إذ أصبح الجنون مصدر لتلك المخاوف، فالمعتوهون عبارة عن شخصيات خارقة يحيطها اللّبس دوما**"[1]، يشرح فوكو وضع الجنون في السفينة والّتي تحمل دلالات عديدة منها أنّها ترمز إلى عملية طرد المجانين عبر السفن ويجولون بهم الأنهار للبحث عن عقولهم لأنهم يرون أن الجنون ليس بداخلنا وإنّما يكون خارج الإنسان أي ليس داخل العقل، لهذا لا يجب على المجنون أن يعيش داخل المدينة لأنّه يخل بالنظام السائد، و لأنّ المجتمع الغربي في هذه المرحلة كان قيمه وقراراته ونظمه وسلطته قائم على أساس العقل وهذا ما بيّن أن الجنون حالة غير عادية ومفهوم المرض الجنوني لم يظهر بعد.

يشير فوكو في كتابه " **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ":" لا وجود للجنون إلا داخل الإنسان، ذلك أن الإنسان هو صانع ذلك الجنون من خلال تعلقه بنفسه ومن خلال الأوهام الّتي يعيشها، وأنّ الجنون لا يهتم بالحقيقة والعالم وإنّما يهتم بالإنسان كما يتصوره هو**"[2]، يرى فوكو في هذا العصر أن الجنون دخل عالم المقال الّذي سمح بالتعايش بين مقال العاقل ومقال المجنون، وكان ذلك مع كتابات كل من **برانث** (1458-1521)

و**أراسم**(1469-1536) ومع كتابات **شكسبير** (1564-1616) و**سرفانتس**(1532-1592) ولقد عبر فوكو في قوله:" **بأن عصر النهضة قد حرر صوت الجنون**"[3]، ويبقى الجنون عنده-فوكو- ظاهرة إنسانية ليس مصدرها عالم خارجي كما تصوره الغرب في العصر الوسيط الّذي يمثل الخوارق أو زيادة شيطانية، وإنّما مصدره العالم الداخلي للإنسان الّذي يملك القابلية لتعويضه للجنون و أنّ إمكانية الإصابة به متواجد داخل كل إنسان.

ج- الجنون في العصر الكلاسيكي" :

يؤرخ فوكو لبداية العصر الكلاسيكي بظهور اللحظة الديكارتية وخاصة في كتابه **"التأملات الأولى"** وكان هذا في أواسط القرن السابع عشر، وبهذا أغلق ديكارت مرحلة عصر الوسيط الّتي سمحت إلى حد ما بالتعايش خطاب المجنون مع خطاب العقل، وهذا ما شار إليه فوكو في قوله:" **لقد أعاد عصر النّهضة إلى المجنون صوته، والّذي يتحكم في مصادر عنفه وسيأتي العصر الكلاسيكي لكي يسكته بقوة غريبة**"[4]، يفسر لنا فوكو الجنون في العصر الكلاسيكي من خلال فلسفة ديكارت الّتي تمثل مقال العقل، إنّها تختلف تماما عن مقال الجنون في الطبيعة، ولقد ارتبط الجنون في هذه المرحلة باللاعقل والّذي برهن عليه ديكارت بطريقة فلسفية وهذا من خلال تأمله الأول إثبات وجود الذات المفكرة وهذا ما أشار إليه _ديكارت_ في قوله:" **كيف أستطيع أن أفكر لأن هاتين اليدين يدايا،**

---

[1] المصدر السابق، ص 34.

[2] ميشال فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ص 94.

[3] المصدر السابق، ص 65، 66.

[4] Michel Foucault, **histoire de la folie à l'âge de classique**, saint Amand, France, 1964, p 94.

وهذا الجسم جسمي اللهم إلا إذا أصبحت من هؤولاء المجانين الّذين اختلت أذهانهم (....)، وما ينفكون أنهم ملوك في حين أنهم فقراء جدا"[1]، لقد اقترن الجنون في العصر الكلاسيكي بانهيار البنى الواعية وبعجز القدرات العقلية لدى الإنسان ولهذا لا يمكن أن يكون الجنون مصدر الحقيقة وهذا ما دفع بالعصر الكلاسيكي بتمجيد العقل ووضع الجنون في حيز الصوت واقترانه باللاعقل، ونجد هنا ديكارت استبعد الجنون باسم الذات الّتي تشك ولا يمكن لها أن تجن ولهذا نجد الشك الديكارتي قد قضى على الجنون ورمى به خارج الذات المفكرة.

لقد تمّ نفى الجنون على المستوى الفكري فإذا كان الإنسان لديه إمكانية أن يصبح مجنونا فإن الفكر لا يمكنه أن يجن. كما يبيّن فوكو حالة المجنون في العصر الكلاسيكي **باقترانه بالحيوانية** ويقول:" **رأيتهم عرايا وضعوا على أجسادهم أسمالا، ويفرشون التين لاتقاء رطوبة الأرض الّتي ينامون عليها، ورأيتهم بلا غذاء كاف محرومين من هواء يستنشقونه. محرومون من ماء يروي عطشهم، ومحرومون من الأشياء الضرورية للحياة، رأيتهم بين سجانين شداد تحت رحمة مراقبة عنيفة، ورأيتهم يتكومون في فضاءات ضيقة ومتسخة بدون هواء ولا نور في كهوف لا تليق بالوحوش الضارة"**[2].

بمعنى أصبح المجنون حيوانا في نظر العصر الكلاسيكي وهذا من خلال تقديم فوكو صوّر عن المجانين الّذين تم حجزهم داخل المحتجزات وهم مقيّدين إلى الجدران، ولم يتركوا المجانين يمارسون جنونهم بكل ما أمكن من الحرية، وقد وضعت قاعات الحجز الّتي تشبه قفص الحيوانات الشرسة إذ تم توظيف هذه الصفات الّتي يملكها المجنون من أجل إظطهاده، فالمجنون مرادف للمذنب وتم تكبيل يداه بالقيود ووضعه خلف القضبان من أجل حماية محيطه الاجتماعي من تلك الشرارة والعنف.

وما يمكن أن نستخلصه أنّ ديكارت قد نفى الجنون من مستوى الفلسفي والفكري وكذلك نجد المؤسسات أو السلطة قامت بنفيه من أرض الواقع وتجلى ذلك في عملية عزل المجانين عن باقي أفراد المجتمع ويظهر هذا العزل من خلال **العزل الأول**، و تعود الإرهاصات الأولى لهذا العزل إلى تأسيس المستشفى العام في باريس، وهذا ما أكده فوكو في قوله:" **لقد بادرت السلطة الفرنسية في تشييد هذا المستشفى في 27-10-1656،الّذي يعتبر الخطوة الأولى الّتي قامت بها السلطات بالتجسيد الفعلي لممارسة العزل، وذلك بإنشاء مراكز الحجز، وهذا من أجل تشديد الرقابة على المجنون لكي لا يتحرك بكل حرية، وبهذا يكون العصر الكلاسيكي قد بدأ في عملية تهميش وإقصاء المجانين ووضعهم بعيدا عن الفئات الاجتماعية الأخرى"**[3]، لم يكن إنشاء هذه المستشفيات من أجل الاهتمام بالمجانين وعلاجهم بل أصبحت مؤسسات تدرج بداخلها العديد من الشرائح الاجتماعية، فكانت بمثابة آلة للقضاء على الفئات الّتي تسبب الانزعاج للسلطة الحاكمة في ذلك الوقت، يعبّر فوكو في قوله:" **بعد سنوات قليلة فقط من فتح أبواب تلك المستشفيات نجدها قد امتلأت كلها حوالي أكثر من ستة آلاف شخص قد تم**

---

[1] روني ديكارت، **تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة**، تر كمال الحاج، بدون طبعة،(منشورات عويدات، بيروت، 1984)، ص 15.

[2] ميشال فوكو، **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي**، ص 70.

[3] ميشال فوكو، **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي**، ص 71.

عزل جميع المتسولين عن العمل والفقراء والمحكوم عليه بالسجن بشكل تعسفي ووضعوا إلى جانب المصابين بالجنون"[1]، توصل العزل الأول في العصر الكلاسيكي إلى هدفين أساسيين هما الهدف الاقتصادي أين تم إدخال الفئات إلى المستشفى خاصة الفئات الّتي تشكل خطرا على النظام الملكي وإلى جانب المجنون يوجد مجنون عاطل عن العمل، أما الهدف الثاني يتمثل في هدف أخلاقي فقد ينظر إلى الجنون على أنّه جهل وظلام، فالمجنون يساوي خانة فارغة في الهرم الاجتماعي ولهذا يجب أن يوضع المجنون في زنزانة مظلمة. ويمكن القول أن العزل لديه معنى واحد في أوربا و الّذي كان يعبّر عن الأزمة الاقتصادية الّتي عمت العالم الغربي برمته آنذاك وهذا ما أدى إلى انخفاض الأجور وتفشي البطالة وندرة السيولة[2]، وظل الوضع على هذا المنوال حتى منتصف القرن الثامن عشر حيث أثار ديدرو (فيلسوف فرنسي من فلاسفة الأنوار) التساؤل من جديد حول الجنون من خلال كتابه" **ابن أخي رامو**" ويقول فوكو أن المغزى من هذا الكتاب هو أن الجنون قريب من الكائن أي من الإنسان فهو متجذر في أعماق الطبيعة البشرية وفيه يتجلى حقيقة الإنسانية الفعلية، وبهذا بدأت الشعارات ترتفع قصد الفصل بين المجانين والفئات الأخرى وهذا ما يسميه فوكو بالعزل الثاني.

يمثل **العزل الثاني** مرحلة مهمة إذ تم عزل الفئات الأخرى عن المجانين، وعملت السلطة باشتغالهم لكونها تعاني من عجز اقتصادي آنذاك، ولقد استعانت بالمجانين من أجل الحفاظ على ثرواتها فعملت على عزل غير الأسوياء عن الأسوياء" المجانين" وتسخيرهم للعمل دون مقابل بأبخس الأثمان وفي أسوء الظروف الإنسانية.

لقد توصلت السلطة في العزل الثاني للمجانين إلى أن الجنون ليس مرض معدي مثل باقي الأمراض كالبرص أو الجذام فإن الجنون حالة خاصة فهو مرض يستوجب العلاج.

لذلك تواصلت دراسات حول موضوع الجنون وذلك في سنة 1650-1657م من طرف طبيبان توك الطبيب الانجليزي و بينال(1743-1826 الطبيب الفرنسي). يشير فوكو إلى أنّ الإرهاصات الأولى الّتي بدأت من خلالها عملية تحرير المجانين والّتي أصبح سند قانوني منذ قيام الثورة الفرنسية، وفي هذه المرحلة اختفت فكرة الحجز ويؤرخ فوكو للمرحلة الثانية بتحرير المجانين انطلاقا من الثورة الفرنسية الّتي نادت بحقوق الإنسان وحفظ كرامته بحيث قال:" **إنّ التجمعات الكبرى المنصوص عليها من طرف التجمع الوطني وكذلك الجمعية التأسيسية الدستورية وذلك بعد الإعلان عن حقوق الإنسان تنص على أنّه لا يمكن القبض على أحد أو سجنه إلا في الحالات الّتي يحددها القانون وفق الأشكال المعمول بها"**[3].

قامت الثورة الفرنسية من منطلق فوكو بزعزعة أعماق البنى الفكرية الّتي قامت عليها الحياة الأوربية، وأيضا عملية تحرير المجانين ارتبطت بحدث علمي يتلخص في ظهور النظرية الطبية الّتي تربط الجنون بالمرض، وهذا ما شهد العصر الحديث.

د- الجنون في العصر الحديث:

---

[1] المصدر السابق، ص 73.

[2] المصدر السابق، ص 88.

[3] ميشال فوكو، **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي** ، ص432.

يعتبر الجنون ظاهرة مرضية يمكن مراقبته وعلاجه داخل العيادة، وكذلك تعيين أطباء مختصين ذوي كفاءات ومهمتهم تحديد المواصفات الطبية الّتي تحاول النجاح في اقتراح الأدوية على المجانين الّذين أصوبوا بالمرض، وكما نجد تأثير الأطباء الأوربيين وانبهارهم من مكسب الحضارة الإسلامية في الميدان الصحي كطرق الخاصة الّتي يعالجون بها المجانين باستعمال الرقص والشعر والموسيقى، ولقد استقطبت أطباء الغرب خاصة **بينال** الّذي نظر في إعادة الاعتبار للمجنون وأن نعيد الإنظباط الأخلاقي له من خلال أن نفهمه أن هناك أخلاق في المجتمع لا يجب أن يتجاوزها لذلك معالجتهم بالموسيقى والشعر أي كما وجدوه في الحضارة الإسلامية، وهذا ما أشار إليه جعفر عبد الوهاب في كتابه : **البنيوية بين العلم و الفلسفة"** :" إن العالم العربي قد أنشأ مبكرا مستشفيات مخصصة للمجانين، فقد أنشأ مستشفى للمجانين في مدينة **فاس** ابتداء من القرن السابع للميلاد، وكان العلاج مقتصرا على الاستماع للموسيقى والرقص والشعر ومشاهدة المسرحيات والاستماع إلى القصص" والعلاج لا يقتصر على تعذيب المجانين كما مارسته الحضارة الغربية، أما الطبيب الإنجليزي توك الّذي أسس مستشفى خاص خلال القرن الثامن عشر وكان الهدف منه هو إعادة الالتزام بالذات، وسعى كذلك إلى أن يفهم المجنون على أنّه شخص مريض ولكنّه غير مسؤول ونوصله إلى نوع من المسؤولية الاجتماعية لذلك يقول فوكو:" **حيث حل الجنون وراء الجهة الأخرى لأبواب السجن، إلا أنّه أصبح اليوم يسكن في أعماق الشعور"**[1].

- **نتائج الّتي توصل إليها المنهج الأركيولوجي حول موضوع الجنون:**

1 – عدم وجود علاقة بين الجنون والعصور الأربعة، وقد عمل المنهج الحفري على إظهار كيفية تعامل الحضارة الغربية مع المجنون بأبشع الطرق.

2- إنّ الحضارة الغربية استغلت الغموض الّذي تميّز به ظاهرة الجنون، فقامت بتوظيف الشرائح الاجتماعية في المجال الاقتصادي و الاجتماعي، وهذا ما يظهر وجود علاقة وطيدة بين الجنون والميادين الأخرى، وكذلك كان تخطيط السلطات الفرنسية بتوظيف الشرائح الاجتماعية من الاستفادة من طاقتهم وذلك من أجل دفع عجلة الثروة الصناعية في أسوء الظروف والمعاملات.

3- اكتسبت فلسفة ديكارت مكانة مرموقة في أوربا وأصبح بذلك بمثابة السلطة السياسية الّتي يستند إليها الحكام، فالجنون في تلك الفترة بمثابة فقدانه للغة، وأن المجنون فقد حقل الكلمة.

4- عجز مؤسسة الطب النفسي الّذي ظهر مع فرويد (1856-1939) في معرفة ظاهرة الجنون، إذ كان تفسيره مرتكزا على الغريزة الجنسية وحدها، مما جعله لا يفهم الصوت الخفي للمجنون، ولم يترك المجنون يتحدث عن ذاته بكل حرية، وبهذا اعتبر فوكو جهود علماء النفس لا تدخل سوى ما يسميه بعملية ترويج لانجازاتهم و ذلك عن طريق النظرة السطحية للأمور، وليس المهم إذن تحرير المجنون من قيوده المادية والمعنوية الّتي قد

[1] ميشال فوكو، **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي** ، ص539.

تحتوي على إبداع خلاق،لا يمكن أن يتوفر في شريحة المجانين الّذين نعتبرهم أناسا قد يكونوا جنونهم ضرب من ضروب العبقرية الفذة[1].

5- أصبح الجنون تهمة تلصق للناس الّذين يعتبرونهم مصدر قلقهم وإزعاج وخوف على السلطة لهذا حثت على وعهم في مصح المجانين واتهامهم بالحنون، ويمثل الجنون بمثابة أقصى عقوبة تسلطها السلطة على من يكون مصدر الإزعاج.

6- وما نستخلصه من حفر فوكو حول موضوع الجنون بأنّه مثل العملة وجهه الأول يمثل الظاهر أي العقل أما وجهها الثاني يمثل اللاظاهر اللاعقل أي الجنون.

8- مسألة الجنون ليست فقط بوصفها مسألة طبية علاجية بل وصفها ظاهرة نسبية لها خصائصها ومميّزاتها الاجتماعية والتاريخية والأخلاقية ولا نستطيع فهمها إلا بالعودة إلى ذواتنا وأنها أيضا وليدة العبقرية وذلك من خلال الأعمال الإبداعية بمعنى هناك أشكال الجنون تفطن بطريقة غيبة في الأعمال العظيمة للاعقل فمنذ القرن التاسع عشر ظهر أعمال لامعة مثل تلك الّتي قام بها هولدرلين (Hölderlin) ونيرفال (Nerval) ونيتشه (Nietzsche)[2].

9- يعدّ نيتشه من عباقرة الجنون، وملهم فوكو خاصة في دراسته لظاهرة الجنون استطاع فوكو بفضل أفكار نيتشه أن يعرّفنا كيف يثور المجنون على نظام السياسي والاجتماعي وكيف تغطى أسوار العقلانية ليثبت أنّ العقل ليس سوى نموذجا يحتذي به، لهذا عمد فوكو إلى إعادة الاعتبار للمجنون وإعطاء الكلمة لمن هم مهمشين في المجتمع.

اختار نيتشه لنفسه أن يعيش تجربة الجنون ليدخل عام1888م في ليلة جنون يصرح فيها قائلا:" أنا ليوسوس القيصر، أنا المسيح" وهكذا راح يصرخ واحد من أكبر فلاسفة التاريخ في أواخر القرن التاسع عشر ومشارف القرن العشرين، وأما بالنسبة لفوكو فأراد أن يخرجنا من نظراتنا الضيقة عن المجنون ليفسح أمامنا آفاق جديدة من خلال اعتبار الجنون موضوعا اجتماعيا[3]، كذلك اعتبر فوكو جنون نيتشه بمثابة ثورة على العقل المجتمع الّذي يسعى<العقل> إلى تقييد حريتهم ويكمم أفواههم وكأنّه يخاطبهم إن لم تكونوا مثلنا فإننا سنتهمكم بالجنون ونجردكم من العقل و الحكمة، ومن خلال هذه الأفكار لا يستطيع أحد أن يتحدث عن تطور فكر فوكو دون أن يشير إلى مفكر من طراز رفيع ألا وهو نيتشه، إذ يؤكد فوكو بأنّ شخصية نيتشه مجنونة ولكنّه أكثر حكمة إذ تنبأ بمستقبل الحضارة وبهذا الصدد يبقى نيتشه في نظر فوكو فيلسوفا عظيما عاش متعة الحكمة وفتنة الجنون وأكثر من ذلك كان جنونه حاضرا في إنتاجياته[4]، و غاية فوكو من اهتمامه بأعمال نيتشه هو هدم الحدود الّتي كانت تفصل المواقف الفلسفي برمته، ولهذا بحث فوكو بفضل المنهج الأركيولوجي عن مواضيع خارج الإسهام الفلسفي مثل تاريخ الآخر "L'autre" أي الجنون.

---

[1] عمر مهيبل، **البنيوية في الفكر الفلسفي العاصر**، ص 194.

[2] ميشال فوكو، **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي**، ص 539.

[3] ميشال فوكو، **نظام الخطاب** ، تر محمد سبيلا، بدون طبعة،(ة دار التنوير، بيروت،بدون سنة)، ص 16.

[4] جيل دولوز، **نيتشه**، تر أسامة الحاج، ط1،(المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت،1998)، ص 17.

2– أركيولوجيا النظرة الطبية:

طبق ميشال فوكو المنهج الأركيولوجي في مجال الطب*، ولقد حاول أن يبلور نظرة جديدة لتاريخ الطب وسمّها بالنظرة الأركيولوجية الطبية، وقد تطرق إلى مسألة المرض والعيادة في كتابه **" مولد العيادة""Naissance de la clinique** " الّذي صدره عام 1963م، وفيه يناقش أربعة مفاهيم أساسية وهي مفهوم النظرة، مفهوم المكان أو الحيّز مفهوم اللغة وأخيرا مفهوم الموت،ويقصد فوكو بالأركيولوجيا الطبية هو البحث في الآثار والحفريات في بقايا أطلال الحضارات السابقة أو البحث فيما كان قائما في تلك المرحلة من خلال كيف تطور مفهوم المرض؟ كما سعى إلى البحث عن ما هو موجود مادي وليس ما هو نظري ولقد تساؤل فوكو كيف تطورت نظرة الغرب لمسألة الطب والمرض؟ وهل العيادة ظهرت قبل ظهور المرض؟وكيف تحولت النظرة إلى معرفة؟ وكيف تحول المحسوس إلى منطوق وخطاب؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات نجد فوكو قد قرأ الأرشيف الطبي للمرحلة الممتدة من سنة 1780-1820م، ويرى وجود قراءة كل شيء يتعلق بالموضوع و أن يكون تحت تصرف الباحث الأرشيف العام للحقيقة المدروسة، وذلك أن الأركيولوجيا ليست أكثر من العلم الّذي يدرس الأرشيف[1] و لقد توصل فوكو إلى أن المرض مرّ بأربع عقب تاريخية وهي:

أ – المرض في العصر الوسيط:

كان تصور الغرب لمفهوم المرض في العصر الوسيط عبارة عن عقاب إلاهي، فالإنسان المريض في نظرهم هو الّذي ارتكب المعاصي وأن ذلك المرض هو جزاء دنيوي، وكان ينظر إلى المريض في الواقع على أنّه نزعة شيطانية، ولكن هذه النظرة السلبية حول مفهوم المرض سوف تتغير إبتداءا من القرن الثامن عشر.

ب – المرض في العصر الكلاسيكي:

سيأخذ مفهوم المرض معنى آخر وذلك من خلال دراسة فوكو لمجموعة الممارسات الخطابية للطب الحديث، والّذي صنّفه إلى ثلاثة أصناف وهي: الطب التصنيفي، ثم الطيب العيادي أو العلاجي وأخيرا الطب التشريحي.

1 – الطب التصنيفي: La médecine classification

ينظر الطب التصنيفي إلى الأمراض في تصنيف هرمي يشمل على أنواع وأجناس قبل أن ينظر إليها في الجسد فقد كان يردد حكماء ذلك العصر" **لا تعالجوا أي مرض دون أن تتأكدوا من جنسه ونوعه"**[2]، ويقوم هذا النوع من الطب على أساس محاكاة الإنسان للطبية مثل أمراض الحساسية والحمى، وهذا ما أشار إليه سيد نهايم أنّ بداية الحمى وما يصاحبها من أعراض سيكون لديه من الأسباب ما يؤكد أنّ هذا المرض لديه جنس ونوع

---

* حاول فوكو من خلال تطبيق المنهج الأركيولوجي على الطب أن يفضح الممارسات اللاأخلاقية التي تمارسها السلطة والأطباء على المريض وأي حاول فوكو إظهار ما هو مسكوت عنه ومعرفة لماذا هو مسكوت عنه.

[1] Michel Foucault, Naissance **de la clinique, p** u f, 1963, P, 1,2 .

[2] نقلا عن جعفر عبد الوهاب، **البنيوية بين العلم و الفلسفة**، بدون طبعة، (دار المعارف ، الإسكندرية،1989)، ص 214.

فالمرض في هذا العصر مصدره الطبيعة فيجب على الطبيب أن يعرف بدايته ومرتبته وجنسه ونوعه ووضعه في لوحة ثابتة، فالطب التصنيفي يعتمد على معرفة الأسباب الّتي تؤدي إلى ظهور المرض وتصنيفه حسب الجنس والنوع، من خلال المنهج الأركيولوجي عمل فوكو على البحث عن الأشكال العامة الّتي تم توظيفها في دراسة مختلف أشكال المرض وكذلك لا بد من معرفة وضعية المرض من حيث سنه ووضعه المعيشي من أجل معرفة نوع وطبيعة المرض.[1]

توصل فوكو إلى أنّ النظرة الطبية تدور دورة حلزونية لا نهاية لها، فهي تتعرف على طبيعة المرض أولا لكي تعرف نوع هذا المرض، فالطب التصنيفي يفرض مجالا حرا خاليا من الضغوطات الاستشفائية و بالتالي يسمح للمرض بأن يظهر ماهيته الحقيقية وأن يصل إلى نهاية مساره الطبيعي للمرض، ويلاحظ فوكو أن التحليلات الاقتصادية في القرن الثامن عشر تلتقي مع أفكار الطب التصنيفي في الخطوط العريضة فهذه التحليلات الاقتصادية لم تكن تمجد بإنشاء دور الاستشفاء وترى أنّه من الخطأ من الناحية الاقتصادية أن يرتكز الرعاية الاجتماعية على رأس مال ثابت لكي تنشأ به مستشفيات وما يمكن أن نستخلصه أن المرض في الطب التصنيفي ينظر إليه على أساس أنّه مسألة فردية، شخصية، يأتي من الخارج وليس من الداخل، ولا علاقة للمؤسسات فيه.

2 – الطب العيادي أو العلاجي:La medicine Clinique

ظهرت مرحلة جديدة للمرض مع نهاية القرن الثامن عشر، ليخرج من إطاره الشّخصي ويصبح من خصوصية المؤسسة أو الدولة، بمعنى مسألة المرض مسألة عامة، إذ ينتقل المرض من مجاله الخاص إلى العام ولهذا يظهر نوع جديد من الطب وهو الطب العيادي أو العلاجي والّذي ظهر في أواخر القرن الثامن عشر، إذ تكفّلت الدولة بتعيين أطباء في مختلف الأقاليم، وستصبح العيادة المكان الّذي تتقاطع فيه النظرة بالمنطوق، ويتأسس الطب العيادي على مفهوم النظرة فهي نظرة مؤسسة ترتبط بقواعد المعرفة وهذا على مستويين: مستوي البناء اللغوي للعلامات، ومستوى إدراك الحالة، لهذا يشير فوكو في كتابه " **مولد العيادة":"ينبغي أن ننظر إلى المرض على أنّه كل غير منقسم من بدايته وينظر في أعراض تتابع في فترات"**[2].

إن ما يميّز الطب التصنيفي عن الطب العيادي أن الأول يقيم قوائم الأجناس والأنواع أما الثاني فإنّه يبحث في التطابق بين الرؤية والكلام والحقيقة الظاهر للمرض، لأنّ المرض في هذا النوع من الطب لا وجود له إلا إذا كان مرئيا "**Visible** " و بالتالي منطوقا، وهنا يشكّل كل من المرئي والمنطوق كينونة المرض، ويتميّز الطب العيادي بدراسته وإدراك الحالات المرضية داخل العيادة، وهذه الأخيرة عبارة عن مؤسسة علاجية أو تعليمية يتطابق فيها المرئي والمنطوق أو الرؤية و الكلام،فلا يمكن التحدث عن المرض إلا إذا كان مرئيا أو منطوقا في نفس الوقت، وما يمكن لنا أن نستخلص سبب تأخر الفن العلاجي في القرن الثامن عشر فيما يلي:

---

1 Michel Foucault ,**Naissance de la clinique** , p, 6 ,9 .

2 Michel Foucault, Naissance **de la clinique, p** , 94.

-كان البحث الطبي ينحصر في تكوين مجال متناسق لتصنيف الأمراض قبل أن يكون مقرا أي مكان تقابل بين الطب والمريض.
- كان الفن العلاجي يتخذ اتجاه أوحد فهو يهبط من الأعلى إلى الأسفل أي صورة جاهزة للمعرفة إلى حالات مرضية جزئية، ولهذا كانت المؤسسات العلاجية عاجزة عن إحداث أي تغيّر في المعرفة الطبية، وكما أنّها لم تخترع أي جديد في المقال أو في الممارسات الطبية رغم في السنوات الأخير من القرن الثامن عشر قد شهد بناء جديد للعيادة وفيها لا تعتمد فقط على المعرفة المنطوقة بل ينسجم اهتمامها على الخبرة الطبية[1].
ولقد أخذ الأطباء يحثون الدولة على تشريع قوانين وتقديم الدّعم المالي وتوفير المناخ الملائم للبحث الطبي، وكان هذا الانجاز بمثابة ظهور العيادة عند فوكو عام 1975م وكان الهدف من بنائها هو قيام تجارب على الفقراء وكان تبرير ذلك أن الأغنياء يدعمون علاجهم وعلى أساس أن العلم يهدف إلى نفع أحد دون غيره، لهذا يستوجب على الفقراء أن يتقبلوا أن تتحول آلامهم إلى معرفة لصالح المجتمع، ولكن هذه المعاملة سوف تتغير إذ تتحول النظرة إلى المرض و الممارسة الطبية، وهذا ما كتبه كاباني " Cabanis " عن تقرير للجنة العلمية سنة **1799م** ، بخصوص تشديد الرقابة على ممارسة مهنة الطبية يقول:**" إن كل فرد يمارس مهنة الطب دون المرور أمام لجنة من الممتحنين، ودون النجاح في الامتحانات الخاصة يعاقب بدفع غرامة مالية، والسجن إذ تكرر منه ذلك"[2].**

3- **الطب التشريحي: Médecine Anatomique**

يرتبط ظهور الطب التشريحي باكتشاف علم التشريح المرضي على يد **بيشا "Bichat"** (1771- 1802)، فقد أجمع الباحثون على أنّ كتابيه علم **التشريح العام"** و**" دراسة في الأنسجة"** كان بمثابة اكتشاف عظيم ومبدأ ساهم في معرفة طلاسيم الجسد وكما استطاع أن يضع حدا لانتشار المفاهيم الحيوية الّتي كانت تشكل الخلفية الفلسفية لمجمل الفكر الفلسفي منذ عصر النهضة، ومن ثم تصبح عملية تشريح الجثث ولو للحظات تحيل إلى رمز الحياة ومرحلة عصر النهضة مرحلة جديدة لإلقاء الضوء على متاهات المرض وأسراره وفي هذا الصدد يقول بيشا:" **افتحوا بعض الجثث فسوف تختفي في الحال الظلومات الّتي تستطيع أن تبددها الملاحظة"[3] .**

-النتائج الّتي توصل إليها المنهج الأركيولوجي من خلال النظرة الطبية:

1 – علم التشريح المرضي قد أعطى لمنطق التحليل قيمة جديدة عندما بيّن أن المرض ليس موضوع سلبيا ينبغي أن نطبق عليه التحليل بقدر ما هو موضوع ايجابي إذ مارس التحليل على الجسد، وإذا كانت الملاحظة العيادية في صورتها الأولى قد تضمنت وجود ذات تقوم بتحليل الرموز وتصنيف الأعراض فإنّ علم التشريح المرضي يفترض أن المرض يتّضح من تلقاء نفسه، وكما تنكشف أسراره أمام الرؤية كلّما توغل في أعماق الجسد، وتربط فيما بينهما بعلاقات متلازمة أو متناقضة يمكن أن يطبق عليها المنهج الإحصائي،فهو عبارة عن مجموع من الصور والأشكال والأحداث الّتي ترابط فيما بينها

[1] Michel Foucault, Naissance **de la clinique,** p 53,-62.

[2] ibid. ; P, 79.

[3] الزواوي بغورة، **مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو**، بدون طبعة، (المجلس الأعلى للثقافة، 2000) ص، 162.

مكوّنة سطحا جغرافيا يمكن للطبيب أن يتفحصه خطوة بخطوة، فالتغيير الّذي طرأ على المعرفة الطبية والّتي أدت إلى ظهور علم التشريح يرجع إلى اختصار المسافة بين الذات والموضوع[1].

2 – شهد مع نهاية القرن الثامن عشر، الطبيب يقترب من المريض ويستعمل أصابعه في فحصه لمعرفة مكان المرض، وكما يعتمد على أذنه في السماع شكوى المريض وسماع نبضات قلبه، هنا يحاول الطبيب أن يتوغل تحت السطح أي اللامرئي للمريض" **Invisible"** وهذا التغيّر راجع للاهتمام بالملاحظة والتجربة معا، والتخلي عن النظريات والأنساق السابقة لصالح اتجاه علمي جديد، وكذلك دخول النظرة الطبية إلى داخل الحسد وأيضا التقارب التدريجي الّذي حدث بين الطبيب والمريض والّتي بدأت منذ النظرة الّتي ألقاها الطبيب على جسد المريض.

3 – تساؤل علم التشريح المرضي عن فكرة الموت في الطب الإكلينيكي، وكان ينظر إليه على أنّه يمثل نهاية المرض والحياة في نفس الوقت.

4 – توصل علم التشريح إلى نتيجة أنّ الموت يساعدنا في فهم الحالة المرضية أي الباتولوجية بما لها من مراحل، وعلى سبيل المثال فقد كان البابل لا ينظر إلى الموت باعتباره ستارا يحجب عنه المرض بل كان يرهن فيه موقفا تجريبيا ينفتح تلقائيا على حقيقة المرضى ومراحله المختلفة، بفضل هذه النظرة تمكن بابل من معرفة حقيقة مرض السل الرؤوي.

5 – يقول فوكو:" **إنّ النظرة الطبية لم تعد نظرة عين منتهية بل هي نظرة رأت الموت لقد غادر الموت سماءه المأساوية القديمة، وأصبح الآن يمثل النواة الوجدانية للإنسان أي حقيقة اللامرئية"**[2]، بمعنى يعتمد علم التشريح على ثلاثة مفاهيم أساسية وهي الحياة المرض و الموت، فالموت هو المحلل الأول، فقد وجد في الموت نموذجا يصعب تجاوزه بعد أن عجزت الرياضيات والكيمياء واللغة ذاتها بالوصول إلى هذا النموذج، وكما نجد مقولة الحياة هي الحاجز الّذي يمنع من الكشف عن الحقيقة بينما تفتح مقولة الموت أفق خفية للجسد من خلال جثة جامدة.

6 – البنية الإدراكية و الابستمولوجية الّتي توّجه التشريح العيادي و الممارسة الطبية هي رؤية لامرئية، فالمعرفة تنمو حسب نظام من الأقنعة يسمح للعنصر الحفر أن يظهره فالطب التشريحي المرضي باعتباره بنية ثلاثية تتضمن الحياة، المرض، الموت يشكّل الشرط التاريخي لانبثاق الطب الحديث الّذي يتصف بالصبغة الوضعية، وهكذا تجرد المرض من المفاهيم السابقة الّتي ارتبط منذ القدم، ولقد استمد مضمونه من منظور الموت، وبذلك أصبح قابلا للقراءة والصياغة اللّغوية ومفتوحا أمام الرؤية.

7 - إنّ كتاب فوكو " **مولد العيادة"** هو كتاب أقرب من التحليل البنيوي، إذ يدشّن إشكالية نمط الاندماج الاجتماعي للخطابات، فالطب العيادي لا يرتبط فقط من حيث نشأته بغيره من الميادين المعرفية كسيكولوجيا والتشريح المرضي، وإنّما يربط كذلك بمجموعة من المؤسسات مثل: المستشفيات والمؤسسات ،العون الاجتماعي، وإجراءات الرقابة

[1] Michel Foucault, Naissance **de la clinique,** p127.
[2] Michel Foucault, Naissance **de la clinique,** p131 ,176.

الإدارية، فتشكل النوع من المعرفة الجديدة لها حقول ونظريات جديدة، وفي هذا الكتاب ركز فوكو على تحليل علاقات الخطابات الطبي بالممارسات الاجتماعية وعلاقتها بالسلطة ويركز أيضا على تحليل الخطاب الطبي وأنماط انتظامه[1]، وقد أصبح علم التشريح هو المبدأ الأول في تصنيف الأمراض فصار الجنون هو وقدان النطق و يعدّ من الأمراض الرأس، فعلم التشريح المرضي هو الّذي أرسى المبادئ الأولى لوضعية المعرفية الطبية ولقد تأخر ظهور هذا العلم بسبب الدّين والأخلاق، وكذلك الأعراف كعائق أمام فتح الجثث.

3– أركيولوجيا لمنظومة العقابية:

تطرق ميشال فوكو لدراسة وتفحص المجتمع العقابي في كتابه:" **المراقبة والمعاقبة"** والّذي صدر عام 1975م، ولقد شكل مع رئيس مجلة " **اسبري"** مجموعة من الاستعلامات عن السجون عام 1971م، ولقد سعت هذه المجموعة إلى نزع الغطاء عن هذه المؤسسة المظلمة والمرعبة والّتي تتمثل في السجن، وكذلك تهدف إلى الكشف عما هو غير محتمل في قانون العقوبات أو الجزاء المطبق على المساجين وذلك عن طريق نشر تصريحات هؤولاء السجناء أنفسهم، كما سعت هذه المجموعة إلى توحيد النضال داخل السجن وخارجه.

قام فوكو من خلال حفرياته بعرض جوانب عديدة من الحقب التاريخية الّتي قدمت العقاب من خلال ممارسته لمختلف أشكال التعذيب كدليل لإرساء قواعد العدالة وعمل أيضا على صياغة رأى خاصة حول أنماط التعذيب، مبينا في ذلك آليات الّتي تقوم بها المؤسسات العقابية، فالسجن يأتي بعد المجنون في تجربة فوكو الفلسفية وهذا ما أشار إليه فوكو في قوله:**" السجين والمجنون شخص ينبذه المجتمع، ويغلق عليه الباب لأنّه تجرأ على اختراق قيم المجتمع"** [2]، طرح فوكو في كتابه" **الرقابة والمعاقبة"** عدة تساؤلات ومنها: ما هي أنماط العقاب الّتي كانت تسيطر على تاريخ الجزاء الغربي؟ و ما هي طبيعة الممارسة المهينة على المنظومة العقابية في تاريخ الحضارة الغربية؟ وما هي البنية الخفية للسجن في الغرب؟.

سعى فوكو إلى تأصيل أركيولوجيا المنظومة العقابية وموقع السجن داخل هذه المنظومة بوصفه مكان للحجز والعزل، وهذه المنظومة كان أساسها العقاب والقمع، وكما عمل على إبراز طبيعة الممارسة المهيمنة على المنظومة العقابية في تاريخ الجزاء الغربي، وكذلك إبراز البنية الخفية للسجون، وفي كتابه يحدد المراحل الكبرى لأشكال العقاب والّتي تتمثل في:

1– **التعذيب: Supplice**

يقول فوكو:**" التعذيب هو عقاب جسدي مؤلم يتفاقم إلى حد الفظاعة نوعا ما، وإنّه يعتبر مسألة تقنية، بحث يجب أولا أن يحدث كمية هائلة من الوجع الّذي لا يمكن قياسه بالدقة ولكن يمكن تقديرها ومقارنتها وترتيبها، فالموت التعذيبي هو فن إمساك الحياة**

[1] السيد ولد أباه ، **التاريخ والحقيقة لدي ميشال فوكو**، بدون طبعة،(دار المنتخب العربي، بيروت ، 1994)، ص 165.

[2] هاشم صالح، **فوكو فيلسوف القاعة الثامنة**، مجلة الكرمل ، العدد، 12، 1984، ص 37.

داخل الوجع والألم، وذلك بتقسيمه إلى ألف موته، مع حصول قبل أن تتوقف الحياة على أشد حالات الفزع"[1]، عمل فوكو على إظهار جوهر العقوبة ويتمثل في التعذيب بمختلف أشكاله، وقد حدد فوكو من خلال قوله أنواع التعذيب الّتي كانت تمس الجسد والنفس معا فالتعذيب حسبه هي مسألة تقنية، أن يتحصل الجسد على كمية هائلة من الوجع والألم قبل قطع خيط الحياة، لقد قدّم لنا فوكو صورة واضحة وواقعية عن طريقة الّتي طبقت آليات التعذيب وهي وثيقة 1676م الّتي أصدرها القضاء الغربي، وتشمل أنواع التعذيب الّتي يراها العصر متكافئة مع حجم الجريمة، فهناك عقاب شديد، وعقاب خفيف، ومن أشكال العقاب نجد الحكم بالموت، الأعمال الشاقة، النّفي، والإعدام شنقا والبعض يعذّبونهم بقطع اللسان أو اليد وهذا ما بيّنه فوكو في قوله:" **لقد حدّد القرار الملكي الصادر عام 1676م الّذي استمرت صلاحيته إلى غاية قيام الثورة الفرنسية الأشكال العامة للممارسة العقابية، فقد تنوّعت أشكال العقاب من الحكم بالموت والأعمال الشاقة، والجلد، ودفع غرامة مالية أو الإعدام شنقا أو قطع قبضة اليد، أو ثقب اللسان، وهناك من يعدم جذبا بالأحصنة أو قطع رؤوسهم، وهذا العقاب ينفذ في حق من يمس الأسرة المالكة أو ارتكابه جرائم أكثر بشاعة"**[2]، وركّزت هذه الوثيقة على التعذيب الحسي المباشر من خلال التعذيب الّذي يمس الجسد وينحصر فيه ممارسته مع محاولة إثارة الألم بطريقة سريعة ولمدة طويلة، وكما أنّها اعتمدت على التعذيب الجزئي الّذي يستهدف الجزء للوصول إلى الكل، فهذا النوع من التعذيب يلحق الألم بالجسد كله كقطع اليد أو اللسان وهي طريقة الانتقال في التعذيب من الجزء للوصول إلى لكل، وفي بعض الأحيان يستهدف الجسد كوحدة عضوية من أجل إلحاق الأوجاع بكل عضو منه وهذا ما يتجلى في طريقة الإعدام جذبا بالأحصنة الّتي تشمل أعضاء الجسد وفيما يخص التعذيب الخفيف الّذي نصت عليه الوثيقة يتمثل في التوبيخ أو دفع غرامة مالية وهذا ما أشار إله فوكو معتمدا في ذلك على شهادة أحد المؤرخين **سوراج**" J-Soulages" الّذي يؤكد بأنّ الوثيقة الّتي قام رجال القانون بتشريعها عام1676م تضمنت كذلك أشكال عديدة من العقاب الخفيف كالتحذير لغرض التخويف وكذلك الحبس لفترة، ودفع غرامة مالية نقدية[3]، ولهذا نجد سيطرت على النظام الجزائي للعصر الكلاسيكي أربعة صيغ من العقاب وهي:

الصيغة الأولى: تتمثل في النفي، والطرد خارج الحدود وكذلك المنع من الدخول لبعض الأماكن، تحطيم المنزل العائلي، الشطب تاريخ الميلاد، حجز الأموال و الممتلكات، وهذا النوع من العقاب يمسّ الجسد والنفس معا.

الصيغة الثانية : إجراء تعويض ما، تحويل الضرر الناجم إلى دين يجب تسديده، وكذلك تحويل الجريمة إلى دين مالي وفرض فدية وهذا النوع من العقاب يمس الجانب الاقتصادي فهو شديد لأنّ الفرد في بعض الأحيان لا يستطيع أن يدفع الغرامة.

الصيغة الثالثة: وضع علامة على الوجه أو الكتف أو التعذيب بالجرح، فغاية السلطة من ترك الأثر على الجاني هو معرفة نوع الجريمة الّتي ارتكبها.

---

[1] ميشال فوكو، **المراقبة والمعاقبة**، تر مطاع الصفدي، بدون طبعة،(مركز الإنماء القومي ، بيروت، 1990)، ص 70.

[2] ميشال فوكو، المراقبة والمعاقبة، ص، 70 ، 71.

[3] المصدر السابق، ص 68.

الصيغة الرابعة: تتمثل في العزل والحجز وخاصة العزل الانفرادي وهي أقصى العقوبات في العصر الكلاسيكي وهدفه إظهار أنواع وطبيعة المنظومة العقابية ويكون السجن بداية هذه العقوبة.[1]

_ نموذج التعذيب إعداما جذبا بالأحصنة:

يظهر لنا فوكو طريقة التعذيب بالجذب بالأحصنة يقول:" **ثم تعذيب فرانسو دميان*على منصة الإعدام في ساحة غراف "Greve "، تم تعذيبه في كل أعضاء جسمه إذ تم وخزه في ذراعيه وركبتيه وفخذيه (....) وبعد تعذيبه قاموا بتذويب الرصاص الممزوج بالكبريت والشمع ثم أحرقت يده اليمنى الّتي ارتكبت الجريمة، ثم حرق الأماكن التّي تم قرصها وكما قاموا بربطه إلى أربعة أحصنة وذلك من أجل تمزيقه وبعد ذلك جمعت أعضاءه وحرقوها".**[2] واستخلص فوكو من طريقة إعدام دميان بالجذب بالأحصنة ما يلي:

- استخدام الحيوان لغرض العقاب وإلزام الناس بمشاهدة هذا المشهد، وهذا من أجل إثارة الخوف في نفوسهم، وكان الهدف من هذه المشاهدة المباشرة لطرق التعذيب دميان هو تبيان الركائز الأساسية الّتي تعتمد عليها الخطة التأديبية للعصر الكلاسيكي، وهذا من أجل التفكير بسلطة الحاكم وصرامة القوانين وهذا ما أوضحه فوكو في قوله:" **يظهر الشعب كشخصية رئيسية في الاحتفالات التعذيب ويستدعي لمشاهدة الاستعراضات والإقرار بالذنب فينصب عمود التشهيد والمشانق والمنصات في ساحة العامة أو عند مفترقات الطرق، وقد يحدث أن تعرض لعدة أيام جثث المذنبين بالقرب من أماكن جرائمهم"**[3]، وكما أوضح لنا فوكو طريقة تعذيب كل من يمس الأسرة الحاكمة وأعطى مثالا عن قاتل غليوم دوراج (L Dorage)، مواطن فرنسي، الّذي تم تعذيبه بأبشع الطرق بحيث في يومه الأول من التعذيب تم إحضاره إلى الساحة وتم غطس يده اليمنى الّتي ارتكبت الجريمة في ماء ساخن، وفي اليوم التالي قطعت يده فسقطت عند قدميه فدفعها برجله من أعلى المنصة إلى أسفلها، وفي اليوم الثالث تم ثقبه بالمنقط في ذراعه وفخذيه لمدة عشرة أيام وفي اليوم الأخير يطلب من منفذي العملية أن يقضي عليه، وأن يخنقه وذلك من أجل تجنب الآلام وهذه أبشع الطرق الّتي طبقتها المؤسسات المظلمة على السجون.

وما استنتجه فوكو من طريقة التعذيب:

_ جعل المجرم يعلن إدانته بنفسه: فهو يكلّف بنوع من أنواع الإعلان عنها وبالتالي إبراز حقيقة ما أخذ عليه والّتي تتمثل في التجوّل عبر الشوارع وتلصق عليه لافتة إما أن تكون على ظهره أو على صدره أو فوق رأسه والتوقف عند مفترقات الطرق وقراءة حكم الإدانة والإقرار العلني بالجرم على أبواب الكنائس وهذا من أجل التفكير بالحكم واعتراف بالمجرم علنا بجريمته، ويكون حافي القدمين عاريا إلا من قميص يستره حاملا مشعلا راكعا يصرخ ويعلن بأنّه ارتكب أبشع الجرائم ، وأنه قام بخيانة القوانين.

---

[1] ميشال فوكو، **دروس 1972- 1973**، تر محمد ميلاد،ط1، (دار توبقال، المغرب، 1994)، ص 17.

* **فرانسو دميان**: مواطن فرنسي، ولد عام 1715،أعدم في عام1757م، بتهمة قتل أبيه.

[2] Michel Foucault, **Surveille et punir**, édition Gallimard, paris,1975,p9,10 .

[3] ميشال فوكو، **المراقبة والمعاقبة** ، ص 86.

_ **متابعة المشهد الاعتراف**: وهذا من أجل الاعتراف بالذنب والإقرار العفوي والعلني والهدف من هذا إظهار الحقيقة عن طريق استجواب الجاني تحت أعين الجمهور.وهذا ما نلمسه في طريقة إعدام **فرانسو بيلبار** الّذي كان أمينا عاما للصندوق البريد وأعدم عام 1772م، وكانت تهمته قتل زوجته إذ أراد الجلادون أن يغطوا وجهه لكي يتجنب الشتائم فقال:" لم يفرض على هذا العقاب الّذي أستحقه تماما لكي لا يشاهدني الجمهور، وكان يحمل لافتة فوق صدره الّتي تبيّن جرمه[1].

_ **تعليق التعذيب وربطه بالجريمة ذاتها:** تنفيذ حكم الإعدام في المكان الّذي وقعت فيه الجريمة بالّذات، وهذا ما نص عليه الأمر الملكي الصادر سنة 1347م:" يتّم تعذيبهم عن طريق ربطهم عند عمود الاعتراف منذ الساعة الأولى حتى الوفاة، وتقذف في وجههم الوحل والقاذورات ويتم قطع الشفتين وكذلك حرق المدنّسين وتقطيع قبضة القاتل ويتم ربط المجرم بأداة الجريمة، وطبق هذا على خادمة قامت بقتل سيّدتها فحكم عليها أن تحضر إلى مكان تعذيبها داخل عربة تستعمل لنقل النّفايات وكان هناك مشنقة عند أسفلها، فحكم عليها بأخذها إلى المكان الّذي قتلت فيه الضحية فقام منفذ الحكم بقطع قبضة يدها اليمنى ورميها أمامها تم وضعها في النار، ثم ضربها بأربع ضربات على رأسها بالساطور والّذي استعملته الخادمة لقتل سيّدتها إلى أن ماتت.

وفي سنة 1584م تم إعدام قاتل **غليوم دورانج** الّذي تم تعذيبه بأبشع الطرق في اليوم الأول من التعذيب ثم إحضاره إلى ساحة وثم غطس يده اليمنى الّتي ارتكبت الجريمة في الماء الساخن، وفي اليوم التالي قطعت يده فسقطت عند قدميه فدفعها برجاه من أعلى المنصة إلى أسفلها، وفي اليوم الثالث تم ثقبه بالمنقط في ذراعيه وحملتيه وفخذيه وثم تعذيبه طيلة عشرة أيام وفي اليوم الأخير وضع على الدّولاب لعصره وبعد ساعات كان يطلب الماء دون أن يعطوه وطلب من منفذي العملية أن يقضي عليه وأن يخنقه وذلك من أجل تجنب الآلام.

وكذلك بطء التعذيب وأحداثه الطارئة وكذلك الصراخ والأوجاع الصادرة عن المحكوم تلعب في نهاية المراسيم القضائية دور تجربة كبيرة وتطال عملية التعذيب من أجل نزع الاعتراف من المجرم والوصول إلى حقيقة الجريمة[2].

2- العقاب: La Punition

إن التحول من التعذيب إلى العقاب حدث بسبب النزعة الإنسانية الّتي حملتها فلسفة الأنوار والّتي تجسدت في كتابات **جون لوك و فولتر** وغيرهم، وكذلك الجمعيات الإنسانية الّتي تنادي بحقوق الإنسان وحفظ كرامتهم وكانت تهدف إلى إرساء قواعد العدالة والتسامح بين أفراد المجتمع، وخلال النصف من القرن الثامن عشر بدأت الاحتجاجات ضدّ التعذيب والّتي جسدها كل من الفلاسفة والمنظرين الحقوقيين وما ينص عليه التشريع الجنائي الّذي صدر عام 1791م والّذي يتضمن :

- لابدّ من وجود علاقات دقيقة بين طبيعة الجرم وطبيعة العقوبة[3].

---

[1] ميشال فوكو، **المراقبة والمعاقبة**، ص 89، 90.

[2] ميشال فوكو ، **المراقبة والمعاقبة**، ص 88.

[3] المصدر السابق، ص 131.

- تطبيق عقوبة الموت على الخونة والقتلى، وأما بقية العقوبات فيجب أن تكون لها حد الأقصى هو عشرون سنة.[1]

ويبقى التعذيب عملية منظمة تقارن فيه الإصابة الجسدية بكمية الألم بحسب الجريمة ويعتبر الاعتراف الأساس في عملية التعذيب وهو الوسيلة لإنتاج الحقيقة.

يلخص فوكو العقاب في قوله:" **وإذا كانت العقوبة بأشكالها تشددا لا تستهدف الجسد فعلى ماذا تأسست دعائمها، وبما أن الجسد ليس المستهدف إذن لا بد أنّها الروح هي الغاية والعقوبة لا تستهدف المجرمون فقط بل الآخرون، فإنّ العقوبة تقوم على إعطاء العبر للآخرين وفي عدم المساس بالحدود الّتي يضعها القانون وبذلك أصبح القانون خطابا للعقوبة"**[2]، لقد شهدت فرنسا بعد الثورة الفرنسية قطيعة معرفية على مستويات عديدة فقبل الثورة كان النظام يعذب المجرمين طبقا لقانون صارم يحدد لكل جريمة أسلوب التعذيب، فقد كانت العقوبة في العصر الكلاسيكي تتم على شكل احتفال شعبي في الساحة العامة وبحضور جمهور غفير من المتفرجين لكي يتمتعوا بمنظر المذنب الّذي تمارس عليه مختلف آليات التعذيب، وفي أواخر القرن الثامن عشر ومع مطلع القرن التاسع عشر اختفى العرض العقابي وبذلك أخذ الاحتفال يدخل في ظل أو في الخفاء لكي يتحول إلى مجرد عمل إجرامي جديد، وألغي بذلك الاعتراف العلني بالذّنب في فرنسا لأوّل مرة سنة 1791م وأيضا ألغي عمود التشهير سنة 1789م، والهدف من إلغاء الاحتفال العلني هو إقصاء الجمهور من المعرفة ومشاهدة طبيعة التعذيب وحدود عمل السلطة و المناهج الّتي تعتمد عليها أثناء العقاب، وبهذا تكون السلطة قد سلبت من الرعية حق الإطلاع على كيفية التعذيب من أجل تحقيق نوع من السرية.[3] لقد فكر المشرعون للقانون خلال القرن الثامن عشر في إيجاد وسيلة لتطبيق الحكم بالقتل دون اللجوء إلى التعذيب الجسدي عبر مراحل وهذا ما تجسد مع حضور المشنقة الّتي كانت قديما مقترنة بحبل يلّف حول الرقبة، ولقد طبقت هذه العملية في انجلترا عام 1760م في حق **لورد فرو** وكان ذلك بآلة شنق والهدف منه تجنب الاحتضار والبطء في الموت وخلال القرن التاسع عشر تم إيجاد وسيلة أخرى لتطبيق الحكم بالقتل دون الإطالة في ممارسة الموت على الجاني، فقد أدرك ذلك العصر بأنّه بحاجة إلى آلة تقوم بذلك من أجل أن يرتبط فعل الموت بالسرعة، وأن ينفذ الإعدام في لحظة واحدة مقارنة بطريقة قطع الرأس وهذا من أجل تجنب الآلام، ولقد بدأت المقصلة تؤدي مهامها في فرنسا سنة 1791م، وبهذا لا جريمة ولا عقوبة دون قانون.

ظهور العلم الجنائي والإجرامي فيما بعد ومعه تقنيات جديدة للعقاب وكذلك آليات لتقويم المجرم وإصلاحه، ووضعت السلطة مجموعة من القواعد الّتي تتناسب مع الجريمة المرتكبة وتتمثل في التقنيات التالية:

_ الابتعاد عن التعسف واقتراح سلسلة جديدة من العقوبات وضرورة البحث عن العلاقة بين طبيعة الجريمة والعقوبة.

---

[1] ميشال فوكو، **المراقبة والمعاقبة**، ص 133.

[2] المصدر السابق، ص 52، 53.

[3] هاشم صالح،**فوكو فيلسوف القاعة الثامنة**، مجلة الكرمل، العدد12، 1984 ص 45، 46.

_ ضرورة وضع جدول زمني للجرائم وهذا ما يمثل في قانون 1771م الّذي ينص على موت الخونة والقتلى، وأما بقية العقوبات فيجب أن تكون لها حد أقصى المتمثل في عشرون سنة سجنا.

_ لا يستهدف العقوبة المجرم فقط بل الآخرين،لكونها تقوم بإعطاء العبر للآخرين في عدم المساس بالحدود الّتي يضعها القانون، وبذلك يصبح القانون خطاب للعقوبة[1].

3- الإنظباط: La Discipline

إن موضوع الأساسي الإنظباط هو **الجسد،** مثل جسد الجندي، جسد العامل، جسد المجرم وغيرها، ولقد جعل هذا الجسد يتكيف مع جميع الظروف ويجب أن يكون الجسد عبارة عن آلة في يد السلطة تفعل به ما تشاء بل يمكن أن نقول أنّه دمية سياسية تلغيه متى شاءت وتبقي عليه متى أرادت، وبهذا يصبح الإنسان عبارة عن آلة قابلة للخضوع والتشغيل فلقد ابتكرت السلطة أساليب غريبة في التعذيب فوظّفت المكان من أجل تنفيذ العقوبة معتمدا في ذلك على أهم قواعد الانضباط الّتي تتحكم في الجسد منها فن التقسيم وفن التربيع وكذلك فن الرقابة على النشاط، فيتمثل فن التقسيم: في تقسيم الأفراد في الأماكن المعينة مثل وضع المجرم في السجن، الجندي في الثكنة، ونجد هذا النموذج سائدا في أوربا وهو الأديرة[2].

فن التربيع: كل فرد لديه مكان وموقع خاص به مثل السجن نجد المساجين موزعين في أماكن محددة، أما الرقابة على النشاط: فيتمثل في التقنية، بحيث تتخذ أشكالا مختلفة وأنّه عبارة عن جدول زمني يتمثل في تنظيم وقت العمل والراحة والأكل لدى السجين، العامل الحارس، الجندي، ويحتوي هذا النظام الّذي سطره ليون فونشي لسجن الأحداث في باريس على مجموعة من المواد الّتي تنص في غالبها على ضرورة الانضباط والتنظيم داخل السجون وهذا بفرض الرّقابة المشددة، ومن بين هذه المواد نجد، **المادة 17:** يبدأ السجناء في الساعة السادسة صباحا في فصل الشتاء وفي الساعة الخامسة صيفا، يدوم العمل لمدة سبعة ساعات في اليوم في كل فصل، وتخصيص ساعتين للتعليم وينتهي العمل على الساعة التاسعة في الشتاء والثامنة صيفا.

المادة 18: النهوض باكرا عندما يرّن الجرس، فيتولى الحارس فتح أبواب الزنزانات والجرس الثاني عليهم النهوض وتسوية أسرتهم، أما الجرس الثالث يصفون للذهاب للصلاة ولا تتجاوز خمس دقائق.

المادة19: القيام بالصلاة، وقراءة الكاهن لنص أخلاقي أو ديني، وهذه الممارسة لا يجب أن تتجاوز نصف ساعة[3].

4- السجن: La Prison

يمثل السجن الشكل العام لنظام الجزائي في القرن التاسع عشر، وهذا ما أشار إليه فوكو في قوله:**" إن السجن قد طبق كعقوبة شاملة بعد الثورة الفرنسية، وقد يكون ذلك راجع إلى رغبة تلك الثورة في إحداث قطائع مع أنماط التعذيب والعقاب في العصر**

---

[1] الزواوي بغورة، **مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو**، ص 226.

[2] ميشال فوكو،**المراقبة والمعاقبة** ، ص161، 171.

[3] المصدر السابق، ص 12، 13.

الكلاسيكي".[1] بمعنى تم توظيف المكان في الخطة التأديبية وهو السجن فأصبح الحيّز الّذي مارست فيه آليات الرقابة والعقاب على السجناء، ولقد اعتمدت المنظومة العقابية على: فن التطويع: إذ يركز على إخضاع الجسد لظروف لم يكن معتادا عليها ويكون مراقبا في كل حركاته، ليصبح كائنا ملتزما بالوقت[2]، وكذلك استخدام جدول التوقيت كآلة لتشديد الرقابة وتجسيد العقاب، وفرض الإنظباط والاحترام داخل السجن.

- فن التوزيع: تقوم الخطة التأديبية على توزيع الأفراد في مكان محدد وتندرج هذه العملية ضمن تقنيات وأساليب عديدة لأن التأديب يتطلب آليات جديدة مثل وجود حصون مسيّجة ومغلقة بأبواب من الحديد، لقد أشار فوكو إلى أنّ فكرة السجن جعلت القاضي يحل محل الجلاد، ولكن القاضي له حضور متميّز وذلك من خلال إصدار الحكم على الجاني.

لقد طبقت عقوبة السجن في القرن التاسع عشر في أقصى نطاقها وهذا ما أكّده **روسي Rossi** بأنّ السجن هو أعلى درجات العقوبة في المجتمعات المتحضرة[3].

- تعقيب على المنظومة العقابية:

- توصل ميشال فوكو من خلال منهجه الأركيولوجي إلى فشل المؤسسة العقابية في إصلاح الأفراد، وكذلك انضباطهم بدليل توظيف المنحرفين في ميدان الرقابة[4] بمعنى توظيف السلطة المنحرفين في ميدان الرقابة أمثال" **فيدوك Vidocq** " (مغامر فرنسي ولد عام 1775م) كان سجينا في الأعمال الشاقة ثم أصبح أمينا في جهاز الأمن ويوضح فوكو في قوله:" **كل سارق يمكنه أن يصبح فيدوك"**[5]**.**

- فشل المصلحين في جعل السجن مؤسسة للتقويم والإصلاح، فكلهم قاموا بتقويم هذه المؤسسة الّتي تعتني بالمساجين وتعمل على استئصال في المؤسسات العقابية.

- الخطة التأديبية تتحرك ضمن أسلوبين، الرقابة من جهة والعقاب من جهة أخرى وجعلت الجسد محورا أساسيا في ممارسة أشكال التعذيب والعقاب عليه.

- وأنّ عملية التعذيب قد طغت على المنظومة الجزائية في تاريخ الحضارة الغربية، وأنّ فكرة التسامح كانت مجرد أمنية لم يتمكن المروّجين لها من تجسيدها على أرض الواقع.

استنتج كذلك فوكو بعد فحصه للنظريات الجنائية على أنّهلا أحد من المصلحين الكبار قد استطاع أن يجعل السجن مؤسسة للتقويم والإصلاح، فكلهم قاموا بتقديم هذه المؤسسة على أساس أنّها عقاب شمولي، فلم يعد السجن حسب فوكو تلك المؤسسة الّتي تعتني بالمساجين وتعمل على استئصال ميولهم ورغباتهم نحو الجريمة، وبشكل آخر فهي تعمل على إنتاج المنحرفين وتوظيفهم في المؤسسات العقابية[6].

إنّ عقوبة السجن لم تتمكن من القضاء على التعذيب الجسدي بل كان الفضاء الواسع الّذي تمارس فيه عقوبات مختلفة، فتجعل من الجسد المحور الأساسي للتعذيب وهذا ما أكّده **ريموزا** (1875-1797) سياسي فرنسي،حينما علّق على السجون في بروكسل

---

[1] ميشال فوكو،**دروس 1972-1973**، ص 18.
[2] ميشال فوكو ، **المراقبة والمعاقبة** ، ص 269، 272.
[3] ميشال فوكو، **دروس 1972-1973**، ص18.
[4] المصدر السابق، ص 19.
[5] المصدر السابق، ص 269-272.
[6] ميشال فوكو، **المراقبة والمعاقبة**،ص 279 ،289.

ووضح لا تزال العجلات والمشانق وأعمدة التشهير تغطي السجون كل أنحائه، ويبيّن فوكو بأنّ هذه الملاحظة سجلت خاصة في انجلترا عام 1834م وفي فرنسا عام 1832م،وهذا باختراع آلات الإعدام الّتي استعملت خلال الثورة الفرنسية بحد ذاتها، فقد استعملت المقصلة لأوّل مرة في تنفيذ حكم الإعدام على الملك لويس السادس عشر[1].

3.2 المبحث الثالث: نتائج حفريات المنهج الأركيولوجي عند ميشال فوكو

3.2.1 سلبيات الحفر في المنهج الأركيولوجي

إن أبحاث ودراسات ميشال فوكو تشكل الحدث الفكري الأكثر تجليا وأهمية في هذا القرن واعتبرته الصحافة الفرنسية من أكبر المفكرين في ذلك هذا العصر، وبهذا احتل مكان الصدارة في الفكر الفلسفي المعاصر بعد سارتر وخاصة داخل ذلك التيار الّذي يعرف بتيار فلسفة " **موت الإنسان"**[2]، فهذا الاتجاه الفلسفي ستلهم أفكار وأطروحاته من أقطاب "نقد الميتافيزيقا الغربية" كنيتشه وهيدجر ومن البنيوية بمختلف ميادينها، كذلك نجد فوكو متكامل الحلقات، وذلك من خلال تطرقه إلى المعرفة والسياسة والأخلاق وكما اهتم بنقد مسار الحداثة الغربية، وكذلك بدراسة تجليات العقل في المستوى المعرفي، وحاول أيضا بتحليل الّذات الغربية من خلال الحقب الزمنية، وإظهار التفسيرات الأركيولوجية الّتي تبيّن نشأة العلوم الإنسانية، وبهذا يمكن لنا أن نقيّم حفريات فوكو من خلال استعماله للمنهج الأركيولوجي من خلال سلبياته وايجابياته، فتتمثل السلبيات في ما يلي:

1- بالغ فوكو في كتابه**" تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي"** في جعل ديكارت هو المسؤول الوحيد عن تهميش المجنون وإقصائه من الحياة الاجتماعية، بدليل غياب العقل وكما نفى الجنون من الذات المفكرة وهذا النقد وجهه جاك دريدا لفوكو في كتابه " **الكتابة والاختلاف"** يقول:**"ما من تاريخ ممكن إلا تاريخ العقل، وأن الفيلسوف، أدوات صاحب خطاب العقل ليرجعها ضدّه [ ].والإشارة هنا إلى اضطرار فوكو الّذي لاحظه جميع من كتبوا عنه ضمن الإعجاب مثل ميشيل سير فرانسو قال،يشير هؤولاء الفلاسفة إلى أن فوكو يقارب الجنون بأدوات و مفاهيم العقل، و يحاول فوكو بلغة شعرية عالية، أن يترجم همهمة الجنون وصمته،وهذا ما أدى إلى تمزق الكتاب أي تاريخ الجنون بين هذين المستويين للكلام، يشير ديريدا إلى مشروع فوكو أكبر مشروع وفشله في أن معا"**[3] .

2- يظهر النقد الثاني في مجال الحفر الطبي، بحيث نجد الطب التشريحي لم يتخلص من المنهج الوصفي إلا مع مجيء بيشا الّذي برع في استخدام الوسائل الطبية وقيامه بتشريح الجثث، ولقد تناسى جهود الحضارة الشرقية وخاصة المصريين الّذين برعوا في عمليات تحنيط لأموات، وكذلك براعة الطب الصينيين في العلاج إضافة إلى جانبه الطب العربي الإسلام.

---

[1] المصدر السابق، ص 19.

[2] عبد الرزاق الدّواي، **موت الإنسان، في الخطاب الفلسفي المعاصر**،بدون طبعة،(دار الطليعة للطباعة،بيروت 2000)، ص 129.

[3] جاك دريدا، **الكتابة والاختلاف** ، تر كاظم جهاد، ط2، (دار توقبال للنشر، المغرب، 2000)، ص 29.

3- فشل فوكو في تقديمه قراءة صحيحة لبعض الوثائق التاريخية بحيث أشار في كتابه **"المراقبة والمعاقبة"** إلى سبب إعدام فرانسو دميان و المتمثل في قتل أبيه، لكن حقيقة الجريمة تكمن في محاولته الاعتداء على الملك لويس الخامس عشر بالسكين، ولأن ليس من المنطق أن يحضر لويس الخامس عشر وعائلته مراسيم الإعدام، فعقوبة الجذب الأحصنة كانت تمارس على من يمس الأسرة المالكة، فغاية فرانسو دميان هي قتل الملك وليس أبيه.

4- ذكر فوكو في كتابه **" المراقبة والمعاقبة"** اختفاء أساليب التعذيب في فرنسا بعد الثورة الفرنسية، وأين أعلنت عن حقوق الإنسان و حفظ كرامته، لكن الحقيقة المرة والخفية تكمن في استعمال فرنسا لهذه الأساليب في مستعمراتها مثل التعذيب الّذي مارسته في الجزائر ومختلف مستعمراتها[1].

5- المتأمل في فكر فوكو يجد أنّه دائما يتحدث عن الغرب وليس عن الإنسانية جمعاء فمثلا تحدّث عن عقل غربي، و أركيولوجيا غربية، وأنثربولوجيا غربية، فلقد استحوذ على مقولاته ضمير نحن في جميع معانيه وصيّغ الإقصاء، فتاريخ الأفكار الّذي اهتم بها فوكو هو تاريخ متموقع في زمان ومكان محدد، أعني أفكار الغرب و بالتحديد أوربا، فليس هناك في كتابات فوكو ولو إشارة واحدة صريحة تدّل على أنّ تحاليله تمتد خارج أوربا.

3.2.2 ايجابيات الحفر الأركيولوجي

وعلى الرغم من هذه السلبيات، إلا أنّ فكر فوكو لا يخلو من ايجابيات والّتي تتمثل في كيف بلور فوكو مصطلحات جديدة، إذ بحث في خفايا الأرشيف واستنطاقه، وعمل على تغيير الواقع عمليا، والكشف عن البنى الخفية للغرب من الناحية الواقعية والاجتماعية وإعطاء الكلام للفئات المهمشة في المجتمع، وما أراد فعله هو التعرية الأركيولوجية للأسس الحضارة الغربية، والكشف عن وجهها السالب والّذي لا يتجزأ من وجهها الموجب وكذلك تكمن القيمة الإيجابية لفوكو في ما قاله **بياربوديو** (1930-2002):" **إنّ تجربة فوكو في الواقع هي تجربة خرق أو اختلاق "Transgression" بكل ما في الكلمة من معنى، فإذا كانت كلمة خرق تعني الخروج عن القانون، فإن فوكو قد خرج فعلا عن قوانين المعرفة الفرنسية وحطم أسس العقلانية الكلاسيكية، ودفع بالسؤال الفلسفي إلى درجته القصوى".**[2] بمعنى عمد فوكو إلى تفكيك مختلف الأنظمة الفكرية الّتي وجهت مسار الفرد عبر التاريخ بيد أن عمله هذا اتجه أكثر إلى الحفر في أعماق الإنسان داخل فضائه الحيوي بما يحتوي من مسكوتات، وربّما تكون على حافة الوجود اليومي للإنسان المهمّش واللاسوي المنعوت دوما خارج عن النظام الاجتماعي والسياسي وذلك بسبب السلطة المهيمنة عليه وعلى ما تجاوره، إنّ ما سعى إليه فوكو في الفعل الأركيولوجي التوّغل داخل النسيج الاجتماعي بكل تلبساته وهامشياته الّتي تعشقها كل من المعرفة والسلطة وتحديد المكونات الّتي تختص بها كل ثقافة من أجل الكشف عن

---

[1] ميشال فوكو، **المراقبة والمعاقبة**، ص 20.

[2] pierre Bourdieu , **le plaisir in le monde de savoir**, n 12260 ,1984 ,p10 .

الشروط التاريخية الّتي أرست فعل الإقصاء والهيمنة، وفي هذا المنحى إنّ ما يميّز عمل فوكو الجينالوجي هو البحث في الأماكن المهجورة الّتي تشكل بؤرة للحقيقة[1]، ولقد سعى فوكو إلى تحقيق طموح الفيلسوف الألماني نيتشه واستجابته لطرحه لبعض الأمور الّتي كانت يراها ذات أهمية كبيرة ويجب أن نؤرخ لها، مثل المعرفة والسلطة والذات كل هذه الموضوعات مستويات تشتغل تحت إطار مفهوم الجهازيات وهي بمثابة طرد مركزي داخل هذا المفهوم الّذي يشتغل بنمط لا محدد.

تبقى فلسفة نيتشه ما هي إلا نوع من التنقيب إذ تقوم فلسفته على فكرة تأكيد الحياة ويمثل ظهوره تصدعا في تاريخ الفكر الفلسفي الغربي إذ معه تبدّل نمط الخطاب الفلسفي وكذلك من خلال فلسفته العدمية الّتي فتحت آفاق جديدة لفلسفة ما بعد الحداثة، وبهذا سينبثق فوكو من هذا التصور لنيتشه لكي يتصور تصورا جديدا ليعطي نظرية جديدة حول مختلف الموضوعات كالخطاب والسلطة والسجن والجنون والمرض والمعرفة والذات والتاريخ وغيرها من المواضيع والّتي تبقى في النهاية ما هي إلا أنساق فكر ميشال فوكو[2].

وبهذا قدّم لنا ميشال فوكو جملة من الأعمال التاريخية والفلسفية الّتي تنتمي إلى علم النفس من خلال تحليله وطرحه لموضوع الجنون، وكذلك هناك موضوعات تنتمي إلى الطب من خلا تحليله لمشكلة المرض، وكما تطرق إلى المنظومة العقابية ودور السجن فيها، وكما لديه أيضا دراسات تنتمي إلى العلوم الإنسانية من خلال طرحه لمسألة الإنسان والمعرفة المتعلقة به، فنج القاسم المشترك بين أغلب مؤلفاته هو أنه كان يحاول أن ينظر إلى الخطاب وكيفية تحليله من أجل التعرف على المميزات المعرفية لكل مرحلة من مراحل تطور الأفكار.

[1] ميشال فوكو،**الفرد والمجتمع**، تر حسين موسى، (دار التنوير، للطباعة والنشر، بيروت، 2009)،ص 140.

[2] ميشال فوكو، **نظام الخطاب**، تر محمد سبيلا، بدون طبعة،(دار التنوير، بيروت،بدون سنة)، ص، 44.

الفصل الرابع: تصنيفات ميشال فوكو وأهم الانتقادات وردود أفعال الفلاسفة

1. تصنيفات ميشال فوكو
2. انتقادات ميشال فوكو
3. ردود أفعال الفلاسفة

4 الفصل الرابع: تصنيفات ميشال فوكو وأهم الانتقادات وردود أفعاله

4.1 المبحث الأول: تصنيفات ميشال فوكو

4.1.1 تصنيف ميشال فوكو نيتشوي

مثلث اللحظة النيتشوية منعطفا نوعيا في تاريخ الثقافة الغربية بصفة عامة والحديثة منها بصفة خاصة، وتكمن نوعيتها في كونها غيّرت تماما طريقة إدراك المعنى وتوجهت مطارق النقد النيتشوي إلى قيم الثقافة الغربية الّتي قام عليها التراث الفلسفي خاصة في مجال العقل، ولهذا أخذ مفهوم العقل مع نيتشه مفهوما مغايرا عن الّذين سبقوه وعاصروه ومن هذه الفكرة ظهرت تيار فلسفي عرف باسم **"ما بعد الحداثة"** المتمثل في ميشال فوكو وجيل دولوز ودريدا وغيرهم، يمكن تلخيص مجمل أطروحة هذا التيار في رفض شعار الأنوار واعتباره مجرد وهم، وأنّ الواقع لا يعدو أن يكون مجرد مرآة تعكس انهيار العقل الكلاسيكي[1]، ومع ذلك يمكننا القول إنّ أهم من أثر بفوكو كان نقاد العقل والفكر الغربي ألا وهو نيتشه، ولقد أثّر على ما بعد البنيويين الفرنسيين تقريبا، وبدورهم عملوا على تجاوز الفلسفة الهيجلية والماركسية وبالإضافة إلى تحفيز صيغة التفكير ما بعد الميتافيزيقا وما بعد الإنسانوي، علّم نيتشه فوكو بأنّه يمكن للمرء أن يكتب تاريخ الجينالوجيا عن عدة مواضيع وخاصة المهمشة منها الجنون والعقل و غيرها، لقد وضّح نيتشه أن المعرفة والحقيقة لا تنفصل عن إرادة السلطة ولقد طور فوكو هذه الفكرة وعمل على نقده لليبرالية الإنسانوية والعلوم الإنسانية وبهذا نجد فكر فوكو مقتفيا أثر نيتشه وما يريد الوصول إليه في النهاية المطاف هو إيقاظ الفكر من غفوته الإنسانية وتدمير كل أشكال الملموسة من التحامل الأنثروبولوجي.

يصنف فوكو ضمن فكر نيتشه في القرن العشرون، إذ تمكن من إنشاء خطاب فلسفي جديد خاص به بعدما أصبحت المقولات والمفاهيم الفلسفية تدخل في دائرة التكرار وكما يرفض تصنيفه كبنيوي، ويصّر على وصف نفسه بالنيتشوي، فقد كان راغبا في قراءته لنيتشه واستحضار أفكاره لكون هذا الأخير يعدّ رمزا وناقدا للحضارة الغربية، وهذا ما جعله (فوكو) يفتتن به، وكما استقى منه عدة مفاهيم منها: السلطة والذّات و الحقيقة والمعرفة والمنهج و التاريخ و الجنس وغيرها، فمن الممكن القول بأنّ مشروع المعرفي لفكر فوكو يقترب من نيتشه أكثر مما يقترب من كانط أو هيجل، أو هيدجر، فتساؤل فوكو عن إرادة المعرفة أكثر من تساؤله عن المعرفة ذاتها، و يتّخذ فوكو من البحث فيما هو حقيقي وموضوعي ويرتبط أكثر بمختلف الممارسات الخطابية على مستوى المعرفي ولهذا نجد فوكو دائما يصرح بأنّ علاقته مع بنيتشه تعود إلى سنة 1953م أنّه مجرد نيتشوي[2].

---

[1] د حيدر ناظم محمد ،**اشكالية الفلسفة من النقد الأركيولوجي إلى الإبداع المفهومي**، ط1،(دار الروافد، بيروت،2005)، ص 70، 73.

[2] رضوان جودت زيادة، **ما بين فوكو ونيتشه الأصول ما البعيدة للفكر ما بعد الحداثة** ، مجلة المستقبل، العدد 20 ،2007، ص 2.

إنّ الهدف من حفر فوكو هو العمل على" تقويض" جميع مظاهر الذاتية في تاريخ الفكر ومواصلة خلخلة أسس النزعة الإنسية، وكذلك تعتبر حفريات فوكو نقطة توازن وارتكاز وتحليل المعرفة مستعينا بخطوات نيتشه، ويظهر أثر نيتشه على فكر فوكو من خلال انتقال فوكو من التحليل الأركيولوجي إلى الجينالوجيا، وذلك تماشيا مع تطلعاته الراسخة نحو تقويض جميع الأسس وتفكيك المعرفة وكذلك النزعة الإنسية، وهذا ما أشار إليه **جان لاكاروا** إلى المسألة الجوهرية لمشروع فوكو والمتمثلة في رفضه لأطروحة النزعة الإنسية، ويبقى الهدف المباشر لفوكو هو البحث عن حقيقة الإنسان بعيدا عن القسمة القائمة بين العقل واللاعقل، ولقد كشفت النيتشوية عن قتل الإنسان من أجل إيجاد الإنسان الأعلى وهذا ما أشرنا إليه في الفصل الثاني ومن خلال هذه الفكرة نجد كل من الجيل النتيشوي الفرنسي **كفوكو ودولوز ودريدا** قد صمموا الاختلاف وأرادوا أن يكونوا مختلفين في عرضهم للفلسفة ويتخذون فلسفة أخرى متباينة في مصطلحاتها وطريقة عرضها وبرهانها، وفي الوقت ذاته كانوا يعلون نهاية العصر ونهاية التاريخ ويجدّدون عدمية القرن التاسع عشر في إعلانهم عن العبثية وعن فشل منهج للحد الأقصى، و كما يدعّم فوكو هؤولاء الفلاسفة من خلال زوال الإنسان في كتابه " **الكلمات والأشياء".**

وهنا يردد فوكو الإعلان النيتشوي عن موت الإنسان، ويؤكد فوكو من منظور الثقافة الجديدة بأنّ الفكر المعاصر الّذي لم يعد بإمكانه أن ينمو ويزدهر إلا في فضاء غياب الإنسان نفسه، ولقد كان نيتشه أوّل من تنبأ بموت الإلاه والّذي سيعقبه لا محالة موت الإنسان[1].

لقد كانت التجربة الفلسفية لنيتشه أول مجهود يبذل في الفلسفة الحديثة وذلك ومن أجل إيقاظ الفكر من سباته الأنثروبولوجي وكذلك من أجل استئصال جذور النزعة الإنسانية والتاريخ، وهذا ما دفع بفوكو بالبحث عن اللامفكر بحيث يرى فوكو أنّ الإنسان لا يستطيع التفكير في ذاته إلا من خلال البحث من دون إلغاء حدود الإنسان ذاته، فمعرفة الإنسان متجردة عن التمركز في الهامش الّذي يفصل بين الحقيقة والخطأ وبين البراءة والشعور بالذنب، واللامفكر فيه "L'impensé" والمستحيل التفكير فيه ولم يعد في مقدور الإنسان وصف نفسه بـأنّه كائن في نظام معرفي من دون أن يكتشف المفكر في الوقت ذاته وفي ذاته، وبهذا بلورت في الثقافة المعاصرة ثقافة جديدة من التفكير بعيد عن الديكارتية وحتى الكانطية إذ يطرح مشكلة وجود الإنسان من زاوية اهتمام الفكر باللامفكر فيه والإنصاف إلى همساته وكشف على بعض أحواله.

لقد اقترن ميلاد الإنسان بنشأة العلوم الإنسانية، ولكن التطور الكبير الّذي عرفته العلوم المتمثلة في اللسانيات والتحليل النفسي والأنثبولوجيا، أدى إلى إظهار فكرة الإنسان ذاتها وذلك على مستوى البحث والتفكير، مما أصبح ينبئ بقرب اختفاءه وباندثار أسطورة العصر الحديث، وإنّ ما توصلت إليه أبحاث ودراسات لتلك العلوم ليس هو الكشف عن ماهية أصلية للإنسان، بل هو حقيقة أنّ اللاشعور يهيمن على كل ما يتعلق بالإنسان ومن

[1] عباس فيصل، **الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة**، ط1، (دار المذهل للطبعة،اللبناني،2005) ، ص 652، 653.

هذه الفكرة أكمل فوكو رسالة النيتشوية إذ لم يكتف بالكشف عن موت الاله ولكن بحث عن كيف يموت الاله الآخر المزيف الّذي انتحله الإنسان ذاتا له[1].

عمد فوكو إلى اقتراح نموذجا أخلاقيا جديدا، ويجد نفسه في الأخير يسير في تيار نيتشه، ويبقى هذا الأخير في تصور فوكو الأساس النابض بالحيوية في جوهر لفلسفته كلّها وإنّ الخطاب النيتشوي النقدي الرامي إلى تجاوز الميتافيزيقا لا يحيل تماما إلى العقل ولا إلى أي قيمة عقلية، وإنّما نلتمس مبرراته من استعراض تجارب الكشف الذّاتي عن الحقيقة، تلك التي نحياها، ولقد وصلت رسالة النقد النيتشوي للميتافيزيقا في جميع طقوس المعرفة وكذلك إلى الحقل الفكر المعاصر من خلال عدة صيغ وأشكال تتمثل في النموذج ميشال فوكو الّذي أكّد قبل أشهر قليلة من وفاته بأنّه نيتشه، وبأنّ هذا الأخير تغلب عليه في نهاية مطاف على توجهه الفلسفي كله، وهو اتجاه قائم على فكرة هدم القناعات الراسخة وفصح تنكرات وانحرافات إرادة القوة التي تعيق نشأة العقل وكذلك حول الذات في الفكر المعرفي أساسا.

ويظهر كذلك تأثير فوكو بنيتشه من خلال ما أكّده **ألكس كالينكيوس** بأنّ أنصار ما بعد البنيوية أمثال فوكو ودولوز وديريدا كانوا يدينون بالفضل الكبير لنيتشه، وذلك من خلال قيام نيتشه بتطوير وإيجاد رباط فلسفي في ما بين الموضوعات الرئيسية للحداثة ولقد أشار فوكو إلى ذلك من خلال نصين له هما: "نيتشه، **ماركس فرويد"**،و" **نيتشه الجينالوجيا التاريخ"** [2].

يعدّ فوكو من أحباء نيتشه ومن أتباعه، و يبدو أنّ مشروعه الفلسفي والتاريخي هو تحقيق لرغبة نيتشه وسير في مساره، لكون نيتشه حسب فوكو فيلسوف غاضب على عصره وعلى النظام السياسي والسلطة.

_ امتداد فكر فوكو لفكر نيتشه حسب يورغن هابرماس:

خصص **يورغن هابرماس** فصلين لميشال فوكو في كتابه" **القول الفلسفي في الحداثة"** هما الفصل التاسع والفصل العاشر، ولقد عرض هابرماس في الفصل الأول كيف استطاع فوكو نزع الغطاء للحضارة الغربية ورفضه للعلوم الإنسانية عبر نقده للعقل أما الفصل العاشر فلقد عمد هابرماس على إظهار كيفية تجلي نظرية السلطة عند ميشال فوكو[3].

سعى هابرماس في هذين الفصلين إلى إظهار حضور فكر نيتشه في فكر فوكو من خلال جينالوجيا الحقيقة من قبل نيتشه، أما من قبل فوكو يظهر ذلك من خلال إرادة الحقيقة، وفي هذه النقطة يتفق هابرماس مع " **دومنيك جانيكو"** الّذي أشار إلى وجود ضرب من التأويلية لديهما، وهي التأويلية الحقيقة والعقل، وكما بيّن هابرماس عودة كل من نيتشه وفوكو إلى الإغريق بحيث كان يرى نيتشه في نمط تفكير الإغريق وحياتهم ما يمكن من خلق ثقافة سامية مشروع حياة جديدة، أما عن فوكو فقد اهتم بالإغريق و قد

---

[1] ميشال فوكو، **المراقبة والمعاقبة**، تر مطاع الصفدي،بدون طبعة،(مركز الإنماء القومي بيروت،1990) ص، 288.

[2] ميشال فوكو، **يجب الدفاع عن المجتمع** ، تر الزواوي بغورة، ط1،(دار الطليعة، بيروت، 2003)، ص 17.

[3] يورغن هابرماس،**القول الفلسفي في الحداثة**، تر فاطمة الجيوشي، بدون طبعة،(منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، 1995)، ص ص ، 450،365.

أشار إليه في كتابه:" **تاريخ الجنسانية**"، وفيه يميّز بين نوعين من الأخلاق وهما الأخلاق المسيحي وقوامها طاعة القوانين وكذلك الأخلاق اليونانية الرومانسية قوامها إبداع الذات.

يشير هابرماس في الفصل العاشر إلى أنّ فوكو أقرب بكثير من نيتشه على باقي الفلاسفة، وأنّ فكر نيتشه قد ظل ملازما حتى في كتاباته الأخيرة المنشغلة " **باستتيقا الوجود**" و " **الإنهمام بالذات**"، ولقد قدّم فكر نيتشه نماذج التحليل وربما نموذج من المقاومة وسوف يتبعه فوكو في ما بعد من خلال اعتبار استتيقا الوجود ضرب من المقاومة الحياة وللسلطة الحيوية، ومن هذا يتوسع في موضوع السلطة، و إذ أنّه عندما تتخذ السلطة من الحياة موضوعا أو هدفا لها فإنّ مقاومة السلطة تنتزع بالحياة وتواجه بها السلطة[1].

وكما يظهر هابرماس امتداد فكر فوكو لفكر نيتشه في مجال " **فن الوجود**"، ويعبّر عنه فوكو بمقاومة السلطة وأنّه ثمة في أسلوب الإغريق في الحياة ما يبعث في تصور نيتشه الأمل في مقاومة العدمية بما هي نفي للحياة، ولكن في الحالتين سواء تعلّق الأمر بنيتشه أو بفوكو فإنّ المقاومة السلطة تقتضي تحرير قوى الحياة من سجين الإنسان وبهذا يساند دولوز هابرماس ويلخص ما يجمع بين نيتشه و فوكو وهو التفكير في فن الوجود الّذي يحرر الإنسان، لكون فن الوجود قوامه الاستقلالية بالنسبة إلى فوكو كما هو بالنسبة إلى نيتشه فإنّه ينبغي البحث داخل الإنسان نفسه عن مجموع القوى والوظائف الّتي تقاوم موت[2].

يوضح هابرماس إلى وجود بعض نقاط الاختلاف بين نيتشه وفوكو مثلا في مسألة " **النزعة الزهدية**" إلا أن فوكو لا يخرج من دائرة الجينالوجيا النيتشوية، يعتبر فوكو فلسفة نيتشه بمثابة مقدمة للتاريخ والسياسة وللمعرفة ولواقعها ولموضوعها وهي فلسفة تهيئ لنا ولوج هذا التاريخ، طالما أنّ نيتشه سعى إلى فهم طبيعة المعرفة انطلاق من فكرة الصراع بين الغرائز. وكذلك نجد مسألة الحقيقة والتي تعدّ من أهم المسائل التي اشتغل بها فوكو وتركت فيه أثرا جليا في فلسفته، ويشير فوكو إلى ما كتبه نيتشه سنة 1880م في كتابه" العلم المرح" هو ما إليه فوكو بقوله:" **علاقتي بنيتشه تكمن من خلال نصوصه التي تعود إلى سنة 1880م بحيث كانت مسائل الحقيقة والتاريخ مسائل أساسية بالنسبة إلي**"[3]. وإنّ قراءة فوكو لفكر نيتشه هي التي مكنته من اطلاعه على عدة مواضيع وهذا ما وضحه في قوله:" **لقد كانت قراءتي لنيتشه هامة جدا بالنسبة إلي، إذ لا يكفي أن نبني تاريخا للمعقولية بل ينبغي إنشاء تاريخ للحقيقة نفسها**"[4]. وبهذا يعدّ نيتشه المفكر الّذي شغل فكر فوكو منذ سنة 1953م من خلال عدة مسائل كالمعرفة والحقيقة والتاريخ والسلطة وغيرها وبه عمل فوكو في البحث عن تعدد علاقات القوى في مصدر قيمتها ومفاهيمها ولا شك أنّ فوكو مدين بكثير للأطروحات النيتشوية وذلك من خلال مفاصل مذهبه الفلسفي وخاصة في مجال الحقيقة، إذ شن نيتشه ثورة صارمة على تعرية الخطاب الفلسفي الغربي التقليدي والتصدي له، ولقد تفطن فوكو بفضل أفكار نيتشه وعمل على

---

1 Gilles Deleuz ,**Foucault**, édition, paris, p 98.

2 Ibid. p 99.

3 Michel Foucault, dits et écrits, édition Gallimard, 1954- 1975 , p444 .

4 Ibid. p ,445 .

تحويل هذه الجينالوجيا الثقافة النيتشوية إلى جينالوجيا الممارسة الفكرية الاجتماعية، لذلك سماها في ما بعد أركيولوجيا لأنّها تعتمد على التفكيك، وإذا كان نيتشه دعا إلى مركزة الجسد باعتباره الكوجتو الحي فإنّ فوكو اشتق من الدعوة ذلك المنهج الذي سوف يوصله إلى المعرفة والذي مكنه من إعادة تفسير المشروع الثقافي الغربي على ضوء العلاقات المعرفية السلطوية التي تحقق فكر الجسد وأثر قمعه، وكذلك يجعل فوكو فكر نيتشه شرعية أخلاقية جديدة وهي ما فوق كل خلقية، وهكذا فإنّ ثورة نيتشه الأصلية لم تذهب هباءا، ولا صرخته في فضاء جنونه العبقري بل إنه عماد الفلسفة المعاصر وذلك من خلال منهجه الجينيالوجي واستطاع بواسطته كشف اللثام عن الثقافة الغربية وما أثر على أجيال من المفكرين وفلاسفة فيما بعد كدولوز ولاكان و ديريدا وغيرهم[1].

فمن الممكن القول إنّ مشروع المعرفي لفوكو يقترب من نيتشه أكثر مما يقترب من كانط* أو هيجل، و ذلك من خلال تساؤله عن إرادة المعرفة، ففوكو دائما يصرح بعلاقته مع نيتشه التي تعود إلى سنه 1953م وأنّه مجرد نيتشوي، و كما أنّ العديد من الباحثين قد توقفوا عند هذه العلاقة و درسوا جوانبه المختلفة، وكليهما يلتقيان في عدة مسائل خاصة في البحث عن الحقيقة واقتباس المنهج الأركيولوجي من المنهج الجينالوجي وكذلك من خلال موضوع السلطة والّذي أسس عليها فوكو مفهوما جديدا للسلطة متكئا على أفكار نيتشه وأقامها على أساس مبدأ القوة وإظهار ممارسات السلطة من خلال السجون وطريقة التعامل في المستشفيات[2].

4.1.2 تصنيف ميشال فوكو ككانطي جديد

1_ ميشال فوكو كانطي جديد حسب جان بياجي:

يرى جان بياجي بأنّ بنيوية فوكو تختلف اختلافا كبيرا عن البنيوية البنيويات الآخرين أمثال لفي ستراوس ولاكان جان، والتي سماها " ببنيوية بدون بنيات" ويشير بياجي إلى أن المنهج الأركيولوجيا عند فوكو يعود إلى ايمانويل كانط والّذي اعتبر الأركيولوجيا كأنطلوجيا للحاضر وتعو جذور الأنطلوجيا كما قال فوكو إلى كانط والّذي طرح لأول مرة سؤال الحاضر أي سؤال اللحظة الراهنة، من خلال تساؤلاته الثلاثة.

قام جان بياجي بانتقادات ميشال فوكو ويتمثل الانتقاد الأول من خلال احتقار ميشال فوكو العلوم الإنسانية وذلك في قوله:" **يحقد فوكو بشكل خاص على الإنسان ويعتبر العلوم الإنسانية مجرد نتيجة وقتية لهذه التطورات التاريخية، أو العلومية التي تلاحق بدون ترتيب عبر الزمن، وهذه الدراسة العلمية التي نشأت في القرن السابع عشر سوف تختفي**"[3].

---

[1] مطاع الصفدي، **نقد العقل الغربي**، دون طبعة،(مركز الإنماء القومي، بيروت،1990)، ص 4.

* فوكو لا يقرأ كانط باعتباره محدثا فلسفيا بل باعتباره حدثا أركيولوجيا، محصورا في علاقته مع باقي الأشكال النصية للمعرفة، ويعتبر فوكو فلسفة كانط أول فلسفة ربطت بين صورة الإنسان بتحليله النهائية، ومن حيث التفكير في الإنسان بكونه ثنائية تجريبية متعالية، وهذا ما سمح لنيتشه أن يضح حدا لتعدد تساؤل كانط عن الإنسان، وأشار في ما بعد إلى موت الإلاه وبعد ذلك سيعقبه موت الإنسان، وبهذا استعان فوكو بنيتشه من أجل قراءة كانط.

[2] رضوان جودت زيادة ، **ما بين فوكو ونيتشه، والأصول البعيدة للفكر ما بعد الحداثة**، مجلة المستقبل، العدد20 2007، ص 2.

[3] جان بياجي، **البنيوية** ، تر عارف منيمة، ط4،(منشورات عويدات، بيروت، 1985) ص، 103.

وأما عن الانتقاد الثاني فيتمثل في: إذا كان فوكو يريد أن يكون كانطي جديد، إلا أنّ عمله ينقصه الموضوعية والدّقة لكي يصل إلى هدفه.
يكمن الانتقاد الثالث يستهل فوكو بنقده للعلوم الإنسانية، فحسب بياجي إنّ فوكو لا يقدم لنا أجوبة كافية تدلنا على أسباب تسمية هذه العلوم بالعلوم الإنسانية، وهذا في قول بياجي:" **في الواقع هذه العلوم تحديدا محددة لا يقبله أي ممثليها، مثالا على ذلك لا يشكل علم اللغة علما إنسانيا يتعلق فقط بهذا التعين،الطريقة التي يستعملها الأفراد أو المجموعات يتمثل في الكلام، وكذلك نشأة علم النفس العلمي من القواعد الجديدة التي فرضها المجتمع الصناعي على الأفراد في غضون القرن السابع عسر".**[1]
يكمن الانتقاد الرابع في وقوع فوكو في خطأين كبيرين هما:
أ- يتمثل الخطأ الأول في أن المعرفة عند فوكو لا جدوى منها في قول بياجي:**" نرى إذا أن هذه العلومية تخص فوكو نفسه، ولا تخص التيارات العلمية التي يعود في صياغتها على طريقته الخاصة"**[2]، ومن ناحية أخرى فإنّ ثلاثيه هي ثلاثي سكوني، بينما نجد أنّ الميزة الأساسية للعلوم المعاصرة هي مجموعة من التفاعلات التي تسعى لإعطاء النظام شكلا دائريا مع تدخلات متعددة كالديناميت حرارية وتقنية الإعلان وغيرها وتندرج التفكير الفلسفي كبعد مستقل بينما تسعى العلومية يوما بعد يوم إلى أن تكون في صميم كل واحد من هذه العلوم.
ب – ويتمثل الخطأ الثاني في: التغاير الباطني، والّذي يتمثل في الأمثلة البيولوجية والفيزيائية، وذلك في قول بياجي:" **ظل الفكر البيولوجي على هذا المستوى، وتوصل الفكر الرياضي منذ القرن السابع عشر إلى تحليل التفاضلي** * **(analyse infinitésimale) وإلى نماذج تفاعل، ليس خطية في شيء كمبدأ نيوتن التساوي بين الفعل ورد الفعل [....] بينما يدّعي فوكو التخلص من ذلك، بواسطة عمله الثقافي في الحفريات"**[3].
_ يشير بياجي لا نبالغ إذا نعتنا بنيوية فوكو بالبنيوية الخالية من البنيات، وأن هذه البنيوية تأخذ من البنيوية الكونية جميع مظاهرها السلبية المتمثلة في عدم تقييم التاريخ والتكوين وكذلك جعل الإنسان كائنا سائرا نحو الزوال.
_ حسب بياجي رجوع فوكو إلى اللغة المصممة على أنّها تسيطر على الإنسان لأنها خارجة عن الأفراد، ولكن حتى كائن اللغة (être du langage) يبقى يشكل بالنسبة إليه نوعا من الغموض الّذي يحلو له فقط، و لكن في نظر بياجي عمل فوكو لا يخلو من قيمة يتعذر استبدالها لحدة ذكائه الهدام، وأن مشروع فوكو يبيّن بالتأكيد استحالة الوصول إلى البنيوية متماسكة إذا عزلنا هذه البنيوية عن البنائية.

2– فوكو كانطي جديد حسب بلانين كريجيل (Blandine Kriejal):

تحدثت الباحثة الفرنسية **بلانين كريجيل**(1_12_1943) في كتابها "**audhourd'hui Michel Foucault**" عن عودة فوكو إلى كانط وذلك في أواخر

[1] المرجع السابق، ص، 105.
[2] المرجع السابق ،ص، 107.
* عبارة عن معادلات رياضية اكتشفها لايبنيز ونيوتن.
[3] جان بياجي، **البنيوية**، ص 108.

حياته بحيث تحول فوكو من نيتشوي إلى كانطي دون أن ينكر إعجابه _فوكو_ بنيتشه وتشير الباحثة ليس صحيحا القول بأن فوكو كان ضدّ التنوير كما يزعم بعضهم بل على عكس ذلك، فإنّ فوكو لم يتنكر للتنوير أبدا على الرغم من نقده الجارح للحداثة الأوربية ومؤسساتها ولكن الشيء الّذي مات في فكر فوكو ولم يعد صالحا لعصرنا هو كالتالي:

_ نرى في مؤسسات الحداثة مجرد مؤسسات قمعية هدفها قمع الأفراد أو تسجينهم، وإنّما أصبحنا نرى اليوم في مؤسساتنا نوع من الإيجاب بحيث أنّها تهدف إلى حماية حقوق الإنسان والمواطن وحماية أمنه وسلامته، فلولا دولة القانون لساد قانون الذئاب في أوربا ولا ريب في أن فوكو بالغ في نقد مؤسسات الحداثة وبالغ في رؤية الوجه السالب لها ولكن أفادنا بذلك من خلال التنبيه إلى سلبيات الحداثة، وساعدنا بالتالي على تصحيحها وتجاوزها.

وإن تحول فوكو إلى كانطي جديد مرحلة من أهم مراحل تشكل فكر فوكو لذاته ومنهجه الأركيولوجي على وجه الخصوص، وكما كان لكانط الأثر الأكبر في توجه فوكو الفلسفي نحو الحاضر، وكذلك في توجه فوكو نحو الذات وأين ركز فوكو في الأخير على فلسفة التنوير الكانطي لتحرير الفرد من القمع والتسلط[1].

يتمثل إسهام كانط المعرفي في النقد ذاته والّذي يكشف عن حدود قدراتنا المعرفية، يمكن له أيضا أن يكشف عن الشروط الضرورية للممارسة لهذه القدرات، وبذلك فإن ما قد يبدو صفات عرضية للمعرفة البشرية أصبحت حقائق ضرورية ، ومن ناحية أخرى قام فوكو بقلب فكر كانط مبدلا من السؤال عما يكون ضروريا بالفعل في ما يدو عرضيا،إذ يقترح فوكو أن نبحث عما قد يكون عرضيا في ما يبدو لنا ضروريا والّذي انصب بحثه في مجال العلوم الإنسانية، والتي تزعم أنّها تقدم حقائق عالمية مدروسة عن الطبيعة البشرية في ما أنّها في الحقيقة ما هي إلا تجسيدات للاتجاهات الأخلاقية والسياسية المرتبطة بمجتمع معين ومن هنا نجد بأنّ فلسفة النقدية لفوكو تقوم بدحض هذا الادعاءات من خلال توضيح أن العلوم الإنسانية كما قيل، وهي نتاج ظروف وقوى تاريخية متميّزة غير مستندة إلى حقائق علمية ثابتة[2].

4.1.3 تصنيف ميشال فوكو متعدد الأقنعة

تهدف أركيولوجيا فوكو إلى الكشف عن القواعد التي ساهمت في تشكيل الخطاب في حقب تاريخية معينة وأشكال ظهوره والكيفية التي يمارس بها دون الاهتمام بمضمون الخطاب وإنّما بشكله وكما يبحث عن القطائع والانشقاقات وتصدعات الأفكار التاريخية.

تعرض المنهج الأركيولوجي لعدة انتقادات ومنها: أنّه لا يهتم بتقديم نتائج باعتبارها حقائق، وإنّما يسعى إلى إزالة الغموض الّذي يحبط بوثيقة تاريخية معينة، وبالنسبة للكتابة عند فوكو فإنّها لا تمثل أي شيء، والّذين يكتبون ليس لهم وجه واحد بعينه، فيشير بالقول:" **"فلا تطلبوا مني من أنا؟ ولا تأمروني بأن أظل أنا هو باستمرار"**[3]، وكذلك وصف المنهج الأركيولوجي بالبراغماتية والإجرائية والانتقالية وذلك من خلال تتبع

---

[1] Michel Foucault**, dits et écrits**, 1954_1975,Gallimard,paris, p 1581 .

[2] مبادرة الباحثون السوريون، الفلسفة والعلوم الإنسانية، ميشال فوكو المفكر الإنسان، Sys,res.com.

[3] ميشال فوكو، **حفريات المعرفة**، تر سالم يافوت، بدون طبعة،(مركز الثقافي العربي، بيروت،1987)، ص 18.

نتائجه فهو ينتقل على صعيد مرجعياته المنهجية، من نيتشه إلى ماركس إلى فرويد ويستخدم أدوات البنيوية وينكر الانتماء لها، إذ يوظف الجينالوجيا فهو نيتشوي تارة، ومن ثم يستخدم مصطلح الإنتاج فهو ماركسي تارة أخرى ومن ثم يستخدم تحليلا فرويد فهو فرويدي في مكان آخر.

ومن جهتي لا يلبث أن يتخذ من التحليل النفسي موقفا نقديا حادا،إلا أنّه_فوكو_ ومما شك فيه ليس بماركسي ولا فرويد، وإنّما نيتشوي في نهاية المطاف، لهذا يعتبرون فوكو سفسطائي متعدد الأقنعة،وفي ثلاثيته:**" تاريخ الجنون" و" المراقبة والمعاقبة"و" تاريخ الجنسانية"** نجد فيها أثر الماركسي حاضرا من خلال لجوء فوكو إلى تحليلات ماركس في تشخيص عملية التحول بين حقبة وأخرى نتيجة العامل الاقتصادي، وكذلك في معرض نقده للبرجوازية كطبقة صاعدة آنذاك[1] لقد سعى فوكو إلى تطوير استراتجيات في تفسير و تحديد آليات السيطرة خارج العمل أو حتى خارج مفهوم نمط الإنتاج إنّ كل عمل من أعماله يعالج موضوعا تاريخيا يحاول من خلاله الكشف عن كيفية ممارسة النفوذ والسلطة في بنية الأجهزة الهرمية[2].

ويستعين فوكو بماركس فيما بعد ليبيّن ويفسّر سبب إحداث التغير في نمط الإجرام من التعذيب إلى الإنظباط وأخيرا استخدم مصطلح "الرقابة" و يفسر ذلك في قوله:" **إنّ تحول الإجرام السري إلى إجرام اغتيالي هو جزء من أوليات معقدة يدخل فيها نمط الإنتاج مع زيادة الثروات"**[3] **و**الغاية من اهتمامه بماركس هو استخدامه منهجية خاصة في قراءته للتاريخ و ذلك من أجل الوصول إلى المعرفة العلمية والاجتماعية .

وكما يستحضر التحليل النفسي وذلك حين يقارن بين عملية الاعتراف في بنية الثقافة المسيحية، والاعتراف الّذي يخضع له المريض أمام عالم النفس من جهة، ومن جهة أخرى اهتمامه واعترافه في أواخر حياته بأنّه نيتشه وذلك من خلال نقده للحداثة وللعقل والقطيعة التي أحدثها النقد النيتشوي لأسس الفلسفة، و يكمن ميل فوكو لنيتشه من خلال إحداث هذا الأخير لقطيعة حاسمة مع مطلق الفهم الميتافيزيقي للحقيقة وليندرج في سياق مشروع النقد النيتشوي الّذي يقوم على قلب القيم الأفلاطونية.

ومن هذه الأفكار، فإنّ فوكو لم ينكر صلته القوية بفلسفة نيتشه، فليس نيتشه لفوكو مجرد فيلسوف معاصر بل إنّه يحتل محطة بارزة في تاريخ الفلسفة، وإنّ نيتشه وإلى جانبه ماركس وفرويد أحد ثلاثة فلاسفة قلّبوا جذريا نظام التأويل ذاته في الفكر الغربي[4].

لقد أدّى كل من نيتشه وماركس وفرويد وظيفة واضحة من خلال تحرير الفكر من مبدأ التنظيمي التـأصيلي، وكذلك وضفوا منهجا من أجل الوصول إلى المعرفة، وكما نجد عند هؤولاء الإحاطة بالعقلانية والوعي والقيم ووضعها في سلسلة العلاقات ومن هنا يشير فوكو إلى أنّ الثلاثي أي كل من (نيتشه وماركس وفرويد) قد عملوا على تغيير في الحقيقة.

---

[1] ميشال فوكو، **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي**، ص 90.

[2] ادوارد سعيد، **ميشال فوكو**، منير حر للثقافة والأدب"، العدد 3428، سنة 2006، ص 1.

[3] ميشال فوكو، **المراقبة والمعاقبة**، تر مطاع الصفدي، بدون طبعة،(الإنماء القومي، بيروت،1990)، ص 106.

[4] فيصل عباس،" **الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة**"، ص 608.

إنّ مضمون النقد النيتشوي هو رفض المفاهيم التي سيطرت عليها الثقافة الغربية خاصة فكرة العقل والحقيقة والإنسان، ترفض النيتشوية بعنف وتنقد معتقدات الإنسان المتحضر وبذلك عمل كل من نيتشه وماركس وفرويد بإزالة الفكر من سباته الأنثروبولوجي ووجدوا أن الإنسان نتاج العلاقات التي تتخطاه، فقد كانت رؤية الإنسان بالموت والترحال لدى نيتشه بينما ماركس فيراه مغتربا، و الرغبة عند فرويد، أما عن فوكو فيعتقد أنه حينما يتم الفصل بين المعرفة والسلطة تقع ضحية الوهم الليبرالي المنادي بالحرية والليبرالية،وكذلك تبقى حقيقة الإنسان المتحرر واقعا تحت قبضة السلطة، لهذا نجد تكامل بين هؤولاء الفلاسفة بحيث نجد مدرسة التحليل النفسي مدينة بتأسيسها التاريخي لنيتشه، أما عن فيلسوف الصحة والمرض(فوكو) فقد نقل الفكر النيتشوي إلى التطبيق، وبرهن على وجود انفصام في مشروع الثقافة الغربية، وبين بأنّ الإنسان مصنفا بالمرض والعزلة والجنون وأنه سجينا[1].

لقد جرى حوار جرى بين **روجيه بول دروا** مع فوكو، سائلا بول دروا فوكو قائلا: غالبا ما كنت تصرح بأنّك لا تريد أن يطلب منك التعريف بنفسك، لكنني لم أمنع نفسي من المحاولة، فهل تريد أن نسميك مؤرخا؟ هنا يرد عليه فوكو، بأنّه مهتم جدا بالعمل الّذي يقوم به المؤرخ، لكني أريد أن أقوم بعمل آخر يختلف عن عمل المؤرخ، فيرد عليه بول دروا فهل ينبغي إذن تسميتك بفيلسوف؟ وكيف تقدّم نفسك؟ يقول فوكو: " **إنّني صانع أسهم نارية أصنع شيئا صالحا في النهاية لضرب حصار ولشن حرب لقيام بعمل تخريبي، لكنني أدافع عن إمكانية العبور وعن إمكانية التقدم وإسقاط الجداران**"[2] ، نفهم من خلال النص بأنّ فوكو صانع أسهم بمعنى العمل الجينيالوجي الّذي يتأمل في طبقات الأرض وثناياها وصدوعها وذلك من أجل الوصول إلى الحقيقة.

كما نجد استعانة فوكو بفكر الماركسي من خلال تجربته التي عاشها في تونس 1968-1989، إذ يبين فوكو من الصعب أن تقوم بأي شيء من الأشياء دون أن يطلب منك أحدهم، و من أين موقع تتحدث ، هذا هو السؤال الّذي شغله بشكل كبير، وفي نظره يبدو له سؤالا بوليسيا في عمقه بمعنى[3]، آخر هذا السؤال هو سؤال عن الهوية وفي حقيقة الأمر يبيّن فوكو ذلك من خلال تساؤلات البوليس:" من أنت؟ قل لنا إن كنت ماركسيا أو مثاليا؟ قل لنا إن كنت أستاذا أو منافقا؟ "، يرد عليهم فوكو بأنه كنت مثل كل الشباب من جيلي تقريبا بين الماركسية والفينومينولوجيا، ولا أعتمد على الفينومينولوجيا التي يعرفها **سارتر وميرلوبنتي**، بل أقصد والفينومينولوجيا التي أشار إليها **هورسل** والّذي إلى سنة 1935-1937 و يتضمن عنوان أزمة العلوم الأوربية، وكما اهتم بالماركسية في ما بعد وذلك بفضل ألتوسر الّذي قام بتقديم دروس في الفلسفة، وبعد الحرب دخلت الماركسية جامعة فرنسا في لحظة معينة ومكننا الاستشهاد بماركس في أوراق الامتحان ولقد حققت الماركسية قبولا في الجامعة وقبول الحزب الشيوعي بالممارسات الجامعية المعترف بها عادة، وبعد ما كنا نتوغل في الامتزاج بين الجامعة والحزب الشيوعي اكتشفنا بكل فضاعة تماثلها بحيث ساد صراع واختناق في الجامعة، وإن ما اشتد انتباه فوكو هو الوهم

---

[1] مطاع الصفدي، **نقد العقل الغربي**، بدون طبعة، (مركز الإنماء القومي، بيروت،1990) ص81.

[2] ميشال فوكو، **حوارات ونصوص**، تر محمد سبيلا،ط1،(دار الحوار، للنشر والتوزيع، سورية،2006)، ص 18.

[3] المصدر السابق، ص 34.

الخادع بالصراع الّذي وعد به من طرف الحزب وكان علينا أن نكون الجنود المتقدمين لتحسين وضع الجامعة ووضعها تحت تصرف الشعب أو طبقة البروليتاريا ولكن كنا نلتقي فيها وبينا نفس الأشخاص دائما، لهذا قرر فوكو السفر نحو السويد ومن ثم نحو بولونيا ويواصل بول دروا طرح أسئلة على فوكو حيث يقول له:هل تخليت في بولونيا عن انتمائك للماركسية ؟ فيردّ عليه فوكو بنعم، لكونه شاهد أثناء تواجده فيها سيطرت الحزب الشيوعي في السلطة وهو يرادف جهاز الدولة التي تستعمل أبشح وسائل القمع، وما قد أحسست به هو غموض خاصة في السنوات 1950-1955 بحيث كشفت لنا الحقيقة القاسية والعميقة ولم يكن ذلك تخيلات بل توصلوا إلى وجود حزب يستعبدهم في الجامعة، لهذا يمكنني القول إنني منذ ذلك الفترة لم أحد ماركسيا، بمعنى أنني لا أستطيع أن أقبل بسير الحزب الشيوعي مثلما تطرح علينا أوربا الشرقية وفي أوربا الغربية وإذا كان لدى ماركس أشياء صحيحة فيمكن لنا استعمالها وبوصفها كأدوات دون أن يفرض علينا ذكرها[1].

4.1.4 تصنيف ميشال فوكو بورجوازيا حسب سارتر وردود فعل فوكو

ظهرت البنيوية في أوجّ تمزق الوجودية على مستوى السياسي والاجتماعي وإذا كان **لفي ستراوس** قد احتفظ بخيط رفيع بينه وبين سارتر،إلا أنّ فوكو من بعده قطع كل صلة بين سارتر وحتى أن اسم سارتر لم يرد في كتابات فوكو ولو لمرة واحدة.

ولقد وصف فوكو بأنّه بورجوازي من طرف سارتر وتعرض فوكو لعدة انتقادات من طرف سارتر وتتمثل هذه الإنتقادات في:

ينتقد سارتر ميشال فوكو من خلال مفهوم الأركيولوجيا ويعدّه مجرد جيولوجيا أو التنقيب ولا يمكن أن نستخدمه في مجال الفكر، وأنّ فوكو لم يقدّم لنا تفسيرا عن الكيفية التي ينتقل فيها الفكر من نسق إلى نسق آخر، وعن التغيرات والتحولات التي تحدث خلال عملية الانتقال هذه. وكذلك هاجم سارتر فوكو من خلال كتابه"***الكلمات والأشياء***" فيشير سارتر إلى أن فوكو قدّم لنا فلم لرسوم متحركة، ولم يقدّم فوكو للناس ما هم بحاجة إليه[2].

وإن الغاية من اهتمامه بالتاريخ هو **الماركسية** بالطبع وذلك من خلال تشكيل ايديولوجيا جديدة، وكما هو واضح فإن سارتر يتهم فوكو بكل جرأة بأنّه خادم أمين للبرجوازية، وذلك أن القول بثبات الأنساق المعرفية ووجود قطيعة بين نسق وآخر في المستوى الفلسفي يقابله حسب المحافظة على الوضع الاجتماعي السائد، وهذا ما تهدف إليه البرجوازية، وعندما سئل فوكو إذا كان يرفض البنيوية فأجابهم بأنّه يتفهم وضع البنيوية ويتقبلها متى بقيت في حدود المنهج، أما إذا تخطت ذلك فإنّها تتخطى حدود شرعيتها، بحيث البنيات لا توجد من عدم وإنما هناك من أوجدها ألا وهو الإنسان*

---

[1] ميشال فوكو، **حوارات ونصوص**،تر محمد سبيلا، ط1، _ دار الحوار للنشر، سورية،2006)، ص 39.

[2] عمر مهيبل،**البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر**، ط2،(ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون،2012)، ص 91.

* يتمتع إنسان سارتر بالحرية والاختيار والتصرف في مصيره بمطلق إرادته، أما إنسان فوكو فهو مكره على الخضوع للنظام وللبنى التي تخترقه وتتجاوزه، الإنسان الزائف والعابر.

ويواصل سارتر انتقاد فوكو من خلال اتهامه باللاتاريخية أي أنّه احتقر التاريخ وتغاظي عن دور الذات الفاعلة فيه.

وبعيدا عن انتقادات سارتر لفوكو، فيجيبه هذا الأخير بأنّه يثمّن جهود جيل الأزمنة الحديثة **"سارتر و مرلوبونتي"** على وجه الخصوص، ذلك الجيل الشجاع والمغامر جيل امتاز بحبه للحياة والسياسة و الحرية جيل يغمره النشاط والحيوية ولكن في فترتي شيء أخر، والّذي يتمثل في انشغالي بالنسق[1].

أما حول اتهام سارتر لفوكو من أنّه يمثل سيد البرجوازي أمام الماركسية، يجيب فوكو لقد كنت في الحزب الشيوعي لشهور فحسب، أما سارتر كان داخل الحزب أيضا وأنه يمثل المرتبة الأخيرة للامبريالية البرجوازية، إذن يقول فوكو:" **اتهامه لي لا قيمة له إلا من باب رد الدّين، إنه يرد ما تبقى من قطعة نقدية كنت قد أعطيتها له من قبل"**[2].

وأما في ما يخص باتهام فوكو باللاتاريخية واحتقاره له وإهمال دور الذات، فيجيب فوكو بأنّ هذا الاتهام لم يوجه إليه من طرف مؤرخين، بل إنّه اتهام قدم لي من طرف الفلاسفة، وللفلاسفة كما نعلم لديهم تاريخ خاص بهم، وهو عبارة عن أسطورة لا تمت بصلة للتاريخ العام والحقيقي، التاريخ الخاص بالفلاسفة هو نوع من التواصل الكبير ويمارسونه الفلاسفة على نمط مختلف جدا، وإذا كانوا يتهمونني بأنني أريد قتل أسطورة فلسفة التاريخ فإنني سأكون ممنونا إلى أقصى درجة، لهذا يشير فوكو في قوله: **"إننا لا نستطيع أن نقتل التاريخ، بل نقتل التاريخ الخاص بالفلاسفة، هذا التاريخ نعم أريد أن أقتله"** [3].

وعن اتهامه بالنزعة اللاإنسانية وخاصة أثناء إعلانه عن موت الإنسان، يجيب فوكو بأنه قصدي بموت الإنسان موت الرمز وليس موت الإنسان بلحمه ودمه، الإنسان الّذي لم يعد يقوى على تحمل مسؤولياته ومواجهة العصر، ثم إن الإنسان القرن العشرون سوف يموت في اليوم عدة مرات وذلك نتيجة ما أفرزته الأنظمة السياسية في الحضارة الغربية والشرقية على حد سواء[4].

نجد الإنسان يعاني يوميا من ويلات الحروب ووسائل الإبادة الجماعية في بقاع متعددة من العالم، وكذلك نتائج التكنولوجية والتقدم الصناعي الهائل، إنّ المنعرج الخطير الّذي وصلت إليه الحضارة الغربية والتي ينتمي إليها فوكو والتشتت الّذي أصاب قيمها في كل جوانبها كان سببا في جعل فوكو يعلن عن موت الإنسان* وهذه الفكرة انتقدها **ميكال ديفران(Mikel Dufrenne)**** انتقادا حادا من خلال كتابه **"دفاع عن الإنسان"** بحيث رد بقوة على تلك النزعة اللاإنسانية والتي شملت الفلسفات المعاصرة كلل وخصوصا كان تركيزه منصبا على فوكو، ويوضح ذلك بأنّ الفلسفة المعاصرة لا تعتدّ بالإنسان كما أنّها لا

---

[1] عمر مهيبل، **البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر**، ص 92.

[2] Michel Foucault**, répond à sartre** ,in quinzaine littéraire du 15 mars 1968,N 46,p21 .

[3] ibid,p,21,22.

[4] المرجع السابق، ص 94.

* الإنسان بالنسبة لفوكو،لا يتعدى مجرد مفهوم عن الأنساق، وأنّه شيء من الأشياء أو هو مفهوما من المفاهيم وهو لم يظهر في المجال المعرفي أو الابستمولوجي إلا في مطلع القرن التاسع عشر ، وهو موعود بالاختفاء عما قريب.

** ميكال ديفران، كاتب وفيلسوف فرنسي ذو نزعة إنسانية.

تتخذه موضوعا للتفكير، وإنّ ما يدعو للغرابة حسب ديفران هو تلك الكيفية التي درس بها الإنسان، أي ذنب اقترفه حتى يهمش في هذا الحضيض، على كل إذا كان فوكو قد اصدر حكم الإعدام بحق الإنسان فإن ديفران يحاول أن يصدر حكم الإعدام على تلك الفلسفة، ويخلص الإنسان من تبعيتها.

زيادة على هذا يلاحظ ديفران أن هناك غموضا في أركيولوجيا فوكو الّذي حاول تشييدها على أشلاء التاريخ الحقيقي للإنسان، إذ يصف ديفران _فوكو_ بأنّ هناك تلاعب والخلط بين الكلمات والمفاهيم، وإذ أن هناك أنواعا متعددة من الأركيولوجيا وليس هناك أركيولوجيا واحدة، بل هناك ما نسميه بالأركيولوجيا الوضعية (l'archéologie positive) مثل الأركيولوجية الأنطولوجية والّذي يتمثل في أنطولوجية هيدجر التي تبحث عن أصل الإنسان وحقيقة الكائن، ثم أركيولوجيا الفينولوجية التي تعتمد على قصدية الفعل الإنساني وبأن كل وعي هو وعي بشيء ما كما أشار إليه هورسل[1].

وإذا كانت هذه الأركيولوجيات واضحة المعالم والأهداف فإنّ فوكو يتلاعب بمفاهيمه عن الأركيولوجيا بمهارة دون أن يوضحها بشكل عميق، إنّ أركيولوجيا فوكو وبالرغم من الطرح الجديد الّذي شملت مجال الإنسان والتاريخ فإنها لم يخرج عن الإطار العام للفلسفة المعاصرة، فالفلاسفة المعاصرون أصبحوا يتخاطبون بينهم عن الإنسان ولا يخاطبونه مباشرة أي يتكلمون حول الإنسان وليس مع الإنسان وبين المعنيين فرق شاسع.

إنّ الفلسفة المعاصرة فلسفة رجعية، يجب إقامة دعوى سياسية ضدها، ولكن على الرغم من أنّ الواقع مؤلم وظلام ، فإن هناك إنسانا جديدا يسترخص الغالي من أجل أن يحي الإنسان مكرما ومن أجل أن يعود للحياة رونقه، و أمام كل هذا الاحتمال يحتفظ نيتشه بقوة حلمه المتمثل في ظهور الإنسان الأسمى.

4.2 المبحث الثاني: الانتقادات الموجهة لميشال فوكو

4.2.1 نقد جان بودريار(Jean Baudrillard) لفوكو من خلال السلطة والمجتمع

جان بودريار (1929-2007) فرنسي متخصص باللّغة الألمانية، سوسيولوجي وفيلسوف ويعّد من أبرز مفكري ما بعد الحداثة، لقد حلل بودريار العلامات والرموز في التاريخ الأوروبي وذلك من أجل معرفة ما يحدث في الواقع المعاصر، وقد عمل على وضع منهجية لتتبع التشكيلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من عصر النّهضة مرورا بالحداثة إلى ما بعد الحداثة.

يشير بودريار في كتابه " إنسى فوكو" إلى أنّ ميشال فوكو قد تساوى بين السلطة والمجتمع وأنّه لم تعد هناك أيّة إمكانية للتغيير، وأنّ الفيلسوف قد أعدم كل شيء عندما اعتقد بأنّ كل شيء خاضع للسلطة، وخاصة عندما استبعد مفهوم القمع جاعلا من الخطاب فوكو الفلسفي وأثناء نقد بودريار لفوكو اكتشف بأنّه لديه موقف مثقف ماركسي وهو موقف تحكمه حسابات شخصية وأجواء الثقافة الفرنسية وخاصة أثناء تحليله _فوكو_ للسلطة[2] ، إذ وجد بودريار فوكو بأنّه يعاني من مفارقة أساسية وأنّه في الوقت الّذي يتصف الطرح الوصفي من خلال وصف مختلف المعايير والانظباطات فإنّه يرغب في

[1] عمر مهيبل، **البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر** ، ص97.

[2] ميشال فوكو، **يجب الدفاع عن المجتمع**، ص 25.

الأخير أن يكون لديه تحليلا نقديا وهو ما لم يستطيع تحقيقه، لهذا يرى بودريار بأن السلطة لم تعد موجودة في يد المؤسسات الدولة والسجون كما أشار إليها ميشال فوكو وإنّما أصبحت في يد المؤسسات الإعلام وشركات الاتصالات والمعلوماتية، حيث الإنتاج الوافر لعلاقات السلطة، تلك السلطة الّتي أصبحت تكمن في الشفرات وأشكال المحاكاة[1].

يوضح بودريار بأنّ السلطة في مجتمع **ما بعد الحداثة(Après modernité)** هي سلطة في مجتمع بصورة زائفة، وقد كتب بودريار كتابا حول فوكو بعنوان" **إنسى فوكو"** وصاغ فيه " السميوطيقي " باعتباره نظاما للإنتاج مهّد له السبيل للثورة وعلى انتقاده للمجتمع الغربي، وبالتالي يفترض بودريار أنّ الإنتاج الصناعي جزء من عملية تاريخية واسعة امتاز بها الغرب، وكما أشار إلى أنّ التكنولوجيات الإخبارية والاتصالية أصبحت المصدر الأساسي لهذا الواقع، لقد وضّح بودريار بأنّ فوكو قام بإعادة صياغة مفهوم الثقافة إلى الأبعاد التاريخية والمجتمعية والسلطوية والتي تتجاهلها النماذج التي تدرس الواقع الاجتماعي وبدوره عمل على قراءة أرشيف الغرب قراءة تقطعية خاصة في عدة مجالات كالطب والنشاط الجنسي والقانون والجماعات الاجتماعية المهمشة والسياسة وغيرها، وفي هذه الدراسات وجد بأنّ الطبقات التحتية الاجتماعية والخطابات التاريخية علاقات هيمنة لا يمكن اختزالها ببساطة على أنماط وأنّها تشمل الاستغلال الاقتصادي ولهذا استخدم فوكو أدوات منهجية لتعطيل التاريخ في نفس الوقت وإعادة تكوينه على مستوى السلطة والمعرفة وهذا ما ناقشه فوكو من خلال أركيولوجيا المعرفة و الّذي اعتبره الوسيلة لتحليل الأرشيف التاريخي للحضارة الغربية وكما استمد البعد القيمي الجينالوجي من التاريخ لتفسير مفهومي السلة والمعرفة ونجد بودريار لا يعترف بما أشار إليه فوكو ولقد بيّن بأنّ الأحداث تحدث وأن الواقع يسير وفق خططه المنطقية المعتادة فهو –فوكو_ يشك في وجود واقع يتم الاعتداد به فهو يرجع وعي الذات إلى الماضي والتاريخ وكما اعتمد أيضا على تفسيرات تاريخية للعلامات لقراءة الواقع.

ورغم انتقاد بودريار لميشال فوكو إلا أنه_ بودريار- اتبع منهج فوكو الأركيولوجي وذلك من أجل دراسة مختلف الأشكال السائدة للعلامة في كل عصر[2]، بدءا من مواجهته للعقلانية الديكارتية وعقلانية عصر التنوير، يبقى بودريار من أهم من استغلوا تحليل الخطاب الإعلامي العالمي ولقد أثر هذا الخطاب على الأفراد، ويعدّ بودريار أيضا أحد فلاسفة ما بعد الحداثة أو ما بعد الماركسية كما يصف نفسه، وبوصفه معاصر لعدة فلاسفة أمثال ميشال فوكو الّذي أعطى كل حياته واهتمامه لقراءة نيتشه قراءة شخصية وموضوعية، لهذا يعتبر بودريار نيتشه ملهما ومعلما شاعت سمات فلسفته في فترة ما بعد الحداثة وذلك في عدة مسائل منها إنكار لوجود الحقيقة اليقينية وأين ربطها بودريار بغياب الحقيقة وأنّها عبارة عن أخطاء اللغة وأوهامها، وبهذا يبقى نيتشه في نظر فلاسفة المعاصرين ملهم تيارات ما بعد الحداثة، والذين اعتمدوا على ملامح من فلسفته وشيّدوا وقرؤوا الفلسفة بالنقد والهدم والتقويض الجذري وذلك من أجل إعادة حياة جديدة عن نهاية الحداثة.

---

[1] فيصل عباس، **الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة**، ص 608.

[2] جان بودريار،**المصطنع والاصطناع**، تر جوزيف عبد الله، ط1،(مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008)، ص 17.

4.2.2 نقد روجي غارودي(Roger Garaudy)

من أهم الانتقادات الموجهة لميشال فوكو من طرف غارودي نلخصها في نوعين من الاعتراضات سواءا كانت الاعتراضات الواقعية والاعتراضات المبدئية[1].

بخصوص الاعتراضات الواقعية يرى روجي غارودي بأنّ الأسس التاريخية الّتي شيّد فوكو على أساسها بنياته الهشة للغاية،إذ لكي ينشيء الأركيولوجيا ولكي يصوغ قانون الحالات الثلاثة (قانون وضعه كونت لمعرفة الطبيعة، وهي على ثلاث مراحل، المرحلة اللاهوت، والمرحلة الميتافيزيقية، والمرحلة الوضعية) في شكل منهجي كامل لم يكن له إلا من تحريف وقائع التاريخ والتسلسل الزمني أي أنّه سعى إلى القيمة العلمية دون أن يقرأ حساب القيمة التاريخية.

أما الاعتراضات المبدئية يتمثل في ما أشار إليه سارتر وبأنّ فوكو يصنف بنى الفكر الغربي منذ عصر النهضة في تعاقب وبهذا الصدد يشير سارتر في قوله:**"لا ينبئنا بما يمكن أن يكون هو الأكثر إثارة للاهتمام،أعني كيف يتم بناء كل فكر انطلاقا من تلك الشروط وكيف ينتقل الناس من فكر إلى آخر ولكن فوكو يستبدل السينما بالفانوس السحري والحركة بتعاقب من السكونات**[2]"، وكذلك إذا كان فوكو يعتبر على سبيل المثال أن إحدى المراحل الفاصلة في تغيير المنظور العلم الغربي هي المرحلة الممتدة من 1770إلى 1790م، ولكنه لا يطرح في أي وقت مسألة الدور الّذي أمكن للثورة الفرنسية أن تلعبه في تغيير المنظور هذا، ويتفق غارودي مع سارتر في عدم توصل فوكو إلى إثبات طريقة الانتقال من بنية إلى بنية أخرى إذ يشير غارودي بأنّ فوكو يميل أكثر من أي مفكر سواه إلى اختزال علم الإنسان إلى علوم صانع الإنسان بل أنه يدرس هذه الصنائع المتبلورة في بنى وكأنّها ليست من صنع أحد.[3] وأنّ البنية عنده كلية غريبة عن الإنسان أو الشيء بدوننا كما وصفها سارتر، ويسخر غارودي من قول فوكو بـأنّ الماركسية هي طليعة المذاهب الوضعية، وهذا القول يجهل حقيقة ماركس وجوهر فكره.

وعندما يتهم الماركسية بأنّها لم تحدث أي أثر يذكر في المستوى العميق للمعرفة الغربية ويشبهها بالسمك في الماء أن يخرج منه مات، فإنّ غارودي بدوره يتهم فوكو بالتسرع والتهور وعدم القدرة على الإتيان بأي دليل يثبت ذلك، وكما انتقده في قوله بأن السمات المميزة لمعرفة القرن التاسع عشر هي البحث عن الحقيقة على عكس المعرفة الكلاسيكية الّتي تبحث في مستوى التمثل أو التصور المرئي.

وكذلك يرى غارودي بأن العلوم الإنسانية عند فوكو لا يمكن أن توجد إلا متى كف الإنسان نفسه عن الوجود، وإذا كان يرى بأنّ الإنسان سيختفي عما قريب فما توكيده على الإنسان كذات مشخصة للمعرفة وكمركز للمبادرة التاريخية وللاختيار والمسؤولية وهو اختراع حديث العهد، وبكلمة واحدة لقد قرر فوكو شطب كل إحالة إلى الذات في الكوجيتو الجديد، يلخص غارودي إلى أنّ فوكو لا يكتفي بإعادة خلق التاريخ بواسطة المراسيم ، بل يجعل حركة التاريخ بالذات مستعصية على الفهم، وحرصا على عدم تعطيل جدلية

---

[1] روجي غارودي، **البنيوية فلسفة موت الإنسان**، تر جورج طرابيشي، ط2،(دار الطليعة، بيروت، ديسمبر بدون سنة)، ص 40.

[2] روجي غارودي، **البنيوية فلسفة موت الإنسان**، ص 41.

[3] المرجع السابق، ص 42.

التاريخ ينبغي العزوف عن الدغماتية الّتي تجعل من البنية العنصر الأوحد لما هو قابل للمعرفة، أي ينبغي طرح مشكلة تكون البنى وموتها وحلول بنى أخرى محلها[1].

لقد تعرض فوكو لعدة انتقادات سواءا انتقادات موجهة لمنهجه وأفكاره وتقلباته وتناقضاته وتراجعاته وأسلوبه وآرائه المتقاطعة بل وحتى لتحليلاته ونتائجه فهناك من يرى

بأنّ فوكو لم يأتي بالجديد هو رأي **دريدا** الّذي يرى بأنّ فوكو أخطأ فهم أرسطو ولم يقرأ هيدجر جيّدا قبل أن يكتب في السياسات الحيوية، وأنّ عمله كان ناقصا وبحاجة إلى المزيد من العمل والجهد، وكذلك تعرض لنّقد من طرف **يوغن هابرمس** والّذي يشير بوجود جانب إيجابي لفوكو من خلال اعترافه للعقل التنويري إلا أنّه ينتقد المؤسسات والتقنيات الحداثة ويأخذ نقده للحداثة جانبا في تركيزه على الأشكال القمعية للعقلانية ويفشل في تحديد أي جوانب تقدّمية للحداثة، فالحداثة في مشروع فوكو لم تجلب أي تقدّم في الطب والديمقراطي ولكنها نجحت فقط في تعزيز فعالية الهيمنة، وأنّ فوكو يصف جوانب الحداثة بأنّها تأديبية وانضباطية ويتجاهل الجوانب التقدمية من الأشكال الاجتماعية والسياسية للحداثة من حيث التقدم والحرية والقانون والمساواة، كذلك في انتقاد أساسي له من خلال عمله الأركيولوجي لقد ميّز فوكو الخطابات على المؤسسات والممارسات بعيدا عن اعتبارات السلطة الاجتماعية والهيمنة، وكما أن تحوله من تكنولوجيا الهيمنة إلى تكنولوجيا الذّات كان مفاجئا بلا مقدمات ولم ينظر فوكو مطلقا بصورة كافية للإشكالية المزدوجة البناء المؤسسي للإنسان كفاعل.

ومن فيض الانتقادات الّتي وجهت إلى فوكو والّتي صادفتها أثناء عملي نجد مناقض **دانيال زمورا** * مع الباحثين و الأكاديميين أسئلة تحقيقية حول علاقة ميشال فوكو بالثورة النيوليبرالية وذلك في مقابلة مع مجلة الفرنسية الجديدة" ballast"، لقد كتب **زمورا** كتاب بعنوان:" **critique Foucault, les année 80 la tentation néolibérale** "أي نقد فوكو : الثمانيات وإغراء النيوليبرالية" ويشير إلى أنّ فوكو في أواخر حياته أظهر تعاطفا غريبا مع النيوليبرالي، ولم تتأخر ردود الفعل على المقابلة كثيرا وجاء بعضها معمما ومدافها مستفزا من العنوان المثير للسخرية كما قالوا ومن ناحية أخرى فند آخرون مزاعم الجدة والاكتشاف غير مسبوق الّذي ادعاه زامورا في رد فوكو إن جاز التعبير إلى النيوليبرالي.

لقد دافع صديق فوكو **باول فاين" Paul Veyne"** بأنّ فوكو كان منجذبا بشد إلى النيوليبرالي الاقتصادية ويرى بأنها أقل استبدادا من اليسار الاشتراكي أو الشيوعي، وكان يرى أن الزمن قد كفا عليهما المطلق وكان بصفة خاصة يرى في النيوليبرالية شكلا من أشكال السياسية أقل من البيومقراطية وأقل جمودا من الّذي تقدمه دولة الرفاه في فترة ما بعد الحرب، لقد سعى فوكو إلى تجاوز دولة الرفاه وأنّه ساهم في تدميرها فلم يكن غرض الفكر فوكو يميل نحو الاشتراكية وإنما التخلص منها لهذا كان تصور النيوليبرالية لن

---

[1] روجي غارودي، **البنيوية فلسفة موت الإنسان**، ص،49.

* باحث بلجيكي، يحضر رسالة دكتوراه في الوظيفة العامة في بلجيكا ومن أهم مؤلفاته:" Critique Foucault les année 80 la tentation néolibérale .

تتخط أشكالها الأنثبولوجية على الفرد، وتبقى النيوليبرالية من شأنها أن توفّر للأفراد مزيدا من الاستقلال الذاتي في مواجهة الدولة، وإذا استعمل فوكو مصطلح النيوليبرالية وذلك من أجل إعادة اختراع اليسار.

وإذا تطلعنا إلى العديد من المثقفين والنقاد الذين ينازعون فوكو يمكن القول بأنهم قاموا بانتقاده لموقعه نفسه باعتباره مجتمعا sociétal أكثر من كونه اجتماعيا social أي سوسيو ثقافي أكثر من كونه سوسيو اقتصادي لكونه ركّز على ما هو هامشي كالسجناء والمجانين والشواذ والعاطلين عن العمل وغيرهم.

ورغم الانتقادات الموجه إليه نجد فوكو بأنّه مفكر بامتياز، يمتاز بغزارة فكره وأنه مثير للجدل وما يوّد الوصول إليه من خلال مسائل الّتي ناقشها كالفرد والسلطة والرغبة والخطاب والجنسانية والانضباط والمراقبة والعلوم الإنسانية والاجتماعية ليست سوى ممارسات للسلطة[1].

وحتى الحقب التاريخية ليست سوى قناع خادع يتخفى الخطاب وراءه، وأوجب استعمال أساليب الإكراه والقمع، كل هذا جعل فوكو فريسة سهلة لمن نصبوا أنفسهم حكما لقضايا الفكر في الحضارة الغربية، ويجيب **باول فاين** بأنّ فوكو غير قابل للتصنيف سواءا كان سياسيا أو بنيويا أو فيلسوفا ويقول بأنّه لم يكن يؤمن بماركس أو بفرويد ولا بالثورة ولا بما هو إنه يشمل مجالات فكري شاسع، وأنّه كان جزء من عصره ومن سياق اجتماعي واسع للغاية حتى أصبحت مواضيعه ذات حركات سياسية واجتماعية مهمة[2].

كما تلقى انتقادات عنيفة من طرف العديد من الفلاسفة أمثال **هنري لوفيفر** ولقد قام بنقد فوكو في مجال التاريخ يؤكد بأنّ فوكو عندما يعيد كتابة التاريخ المعرفة ابتداء من القرن السادس عشر فإنه أبقى على ما هو مكتسب في كل مرحلة من مراحل التاريخ، لأن هذه الأشياء المكتسبة هي التي تساعده على تشييد الأنساق التي يريدها، أما عندما يحلل معرفة الغرب خلال القرن السادس عشر فإنّه يحاول ذكر العلاقة المزدوجة أو الصورة المزدوجة بين العالم الصغير والعالم الكبير.

وأنّ أركيولوجيا فوكو عبارة وضعية جديدة لا تهتم لا بالتقدم ولا بالتطور وبالتالي تنفي بدورها فعالية التاريخ، يشير **سيلفي لوبون** في مقال عن فوكو إلى أن أركيولوجيا فوكو تقوم بعزل الأنسقة المتعاقبة والمتجانسة، فالتاريخ متوقف هنا أو بالأحرى لم عد له فرصة المشي لوحده زيادة على هذا فإن فوكو يقتل التاريخ وذلك بتحويله إلى نمو ضروري.

إنّ أركيولوجية فوكو لا يمكن أن تكون ابستمولوجيا بالمعنى الصحيح للكلمة ولا يمكن أن تكون علما لأنّها تفتقر إلى مقاييس العلمية الواجب توفرها في أي نظرية علمية أو منهج علمي، وكلمة عن كتابه" الكلمات والأشياء " يتركنا عاجزين عن التكلم عن معنى معرفة ما وخاصة الّتي ضمّنها في الكلمات والأشياء[3].

يناقش المفكر الفرنسي **جاك بوفريس*** فكر فوكو من خلال كتابه " **نيتشه ضد فوكو**" وفيه يناقش موضوع الحقيقة والمعرفة ويجعلها مفهومين لا يمكن فصلهما عن السلطة يتألف

---

1 دانيال زامورا، **مسؤولية فوكو**، تر محمد كريم، مجلة جاكوسين، العدد12، 16 جوان 2010، ص2.

2 دانيال زامورا، **مسؤولية فوكو**، ص 3.

3 المرجع السابق ، ص104.

* أستاذ فلسفة اللغة والمعرفة في كوليج دوفرانس.

الكتاب من مقالين يمثل المقال الأول ما يشبه مدخلا إلى الإشكالية، أما الثاني الّذي يشكل الجزء الأكبر منه فيقدّم ملاحظات حول مشكلة الحقيقة لدى كل من نيتشه وحول فوكو قارئا لنيتشه، سعى فوكو عبر اختياره فلسفة نيتشه أرضية وبين فوكو إلى التقدم رد مزدوج وحازم على فلسفة فوكو الّتي تنتمي بشكل كبير على أعمال نيتشه، لقد ذكر بوفريس استخدام فوكو لمفهوم غامضا للحقيقة، إذ لا يفرق هذا الأخير بين الحقيقة وبين ما يمكن اعتباره حقيقيا أي بين المفهوم في ذاته وبين حضوره أو الإيمان به، ويرى بوفريس أن استخدامات فوكو للمفهوم في عبارات مثل القول الحق وتاريخ الحقيقة وإنتاج الحقيقة وسياسة الحقيقة وألعاب الحقيقة هنا يتعامل فوكو مع المقبول كحقيقي والمعتقد بأنّه حقيقي وبوصه الحقيقة أي أنّه يعمّم تجربة النسبي والتاريخي على المطلق ليستخلص من ذلك نسبية المطلق نفسه.

يرى بوفريس أنّ قراءة فوكو لصاحب "أفول الأصنام"قراءة انتقائية ومشوهة للفكر النيتشوي الحقيقي ذلك أنّها تقتصر من وجهة نظره على أعمال الفيلسوف ولا تأخذ بعين الاعتبار كتاباته المتأخرة الّتي يراجع فيها مقولاته السابقة ومن بينها مقولاته حول الحقيقة.

وإذ برهن بوفريس على جواب محاجته عبر ملاحظات متتالية حول أعمال نيتشه المتأخرة فإنّه يسعى إلى سحب بساط السند النظري المرجعي من تحت الاشتغال الفكوي، أي أنّه يريد أن هذه محاجات مبنية بالأساس على مغالطة منطقية، هنا ينتقد بوفريس فلسفة فوكو ويصّر بأن قراءة فوكو لنيتشه كان بمنظار واحد وهو منظار الوضعية المنطقية لكن هذا الأخير يعجز عن استيعاب فلسفة فوكو بسبب عدم توافق عدسته مع طبيعتها أو بسبب ضيق حقل رؤيته للفكر.

وكما ينتقد **بوفريس** فوكو في مسألة الحقيقة فيشير إلى عدم فهم فوكو الفرق الموجود بين الحقيقة في ذاتها وبين الحقيقي، إما عدم رغبته في إعلان معرفته أو تسليمه بهذا الفرق أو رغبة منه بالاحتفاظ بقاعدة وابستمولوجية التي تقوم أساسا على ضرورة عدم التمييز بينهما[1].

يتوقف فهم وتعامل فوكو مع الحقيقة في تظليل للقارئ، من خلال الحفاظ على الغموض اللازم لفلسفته كي يصل إلى درجة التناسق والإقناع، إن سؤال فوكو حول الحقيقة لا يمكن طرحه أو العثور على جواب له في حقل المنطق أو نظرية المعرفة الّذي ينتسب إليه بوفريس ذلك أي المنطق ونظرية المعرفة غير قادرين على تجاوز شكلهما[2].

4.3 المبحث الثالث: ردود أفعال الفلاسفة

وبقدر ما كانت الانتقادات كثيرة فإن ردود الفعل ايجابية وسنقتصر على ذكر أهمها:

4.3.1 ردود فعل أنجيل كريمر ماريني(Angelo Kremer Marietti)

تقيّم الباحثة تجربة فوكو المنهجية الابستمولوجية في كتاب " أركيولوجيا المعرفة" فتري بأنّ البحث الأركيولوجي عن المعرفة له أوجه تقارب مع الممارسات الطبية والاجتماعية مما قد يساعد على حدوث ما يشبه الاتفاق بينهم، إنّ فوكو يرى بأنّ الأركيولوجيا لا تعرف بوصفها سيكولوجيا ولا بوصفها سوسيولوجيا ولا حتى بوصفها

[1] محمود الحاج، جاك بوفريس، **فصل آخر في نقد ميشال فوكو** ،أداب وفنون ، 6 نوفمبر 2016، ص1، 2.

[2] محمود الحاج، جاك بوفريس، **فصل آخر في نقد ميشال فوكو** ، ص3.

أنثروبولوجيا، بل بوصفها تاريخا مرتبطا على وجه الخصوص بأنماط ممارسات المقالية وقواعدها الّتي تخترق النصوص دون علمنا.
ترى الباحثة بأنّ هناك مجالات خصبة جدا للمقارنة بين فوكو ونيتشه وخاصة من خلال النتيجة التي توصل إليها فوكو في آخر كتابه " الكلمات والأشياء"وهي إعلانه وقرب نهاية الإنسان أو موته، ويبيّن فوكو إذا ما حاولنا أن نفحص المرآة في ذاتها فإننا سنكتشف الأشياء فحسب، وأما إذا أردنا أن نمسك بها فإننا سترجع في المقام الأخير إلى المرآة التي تعد بمثابة التاريخ العام للمعرفة [1] ،أي أن كلا منهما يؤكد على الأشياء دون الاهتمام بالإنسان وإن اهتمام فوكو بالخطاب وتحليلاته يستند إلى حد بعيد إلى تحليلات الّتي قام بها نيتشه خاصة في مجال اللغة وتأكيده على خاصية الخطابية للغة.

4.3.2 ردود فعل فرانسوا فال

يثمّن فرانسوا فال جهود فوكو خاصة في كتابه " **الكلمات والأشياء"** والتحليلات العميقة والجذرية الّتي قام بها ولقد استحوذ مفهوم الابستمي على قسط كبير من إعجابه، يشير فال إلى أنّ فوكو بيّن لنا كيف أنّ ابستمي معين يمكن أن تولد الإشكالية الإجمالية لمرحلة تاريخية معينة وإمكانية طرحها طرحا متساويا.
لقد بحث ميشال فوكو في الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة على الإنسان ككائن متناهي وإذا كان الإنسان حسب فوكو لا يستطيع أن يفكر بحرية تامة نتيجة وقوعه تحت تأثير ثلاثة عوامل المتمثل في العمل وذلك من ناحية علم الاقتصاد وكذلك نجد الحياة من خلال علم الحياة وأخيرا اللغة المتمثلة في علم الفيلولوجي، كل هذا حسب فال يؤدي إلى جعل وظيفة الابستمي طيلة القرن التاسع عشر ثلاثة الشكل قاعدتها الوضعية وأضلاعها النقد والميتافيزيقا.

- يحاول فوكو أن يبيّن لنا بأنّ موضوع اللاعقل منفصل عن تنامي الفكر وانتشاره.
- بمعنى ثاني سنذكر ملاحظة فوكو بأنّ عملية تحليل المتناهي كانت تدور في النسق البعيد أو العميق للقرن التاسع عشر حول الإنسان بوصفه موضوعا للمعرفة ومادة لها في الوقت نفسه.
- ولكن في اللحظة الّتي يصرف فيها فوكو عملية التشابه ويبعد أي أمل لدمج الأخر في الهو، فإنّه سيكون من الخطأ أن نعتقد أنّه سيفكك إشكالية المزدوج وتأسيس الحركة السابقة نفسها[2].

4.3.3 ردود فعل ادوار مورو سير

يوضح ادوار بأن فوكو فتح لنا مجالات معرفية متعددة في مختلف مؤلفاته وهذا ما نستطيع تسميته بالحقل الابستمولوجي لدى ميشال فوكو، لقد وصف لنا التحولات التي تحدث في الساحة المعرفية والتي يبدو معها الإنسان محدودا في مجالات معينة كتلك التي حددها نظام الأشياء في العصر الكلاسيكي وهي القواعد العامة وتحليل الثروات والتاريخ الطبيعي.

---

[1] عمر مهيبل، **البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر**، ص 108.
[2] عمر مهيبل ، **البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر**، ص 106، 107.

أما من خلال المنهج الّذي اتبعه فوكو في سبيل أركيولوجية الخاصة فإنّ مورو سير يتمنى أن يجعله أكثر صرامة وأكثر دقة وأن يكون كعالم الآثار الحقيقي الّذي تتجلى فيه صفتين الاستمرار والصبر[1].

4.3.4 ميشال دوسارتو

تنصب دراسات **ميشال دوسارتو** (1925- 1986) حول ممارسة التاريخ ووظيفة المؤرخ، لقد اشتهر ميشال دوسارتو في مجال التاريخ ويقترح في كتابه" **التاريخ**" مقارنة جديدة للعملية التأريخية، وفي نظره التاريخ ليس مفهوما مجردا فقط بل هو فعل، فعل التاريخ هو صناعة كما قال دوسارتو وفي نظر الإنسان لا يميّز بالتفكير فحده بل بالفعل أيضا وذلك من أجل بلوغ الحقيقة.

يثمّن ميشال دوسارتو جهود فوكو من خلال المنهج الأركيولوجي وبفضله استطاع فوكو الإجابة عن تساؤلاته: كيف وإلى أي مدى قد يكون ممكنا التفكير بنمط مختلف؟ يجيب فوكو التفكير بنمط مختلف هو البحث عن سياسة جديدة للفكر لا يتلخص فقط في ما يخزن عقليا.

يؤكد الباحثين بأنّ ميشال دوسارتو من أتباع فوكو وكما تظهر الدراسات بأن أعمال دوسارتو مثل أعمال ميشال فوكو خاصة من خلال تلك الدراسات حول الممارسات النقابية والسلطة والعقل والتاريخ والخطاب وغيرها، يشير ميشال دوسارتو إلى أنّ فوكو قد مارس تأثيرا معتبرا في تعديل وتطوير فكري في مختلف المواضيع، لقد اعتبر دوسارتو ميشال فوكو بأنه الفيلسوف ذات اطلاع واسع وأنه عبقري خاصة في المسائل التي صادفها والتي ناقشها إذ أعتبر السجون حاضرة في كل مكان وبقوة خاصة في المنشآت كالدولة والمدرسة إلى الثكنة مرورا بالملاجئ الصحية، كذلك مجال الخطاب الّذي اعتبره دوسارتو خطاب فوكو خطابا قويا، كما عمل فوكو على إدخال فكرة الّذات في نطاق واسع من التفكير وخاصة حول ممارسات االخطابات وقراءته لحضارة الغربية[2].

---

[1] ادوار موروسير ، **المفكر الفرنسي المعاصر**، تر د عادل العوا، ط1، (منشورات عويدات، بيروت، 1978)، ص 150.

[2] محمد بكاي،**أرخبيلات ما بعد الحداثة**، بدون طبعة،(المنهل للنشر، لبنان،2017)، ص 215.

خاتمة

---

5 خاتمة

يعّد ميشال فوكو أشهر فيلسوف فرنسي في القرن العشرون ، ورغم مماته سنة 1984م إلا أنّ فكره لم يمت معه، على العكس فإنّه لا يزال يثير المناقشات والتأمل الفلسفي وأنّ فكره امتدد عبر العالم خاصة أمريكا وأوربا وحتى في الجامعات، وبهذا يبقى فكر فوكو ناتج عن تجربته الشخصية وفكر سابق عليه، تجربة كادت أن تؤدي به ولكنه استطاع أن يتجاوزها(مرحلة جنونه) حتى أصبح أقوى فيلسوف في عصره وأكبر فيلسوف في جيله، وهنا تكمن عظمة ميشال فوكو فمن الشّخص الّذي ينتصر على نفسه ويستطيع أن ينتصر على كل شيء رجل معقد مريض نفسيا استطاع أن يصبح كاتبا وفيلسوفا ومفكرا عبقريا وأستاذا في الجامعة الفرنسية.

وتكمن الميزة الأساسية لفكر وفلسفة فوكو في أنّه كان عكس التطور الفكري السابق عليه بحيث معظم الفلاسفة كانوا ينظرون إلى مختلف المشكلات من زاوية العقل، أما فوكو فراح ينظر إليها من زاوية الهوامش وبهذا اكتشف أشياء لم يراها الآخرين من قبله.

وأهم النتائج التي استنتجناها من خلال بحثنا نجد:

1_ يقول ميشال فوكو:" **أنا ببساطة نيتشوي، أسعى بقدر المستطاع في عدد من المسائل إلى أن أنظر فيما يمكن عمله في هذا المجال،بواسطة نصوص نيتشه،أو بواسطة أطروحاته، إنّني نيتشّوي لأنها الجينالوجية".**

لقد ساهم فكر نيتشه في تأثيره وبلورة فكر فوكو وذلك في جميع مباحثه، وأنّه مهما بلغت درجة تفكير الفيلسوف فإنّ المفكر أو الفيلسوف يبقى مرتبط بأفكار أخرى، و لقد ساعدت أفكار نيتشه فوكو على فهم الواقع وما يحيط به وعمل على تفكيك وتحليل بنية الحضارة الغربية.

2- لقد حاول فوكو تحديد القطيعة الإبستمولوجية، وعمل على إظهار التغيير في المفاهيم وفي تاريخ الأفكار وتبيان لكيفية دراسة الماضي، وإنّ الحديث عن القطيعة في الفكر لا يمكن أن تتحقق بشكل موضوعي وذلك أنّ الفكر في حوار مستمر مع الفكر الّذي سبقه ولو بآلاف السنين، والدليل على ذلك مازالت أفكار سقراط،أرسطو، ديكارت سبينوزا وغيرهم متداولة إلى يومنا هذا، والمعنى الّذي أشير إليه هو أنّ الحوار بين المفكرين أو

الفلاسفة لا يشترط أن يكون مباشرا، بل يكون أيضا عبر الأفكار وهذا ما أكّدناه في مذكرتنا، لهذا تتجلى حضور فكر نيتشه في فكر ميشال فوكو بوضوح من خلال:

- إحداث ميشال فوكو تغييرا جذريا على مستوى الفلسفي، والّذي سمح له بفتح آفاقا جديدة و كذلك استحماله لطريقة مختلفة في التفكير وذلك من أجل حل المسائل الّتي عرقلته خاصة موضوع المعرفة والسلطة.

_ استطاع ميشال فوكو أن يأتي بنظرية معرفية جديدة، والّتي تتجلى بشكل واضح في كتابه الشهير" الكلمات والأشياء"، ففيه اكتشف بأنّ كل عصر له خصائصه العلمية وممارساته السلطوية وكما توصّل إلى عدم وجود لحقيقة مطلقة صالحة لكل العصور.

- بفضل أفكار نيتشه استطاع ميشال فوكو أن يكتشف عن الملابسات السلطة لكل أنواع المعرفة السائدة في عصره، وتوصّل إلى أنّ المعرفة هي بحد ذاتها سلطة وهذه الأخيرة تكون قادرة على جلب المعرفة إلى جانبها، فالإنسان عندما يتوصل إلى المعرفة يستطيع أن يتحول إلى نوع من السلطة في مجتمعه.

_ **<u>في مجال الحفر المعرفي:</u>**

حاول ميشال فوكو تحليل بنية الحضارة الغربية وتعرّف على أنواع الخطابات وذلك بواسطة الحفر في طبقاتها وتفكيك بنياتها والكشف عن طياتها.

3_ إنّ التأثير بالفيلسوف لا يعني إطلاقا استنساخ لفكرة أو يكون صورة لطبق الأصل عن فلسفته أو فكره، فالمفكر الحق هو الّذي يقرأ و يفهم ويبدع ويأتي بأفكار جديدة ويحمل على حل مختلف المسائل الّتي تعرقله، وهذا ما قام به ميشال فوكو عندما تأثّر بفكر نيتشه. ميشال فوكو لم يكن مجرد قارئ لفكر نيتشه فحسب وإنّما كان محلل ومبدع لفكر سابق عليه لقد استوعب فوكو الدرس النّيتشوي و الّذي ساعده على ترك بصمته في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر، حتى أعتبر من أبرز الفلاسفة الّذين استمعوا إلى صوت المكبوتين والمهمشين والمجانين والسجناء وفجّر مكبوتات الخطاب الفلسفي، فأصبح يستمع إلى لوغوس الجنون ولوغوس المريض ولوغوس المساجين ولوغوس الجنس وغيرها، وكما عمل على استنباط العلاقات الّتي جعلت السلطة بمثابة الحلقة الرئيسية

والتي ربطت بين الجنون والمريض والمسجون والمعرفة والذّات والتاريخ دون إهمال دور الرقابة والمعاقبة.

4_ لقد اطلع ميشال فوكو إلى مسألة المعرفة والحقيقة من خلال فكر نيتشه، ولقد أشار إلى أنّ هاتين المسألتين لا تنفصلان عن السلطة، ولقد كان فوكو يقول دوما بأنّ ما يشغلني هي علاقات الموجودة بين الحقيقة والسلطة والمعرفة والسلطة، فهو سعى إلى التفكير في هذه العلاقات انطلاقا من الأنموذج النيتشوي.

5_ لقد تأثّر ميشال فوكو كثيرا بفيلسوف المعجزة " نيتشه" خاصة من خلال طريقة الجينالوجية، والتي تبحث في أغوار التاريخ البشري، إذ لم يكن سعي نيتشه نحو تنظيم عقلاني لأحداث التاريخ، وخلق لهم زمني منطقي لأحداث بل كان يبحث دائما عن الأصل في كل شيء، أما فوكو فقد اعتمد في مسعاه بالبحث وتفكيك التاريخ وذلك بفضل المنهج الأركيولوجي مستعينا بالخطاب من جهة ومن جهة أخرى لكيفية تطبيق المنهج على عدّة مواضيع وخاصة مواضيع الاجتماعية كالجنون المرض والجنس والسجن والذات وغيرها.

6_ يظهر حضور فكر نيتشه في فكر ميشال فوكو في فهم هذا الأخير ما كان سائدا في عصره، ولا شك أنّ للطريقة الجينالوجية النيتشوية أثرا كبيرا و الّذي ساهم في تشكيل فكر فوكو الفلسفي، وهو ما بيّنه هو بنفسه في قوله:**" إنّ الأركيولوجيا عندي مدينة للجينالوجيا النيتشوية أكثر مما هو مدينة للبنيوية بحصر المعنى".**

وهذا ما دفعنا إلى أن نكتشف حضور فكر نيتشه في الفلسفة الفرنسية خاصة لدى ميشال فوكو وذلك بمختلف المفاهيم وكذلك إستراتيجية الجينالوجيا الّتي امتاز بها نيتشه، وكذلك مشروع الفكري لفوكو ما هو إلا إعادة الروح لفلسفة نيتشه.

7_ كذلك يظهر بعد نيتشه في فكر فوكو من خلال ما أشار إليه **جون ليوتار** في كتابه" **la pensée** " بأنّ الفلسفة الفرنسية المعاصرة والّتي تندرج في إطار ما أصبح يعرف اليوم بفكر ما بعد الحداثة ما هي إلا تكرار بشكل مبالغ فيه للفكر الألماني في أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرون، وخصوصا فلسفة فريدريك نيتشه ومارتن هيدجر ويقدّم لنا الكتاب مجموعة من المعادلات تتمثل في:

"جان لاكان يمثل هيدجر زائد فرويد، وكذلك دولوز يساوي نيتشه زائد ماركس،أما دريدا فيمثل نيتشه زائد هيدجر، وأخيرا ميشال فوكو يشمل هيدجر زائد نيتشه".

8_ يشير الباحثين إلى أنّ كتاب فوكو الشهير **" تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي"** ما هو إلا تؤثره بجنون نيتشه وفيه دافع عنه.

9_ استجابة ميشال فوكو للائحة التي نادى بها فريدريك نيتشه في قوله:" لماذا لا نؤرج لشهوة وللألم وللذّة وللشفقة وللجنون والجنس وللعقوبة وغيرها"، بفضل أفكار نيتشه استطاع ميشال فوكو أن يفجّر الخطاب الفلسفي ويدفع بالسؤال الفلسفي إلى اقصى درجاته، ولقد استمع إلى صوت المهمشين كالمجانين والمرضى والمسجونين.

لقد وصل أثر فكر فريدريك نيتشه إلى العالم وبالخصوص الفلسفة الفرنسية بشكل خاص خلال السبعينيات والثمانيات، حيث كان لآراءه وإعلانه عن موت الإله صدى كبيرا وهذا ما دفع الباحثين والمؤلفين والفلاسفة إلى فهم فكره.

وإذا ما أردنا أن نذكر أسماء الّذين تأثروا بفكر فريدريك نيتشه في القرن العشرين فإننا نجد الرسامين والموسيقيين وكتاب المسرح والشعراء والروائيين وعلماء النفس وعلماء الاجتماع والمنظرين الأدبيين والمؤرخين والفلاسفة ومن بينهم نذكر:

ألبر أدلر، جورج باتاييل، مارتن بوبر، ألبر كاموا، أي إم سيوران، جاك دريدان سيغموند فرويد، دولوز جيل، أندريه جيد،كارل يونغ، أندريه مالرو، توماس مان، هنري لوسين منكن، ماكس شيلر وغيرهم.

الملاحق

6 الملاحق

تثبيت المصطلحات:

العدمية:Nihilism

مشتق من اللفظ اللاتيني"Nihil"، ويعني عدما أو لا شيء.

البنيوية: Structuralism

مشتقة من البنية "structure "، والّذي يقوم على اعتباره مجموعة من العلاقات الثابتة بين عناصر متغيّرة، يمكن أن ينشأ على منوالها عدد لا حصر لم من النماذج، وكما تستمد عناصرها من الداخل وليس من الخارج.

تعايش مقال العقل مع مقال المجنون:

قيمة العصر الكلاسيكي عند فوكو هي اللّحظة الديكارتية، ولقد جاءت نتيجة سيادة العقل، فالعقل الديكارتي لا يملك المقولة الأساسية للجنون، وما استنتجه فوكو بأنّ الذّات لا تستطيع أن تجن، لأنّ ماهية الذات هو التفكير لهذا يرفض ديكارت كل ما يحيل إلى غبر العقل وفي نظره الذّات الّتي تشك تملك القدرة على الوصول إلى المعرفة ومن ثم هذا الشك ينفي كل ما لا يعود للعقل، لهذا يلخص ديكارت السيرة الفكرية للذات في مقولته الكوجيتو " **أنا أفكر إذن أنا موجود"**، وبهذا لا يستطع الإنسان أن يكون مجنونا، فسلطة ديكارت أصبحت فلسفة الحكام حتى السلطة السياسية تستند إليها.

العقل شيء أساسي في الإنسان فالخطر الأساسي الّذي يفترض الإنسان الديكارتي هو الوهم الداخلي الذي سيطر عليه ولا يهتم بالوهم الخارجي، وإذا أمكن للذات أن تسوس للإنسان فهو مصدر الخطر، فالمجنون فقد شيئا أساسيا عنده إلا وهو اللّغة، وبل فقد أيضا حق الكلمة، فهذا المجنون الّذي نفاه الفكر الديكارتي من وجوده وكأنّه أصبح لا كلام له ولا وجود له واللغة في نهاية الأمر علامة الوجود، فإذا كان الجنون في عصر النهضة يعتمد على لغة تراجيدية فإنه في العصر الكلاسيكي أصبح بلا لغة وبعدما سلب منه العقل حق الكلام وبعدما رمى به ديكارت خارج الذّات المفكرة، ومن ثم لم يبقى للمجنون لغة العقل الّتي تتعامل مع لغة بوصفه مريضا، أحمق، معتوه، أبله.

اكتشاف المجنون من خلال كلامه ولغته وليس من خلال لغتنا، فالمجنون ما يقوله هو التعبير عن نفسه.

الرقابة: control

ظهر هذا المصطلح في كتاب فوكو" المراقبة والمعاقبة"،ويقصد منه مجموعة من التقنيات الموظفة من طرف السلطة من أجل جعل الأفراد تحت الحراسة التامة وهذا خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر، فالرقابة الاجتماعية لا تتجسد فقط في السجون وإنّما أيضا في المؤسسات الخاصة بالعلاج النفسي والعقلي.

الخطاب: déscoure

من الناحية اللغوية: يعني عملية فكرية تجري من خلال سلسلة عمليات أولية جزئية ومتتابعة وبصورة خاصة، وهو تعبير عن الفكر وتطوير له.

كذلك يمثل الخطاب جمل من الكلمات أو العبارات تكون متسلسلة، ويمثل مفهوم الخطاب لدى فوكو مفهوما يحتل مكانة متميزة، ولقد وظّفه فوكو في قراءته لبنية الحضارة الغربية بحيث أخذ أشكالا وأنماطا عدة خاصة في مواضيع الجنون والمرض والسجن والسلطة والمعرفة والجنس والحقيقة.

السلطة:pouvoir

السلطة هي سلطة إستراتيجية قائمة على مجموعة من العلاقات المتشابكة والمتداخلة فيما بينها، أي أنها عبارة عن شبكة من الممارسات والنظم الّتي يتداخل فيها ما هو اجتماعي بما هو اقتصادي وما هو سياسي وما هو معرفي أيضا،فالسلطة إذن ما عادت ملكية أي القول بأنّها في يد الطبقة أو فئة من المجتمع، بل إنّها ملك للدولة، يتجاوز فوكو هذه النظرة إذ يشير إلى أنّ علاقات السلطة هي علاقات إنتاجية قبل كل شيء، لهذا سعى إلى تبيان الوجه الجديد الّذي اتخذته السلطة وعلى ما يميز بين الحاكم والمحكوم والغالب والمغلوب وعلى غرار ذلك يرى فوكو أنّ السلطة ينبغي لها أن تطرح من خلال مفاهيم جديدة أي باعتبارها إستراتيجية وأنها لديها نوع من المحايثة و الإجرامية، إنها إستراتيجية لأنّها ليست في يد ملك واحد، وهي محايثة لأنها تخرق أجزاء المجتمع كله،وهي إجرامية لكونها تمثل مجموعة من الإجراءات الواضحة والخفية في الوقت نفسه، لذلك يقول فوكو:" **السلطة بمثابة منزلة وهي شبكة منتجة تمرّ عبر الجسم الاجتماعي كله، أكثر مما هي سلمية ووظيفتها القمع".**

توصّل فوكو بعد الدراسة الّتي أجراها حول السلطة في مختلف أشكالها إلى ميزة أساسية والّتي ترتكز على مفهوم جديد لها و ألا وهو ميكروفيزياء السلطة، والّذي يهدف إلى إظهار الخطاب السلطوي في مختلف أرجاء الشبكة الاجتماعية، ولقد

يبيّن كذلك أن السلطة لا تعني بأجهزة السيطرة الحاكمة أو بمؤسسات الدولة فحسب بل هي تتخطى هذه التسميات والتي تشمل مختلف فعاليات الأجهزة الاجتماعية.

_الأرشيف: Archive

حسب فوكو يمثل المادة الأساسية التي ساعدته على معرفة بنية الحضارة الغربية ويسميه فوكو بغرب الظلام ألا وهو الأرشيف، ويعرفه فوكو في كتابه" **الأركيولوجيا**

المعرفة" بأنّ:" النّسق الّذي يحكم ظهور المنطوقات باعتبارها أحداثا مفردة أو هو نسق العام لتكوين المنطوقات وما يطرأ عليها من التحول.

الجنون: Folie

*_ **لغة:** جن، أجن_ جنون، كلمة مجنون " Fou" كلمة مشتقة من الأصل اللاتيني " folies".

*- اصطلاحا: حسب قاموس لالاند هو: لفظ عام مبهم جدا.

والجنون هو عدم القدرة على السيطرة على العقل، أو هو عبارة عن مجموعة من السلوكات الشاذة التي تميّز أنماط من السلوك الشاذ الّتي يقوم بها الأشخاص بدون وعي وإدراك ورغما عن إرادتهم، والّذي يؤدي بدوره إلى انتهاك المعايير الاجتماعية وقد يصبح هؤولاء الأشخاص يشكلون خطرا على أنفسهم وعلى الآخرين، وهي حالة متباينة من الاضطراب العقلي الّتي تندرج في مجال الأمراض النفسية.

لقد آمن فريدريك نيتشه بالجنون ويقول بأنّ المرء الحقيقي هو طريق الجنون، ولا يكتسب الإنسان هويته إلا بفقدانه هويته أما عن ميشال فوكو فيقول بأن عالم العقلاء وعالم المجانين لا يمثلان عالمين قائمين منذ نشأة الخليقة بل هما عالمان تم تشكيلهما وتحديدهما من قبل البيئة الثقافية المتفاعلة داخل المجتمع.

المنطوقEnoncé: هو الجملة الّتي يمكن أولا يمكن أن ينسب إليها المعنى، أو هو القضية الّتي يمكن أن نقبل أولا تقبل قيمة الصدق.

الرتابة:Monotonies

كلمة يونانية والتي تعني فريدة، ورتابة مصدرها رتب، برتابة بمعنى بطريقة نظامية أو روتينية أو ميكانيكية.

علم السيميوطيقا: علم معرفة العلامات، يرتكز أساسا على ادراك المفاهيم في انتاج منطق ونقد من نوع جديد.

والسيميوطيقا كلمة مشتقة من أصل يوناني، ويعرفها دي سوسير في محاضرته بأنّها تتكون من مفردتين الأولى semieom التي تعني العلامة أو الاشارة و logos التي تعني العلم أو المعرفة أي أنّ السيميوطيقا هو علم العلامات ذات الدلالات المعرفية.

الأعـــــــــــــــــــلام الفلاسفة:

فريدريك نيتشه: *f Nietzsche*

ولد عام (1844_1900) فيلسوف ألماني، ذو نزعة اللاعقلانية، صاحب رسالة حضارية تنبأ بمستقبل البشرية، قام بنقد جذري الحداثة من أهم مؤلفاته:" مولد المأساة" "الإنسان مفرط في انسانيته"،" هكذا تكلم زرادشت"،" وراء الخير والشر"وغيرها.

ميشال فوكو: *M Faucoult*

فيلسوف فرنسي، ولدعام (1926_1984)، يعّد من اهم المفكرين الفرنسيين في النصف الثاني من القرن العشرون، كما يوصف بأنّه الفيلسوف الأكثر تأثيرا في فلاسفة ما بعد الحداثة، لقد قام بتعرية الحضارة الغربية بفضل منهجه الأركيولوجي مبرزا فيه آليات

الاكراه التي مارستها السلطات على المجتمع الغربي، من اهم مؤلفاته:"تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي"،" مولد العيادة"،"المراقبة والمعاقبة"،" الكلمات والأشياء"، تاريخ الجنسانية"،" أركيولوجيا المعرفة".

ميشال ري: Michel Rey

ولد عام 1930م، سياسي فرنسي، شغل منصب الوزراء، وهو عضو في الحزب الاشتراكي.

جياني فاتيمو:G Vattimo

ولد عام 1936م، فيلسوف سياسي بايطاليا، أستاذ الهيرمينوطيقا، من اهم مؤلفاته:" نهاية الحداثة"،"تفكيك الصهيونية"،" مدخل إلأى هيجل".

دانيال زمورا:

باحث بلجيكيي، يحضر رسالته في الدكتوراه عن الوضعية العامة في بلجيكا، شارك في كتاتة في فصل من الكتاب بعنوانّ نقد فوكو، سنوات الثمانيات واغراء النيوليبرالية".

باول فاين:Paul Veyne

فيلسوف ومؤرخ فرنسي(1930_2022)، متخصص في الحياة اليومية في روما من اهم مؤلفاته:" كيف نكتب التاريخ"،" هل اعتقد اليونانيون بأساطيرهم"،" الجنس والسلطة في روما".

جاك بوفريس Jacqu Bouveresse:

فيلسوف فرنسي ولد عام 1940م تعلق بفلسفة فيغنشتاين الفلسفة التحليلية وفلسفة اللغة والعلوم والمنطق، تقوم فلسفته على نوع من العقلانية، من أهم مؤلفاته: "الفيلسوف والواقع"،" الطلب الفلسفي"،" الإنسان المحتمل".

هنري لوفيفر:Hinri Lefevre

ولد عام (1901_1991) عالم اجتماع، مخطط حضري وفيلسوف فرنسي،اشتهر بنقده للحياة اليومية ومحاول ادخال مفاهيم الحق في المدينة وانشاء فضاء اجتماعي.

شرح المفاهيم:

موت الالاه: دعوة إلى تحطيم القيم والقضاء على مفهوم الخير والشر،هدف نيتشه من خلال مسألة " موت الالاه" هو رفض كل ما هو مطلق وكل القيم المستمدة من عالم الميتافيزيقاوضرورة الاهتمام بالعالم المادي وحده.

التعذيب: هو تحمل بعض الأعباء والحرمان من المنافع، ويكلف العقاب تحت طائلة القانون، أي اعادة التفكير في ممارسة العقاب تحت حكم القانون.

الكانطية الجديدة: حركة فلسفية ظهرت في ألمانيا في منتصف القرن التاسع عشر، جاءت ضدّ الميتافيزيقا التأملية وضد المادية الدغمائية. كما تسعى إلى تجديد اقرار محدودية المعرفة الإنسانية في اطار فلسفة كانط.

قائمة
المصادر والمراجع

7 قائمة المصادر والمراجع

- **القائمة المصادر باللغة العربية:**

1. فوكو ميشال ،" **الكلمات والأشياء"**، تر مطاع الصفدي، ط2، دار الفرابي للنشر والتوزيع بيروت2013.
2. فوكو ميشال ،" **جينالوجيا المعرفة"**، تر أحمد السطالي وعبد السلام عبد العالي،ط2، دار توبقال للنشر، المغرب،2008.
3. فوكو ميشال ،" **هم الحقيقة"**، تر مصطفى المسناوي، ط1، منشورات الاختلاف الجزائر2006.
4. فوكو ميشال ،**"تاريخ الجنسانية"**، تر محمد هاشم، بدون طبعة، إفريقيا الشرق، المغرب 2006.
5. فوكو ميشال،" **إرادة المعرفة"**، تر مطاع الصفدي، بدون طبعة، مركز الإنماء القومي بيروت، 1990.
6. فوكو ميشال،" **الفرد والمجتمع"**، تر حسن موسى، بدون طبعة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2009.
7. فوكو ميشال،" **المراقبة والمعاقبة"**، تر مطاع الصفدي، بدون طبعة، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990.
8. فوكو ميشال،" **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي"** تر سعيد بنكراد، ط1، مركز الثقافي العرب، المغرب، 2006.
9. فوكو ميشال،" **حفريات المعرفة"**، تر سالم يافوت، بدون طبعة، مركز الثقافي العربي دار البيضاء، 1987.
10. فوكو ميشال،" **حوارات ونصوص"**، تر محمد سبيلا، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع سورية،2006.
11. فوكو ميشال،" **دروس 1972-1973"**، تر محمد ميلاد، ط1، دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب، 1994.

12. فوكو ميشال،" **نظام الخطاب"**، تر محمد سبيلا، بدون طبعة، دار التنوير بيروت بدون سنة.

فوكو ميشال،**"يجب الدفاع عن المجتمع"**، تر الزواوي بغورة، ط1، دار الطليعة للنشر بيروت،2003.

قائمة المصادر باللّغة الفرنسية:

1. Foucault Michel**,"** **Malade mentale et psychologie**",p u f,1954.
2. Foucault Michel, '**Dits et écrits'**,1954-1975, Gallimard, paris.
3. Foucault Michel**,"l'archéologie de savoir**, édition Gallimard,paris, 1969.
4. Foucault Michel,"**Naissance de la clinique**", p u f,1963.
5. Foucault Michel**,"Surveille et punir**", édition Gallimard,paris,1975.
6. Foucault Michel**;"Histoire de la folie à l'àge de classique**",édition Gallimard,paris,1972..

- قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

1. أبو السعد عطيات، **"الحصاد الفلسفي للقرن 20"**، بدون طبعة دار المعارف للنشر و التوزيع ، الإسكندرية، بدون سنة.
2. ادوار موروسير،" **الفكر الفرنسي المعاصر"**، تر عادل العوا،ط1، منشورات عويدات بيروت، 1978.
3. أوليفرليمان،" **مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرين"**، تر مصطفى محمود محمد، بدون طبعة، عالم المعارف للنشر، الكويت، 2004.
4. بنترادراسل،" **تاريخ الفلسفة الغربية"**، تر محمد فتحي الشنطي، بدون طبعة،الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، 1977.

5. بيرمونتيسليو،" **نيتشه وإرادة القوة"**، تر جمال مفرج، ط1، منشورات الاختلاف الجزائر، 2010.
6. جعفر عبد الوهاب،" **البنيوية بين العلم و الفلسفة عند ميشال فوكو"**، بدون طبعة دار المعارف للنشر،الإسكندرية، 1989.
7. جمال مفرج،" **نيتشه الفيلسوف الثائر**،" بدون طبعة إفريقيا للنشر و التوزيع 2003.
8. جودة محمد إبراهيم أبو خاص، **"المنظور الفلسفي للسلطة عند فوكو"**، ط1
9. حسن سخري، " **فوكو قارئا لديكارت"**، ط1، مركز الإنماء الحضاري،1997.
10. حنفي حسن،" نيتشه **وجذور ما بعد الحداثة"**، تحرير أحمد عبد الحليم عطية ط1، دار الفرابي، بيروت، 2010.
11. حيدر ناظم محمد،" **إشكالية الفلسفة من النقد الأركيولوجي إلي الإبداع المفهومي"** ط1 دار الروافد لناشرون، بيروت،2005.
12. دريدا جاك، **"الكتابة و الاختلاف"**، تر كاظم جهاد، ط2، دار توقبال للنشر والتوزيع، المغرب 2000.
13. دولوز جيل، **"نيتشه"**، تر أسامة الحاج، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت 1998.
14. ديكارت روني، **"تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة "**، تر كمال الحاج، بدون طبعة منشورات عويدات ، بيروت، 1984.
15. روسو جون جاك، **"أصول التفاوت بين الناس"**، تر عادل زعنير، بدون طبعة مؤسسة الهندي للنشر، 2012.
16. زكريا إبراهيم، **"مشكلة البنية"** ، ط1، مكتبة مصر للنشر، القاهرة، 1976.
17. زكريا فؤاد،**"نيتشه"**،ط1، دار المعارف للنشر، القاهرة، بدون سنة.
18. الزواوي بغورة ،" **مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو"**، بدون طبعة، مركز الأعلى للثقافة، 2000.

19. السيد ولد أباه، **"التاريخ و الحقيقة لدي ميشال فوكو"**، بدون طبعة، دار المنتخب العربي، بيروت ،1994.
20. شعبان ياسر،" **فوكو"**، بدون طبعة، مؤسسة الكنوز للنشر والتوزيع، القاهرة بدون سنة.
21. عباس فيصل،" الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة "، ط1، دار الماهل للطبعة،اللبناني، 2005.
22. عبد الرحمان البدوي،" **موسوعة الفلسفة"**، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، 1984.
23. عبد الرحمان بدوي،**"نيتشه"**، بدون طبعة، وكالة المطبوعات للنشر والتوزيع بيروت،1985.
24. عبد الرزاق الدواي، **"موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر"**، بدون طبعة دار الطليعة للطباعة، بيروت، 2000.
25. عبد العزيز العيادي،" **ميشال فوكو،المعرفة و السلطة"**، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر ،الإسكندرية، 1994.
26. عبد القادر بشته،" **الابستمولوجيا"**، ط1،دار الطليعة للنشر، بيروت، 1990.
27. عطية أحمد عبد الحكيم،" **ما بعد الحداثة والتفكيك"**، بدون طبعة، دار الثقافة العربية، القاهرة،2008.
28. علاء طاهر،" **نهايات الفضاء الفلسفي"**، ط1، مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع،2005.
29. علي جعفر صفاء عبد السلام،" **محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه"**، بدون طبعة، دار المعارف للنشر والتوزيع، بيروت، 2001.
30. عمر مهيبل،" **البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر"**، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر، بن عكنون،2012.
31. غادمير هانز جورج ،" **طرق إلى هيدجر"**، تر ناظم على حرب، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2002.

32. فوزي العلوي،"**الحفر في أركيولوجيا العدمية لدي ميشال فوكو**"، ط1، دار المعارف الحكيمة للنشر، بيروت، 2014.
33. فوزية ضيف الله،" **كلمات نيتشه الأساسية، ضمن قراءة هيدجرية**"، ط1 منشورات ضفاف، لبنان، 2015.
34. كامل فؤاد،" **أعلام الفكر الفلسفي المعاصر**"، ط1، دار الجيل للنشر والتوزيع بيروت، 1993.
35. كريس هوروكس، و زوران جيفيتيك، " **فوكو للمبتدئين**" ،تر غاندي المهتار، ط1 مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ،2000.
36. كيت الناشي،" **السسيولوجيا السياسية المعاصرة، العولمة و السياسة و السلطة**" تر حيدر حاج إسماعيل، ط1، المنظمة العربية للنشر و الترجمة، بيروت، 2013.
37. لاكروا جاك، "**دلالة الجنون في الفكر ميشال فوكو**"، مقتطف من كتاب نظام الخطاب.
38. ماهر شفيت فريد ،" **قطوف من أمهات الكتب**"، بدون طبعة. الهيئة المصرية العامة للنشر، مصر،2004 .
39. مايكل تاثر،" **نيتشه**"، ط2، دار الكوكب للعلوم والنشر، الجزائر، سنة 2018.
40. محمد المازوغي،" **في نقد ما بعد الحداثة، فوكو والجنون الغربي**"، ط1، منشورات كارم للنشر، تونس، 2010.
41. محمد أمين الجيلالي، " **ميشال فوكو، و السؤال السلطة**"، بدون طبعة ، مؤمنون بلا حدود و دراسات و أبحاث، الجزائر، 2016.
42. محمد بكاي،" **أرخبيلات ما بعد الحداثة**"، بدون طبعة، دار المنهل للنشر، لبنان 2017.
43. محمد صفار،" **تفكيك مفهوم القوة عند ميشال فوكو**"، بدون طبعة، مكتبة الإسكندرية للنشر والتوزيع، بدون سنة.
44. محمد طواع،" **هيدجر والميتافيزيقا**"، بدون طبعة، إفريقيا الشرق للنشر المغرب،2002.

45. المركز العربي لأبحاث و دراسة السياسات، قطر ،2017.
46. نور الدين الشابي،" **فوكو قارئا لنيتشه**"، ط1،كلمة النشر للتوزيع، تونس 2016.
47. نيتشه فريدريك ،" **العلم المرح**"، تر حسان بورقية، و محمد الناجي، بدون طبعة إفريقيا الشرق للنشر و التوزيع، دار البيضاء، بدون سنة.
48. نيتشه فريدريك ،"**الفلسفة في العصر المأسوي الإغريقي**"، تر سهيل القش،ط3 2005.
49. نيتشه فريدريك، "**هكذا تكلم زرادتشت**"، تر علي مصباح، ط1، منشورات الحمل ألمانيا ،2007.
50. نيتشه فريديريك،" **هذا هو الإنسان**"، تر على مصباح، ط1، منشورات الجمل للطباعة و النشر، ألمانيا، 2003.
51. هيجل ،" **دروس في فلسفة التاريخ**"، تر إمام عبد الفتاح إمام، ج1، دار التنوير بيروت، 1983.

هيدجر مارتن،" **نداء الحقيقة**"، تر عبد الغفار المكاوي، بدون طبعة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب،1977.

- المراجع باللغة الفرنسية:

1. Deleuz Gilles, Foucault, édition Paris.

قائمة المقالات :

قائمة المقالات باللغة العربية:

1. دانيال زاموارا،" **مسؤولية فوكو**"، ترجمة محمد كريم، مجلة جاكوسين، مركز الإنماء في 16- جوان- 2010.
2. رضوان جودت زيادة، "**مابين فوكو ونيتشه والأصول البعيدة للفكر ما بعد الحداثة**" جريدة المستقبل، العدد 20، 2007.
3. سعيد ادوارد،" **ميشال فوكو**"، منير حر للثقافة والأدب، العدد 3428، سنة 2006.

4. مبادرة الباحثون السوريون،"**الفلسفة والعلوم الاجتماعية، ميشال فوكو والفكر الإنساني**".Sys,res.com.
5. محمد حلمي عبد الوهاب،" **ميشال فوكو والنزعة الإنسانية"**، جريدة المستقبل، بيروت العدد 3586، سنة 2010.
6. محمود الحاج،" **جاك بوفريس، فصل آخر في نقد ميشال فوكو"**، آداب وفنون،2016.
7. هاشم صالح،" **فوكو فيلسوف القاعة الثامنة"**، مجلة الكرمل، العدد 12، 1984.
8. هاشم صالح،" **نيتشه في مرآة الفكر الفرنسي على هامش كتاب جاك لوريدير"** مطبوعات الجامعة الفرنسية، باريس، العدد 27، ص 2

قائمةالمقالات باللغة الأجنبية:

1. Pierre Bourdieu,"**le plaisir in le monde de savoir"**, N°12260 , 1984.